# تسهيل البلاغة

ويليه

## تنبيه على بعض المخالفات العقديّة عِندَ البلاغيّين


تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه


طبعة جديدة منقحة ومزيدة




دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ٢٠١١

رقم الإيداع
٥٩٢٥/ ٢٠٠٦

الترقيم الدولي
977-331-277-1

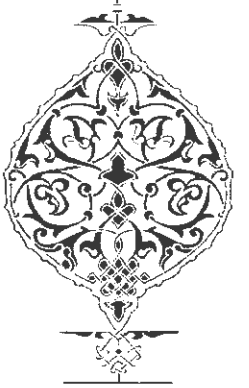

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٠٥٤١١٩١٠ - ٠٥٢٢٢٠٠٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

# تَصْدِير

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَهَذِهِ رِسَالَةٌ بِعُنْوَانِ «تَسْهِيلُ الْبَلاغَةِ»، كَتَبْتُهَا لِبَعْضِ إِخْوَانِي مِنْ طُلاَّبِ الْعِلْمِ.

وَقَدْ بَدَا لِي - بَعْدَ أَنْ كَثُرَ طُلاَّبُهَا - أَنْ أَجْعَلَهَا عَامَّةً، يَسْتَفِيدُ مِنْهَا الْجَمِيعُ، وَتَكُونُ مِلْكًا لَهُمْ. وَمَا مِنْ شَكٍّ أَنَّ الْبَلاغَةَ زِينَةُ الْكَلامِ، وَجِلاءُ الأَفْهَامِ، لا يَسْتَغْنِي عَنْهَا أَحَدٌ، وَكَيْفَ يَسْتَغْنِي عَنْهَا، وَهِيَ تَعْتَمِدُ عَلَىٰ الْمَنْطِقِ الْخَلاَّبِ، وَالْبَيَانِ الْجَذَّابِ، وَالْكَلامِ الَّذِي يَمْلِكُ النُّفُوسَ، وَيَأْسِرُ الْقُلُوبَ؛ وَذَلِكَ بِفَضْلِ مَا أَفَاضَهُ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، ثُمَّ مَا اكْتَسَبَتْهُ مِنْ أُسْلُوبِ الرَّسُولِ - ﷺ - ؟!.

وَرِسَالَتِي هَذِهِ هِيَ هَدِيَّةٌ لإِخْوَانِي فِي اللهِ، وَعَسَىٰ أَنْ يَجِدُوا فِيهَا بُغْيَتَهُمْ، فَتَأْخُذَ بِأَيْدِيهِمْ - إِنْ شَاءَ اللهُ - إِلَىٰ السِّحْرِ الْحَلالِ، وَالنَّبْعِ الدَّافِقِ، وَالْمَشْرَبِ الْعَذْبِ، وَسَجَاحَةِ الأُسْلُوبِ.

فَقَدْ أَلْبَسْتُهَا ثَوْبًا قَشِيبًا مِنَ السُّهُولَةِ؛ حَتَّىٰ تَأْخُذَ طَرِيقَهَا إِلَىٰ الْقُلُوبِ وَالأَحَاسِيسِ دُخُولَ الْمَأْنُوسِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ، تَسَانَدَتْ فِي صَقْلِهَا أَسْهَلُ الأَمْثِلَةِ، فَطَابَقَتْ أَحْوَالَ النَّاسِ، وَرُبَّمَا كَتَبْتُ الْوَرَقَةَ، وَعَرَضْتُهَا عَلَىٰ مَنْ حَوْلِي، فَإِنْ كَانَتْ

فِي الْعُقُول مَعْقُولَةً أَمْضَيْتُهَا، وَإِلاَّ أَعَدْتُ كِتَابَتَهَا مِنْ جَدِيد، وَلَمْ يَغِبْ عَنِّي ذَلِكَ السَّائِلُ الَّذِي سَأَلَ الخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيَّ - رَحِمَهُ اللهُ - عَنْ مَسْأَلَة، فَأَطْرَقَ(١) مَلِيًّا (٢)، فَتَعَجَّبَ السَّائِلُ، وَقَالَ لَهُ: «إِنَّ المَسْأَلَةَ لا تَحْتَاجُ لِكُلِّ هَذَا!».

فَقَالَ لَهُ الخَلِيلُ: «قَدْ عَلِمْتُ مَسْأَلَتَكَ، وَعَلِمْتُ جَوَابَهَا، وَلَكِنَّنِي أُفَكِّرُ فِي جَوَابٍ أَسْرَعَ لِفَهْمِكَ، فَأَعْيَانِي(٣) ذَلِكَ».

فَلا يُخَامِرْكَ(٤) - أَخِي الْقَارِئَ - شَكٌّ فِي سُهُولَتِهَا، أَوْ خَوْفٌ عَلَىٰ بَكَارَتِهَا؛ لِمَا لاقَتْهُ نَفْسُكَ مِنْ كُتُبِ المُتَقَدِّمِينَ(٥)، فَإِنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ فِي رَيْعَانِ شَبَابِهَا(٦)، وَلَنْ أَتَحَدَّثَ عَنْهَا، فَهِيَ أَوْلَىٰ بِالحَدِيثِ عَنْ نَفْسِهَا.

وَالمِسْكُ مَا قَدْ شَفَّ عَنْهُ ذَاتُهُ  لا مَا عَدَا يَنْعَتُهُ بَائِعُهُ

---

(١) فأطرق: سَكَتَ ولَمْ يتكلَّمْ.

(٢) مليًا: وَقْتًا طَويلاً.

(٣) أعْيَاني: أعْجَزَني.

(٤) فلا يُخَامِرُكَ: فلا يُخَالِطُكَ.

(٥) لا شَكَّ أَنَّ في كُتُبِ الأَوَّلِينَ - لاسِيَّمَا الْبَلاغة - صُعوبةٌ، حَيْثُ لا تُفيدُ الْمُبتَدئَ، كَمَا قَالَ ذَلِكَ الْعَلاَّمَةُ/ مُحمَّد بن صَالح الْعثيمين - رَحِمَهُ الله - فِي كِتَابِهِ «شرحُ الأُصُولِ مِنْ عِلْمِ الأُصُول» (ص١٣٢).

(٦) رَيْعَان شَبَابِها: أوله وأفْضله.

# نص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ.

**أَمَّا بَعْدُ**، مِنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ فَيْصَل بْنِ عَبْدُهْ قَائِدِ الحَاشِدِيِّ إِلَىٰ جَنَابِ الأَخِ الْكَرِيمِ/ .....

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

**وَبَعْدُ**، أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، وَأَسْأَلُهُ لِي وَلَكُمُ الثَّبَاتَ فِيمَا نَقُولُ وَنَذَرْ.

أَيْ أَخِي، فَارَقْتُكُمْ وَلَمْ يُفَارِقْنِي – عَلِمَ اللهُ – كَرَمُ أَخْلاقِكُمْ.

وَبِفِرَاقِكُمْ – أَخِي – فَارَقْتُ تِلْكَ الْقَلْعَةَ الشَّامِخَةَ شُمُوخَ الجِبَالِ فِي قَاعِ جَهْرَان[1]، وَمَا كُنْتُ أَشْتَهِي ذَلِكَ، لَكِنْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ.

فَهَكَذَا الدُّنْيَا، دَارُ اجْتِمَاعٍ وَفُرْقَةٍ، دَارُ بِشْرٍ وَأَحْزَانٍ، الْمُسَافِرُ فِيهَا مُقِيمٌ، وَالْمُقِيمُ فِيهَا مُسَافِرٌ، وَالسَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، لَنْ يَنْتَهِيَ بِصَاحِبِهِ إِلاَّ فِي حُفْرَةٍ مُظْلِمَةٍ، فَتَبًّا لَهَا مِنْ دَارٍ!.

طُبِعَتْ عَلَىٰ كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا ... صَفْوًا مِنَ الأَقْذَارِ وَالأَكْدَارِ

---

(١) تِلْكَ الْقَلْعَةُ هِيَ دَارُ الْحَدِيثِ الْعَامِرَةُ بِأَهْلِهَا، وَالْقَائِمُ عَلَيْهَا شَيْخُنَا الجليل محمد بن عبد الله الإمام.

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ:

لا تَلْقَ دَهْرَكَ إلاَّ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ... مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ[١]

أَيْ أَخِي، طَالَمَا رَجَوْتُ أَنْ أَبْقَىٰ مَعَكَ - أَنْتَ وَإِخْوَانَكَ - حَتَّىٰ نَنْتَهِيَ مِنْ دُرُوسِ الْبَلاغَةِ، الَّتِي هِيَ أَحَبُّ الْعُلُومِ الأَدَبِيَّةِ قَدْرًا، وأَرْسَخُهَا أَصْلاً، وَأَبْسَقُهَا فَرْعًا، وَأَعْذَبُهَا وِرْدًا، وَكَأَنِّي بِكَ وَأَنْتَ تَأْخُذُ عَلَيَّ وَعْدًا بِأَنْ أَكْتُبَ لَكَ رِسَالَةً، أُضَمِّنُهَا «تَسْهِيلُ الْبَلاغَةِ»، لا تَحْتَاجُ مَعَهَا إِلَىٰ شَرْحِ شَارِحٍ، أَوْ زِيَادَةِ مُزَيِّدٍ.

وَهَـا أَنَا أَفِي بِوَعْدِي، وَهَا هُوَ قَلَمِي «يَحُوكُ[٢] الوَشْيَ[٣]، وَيَلْفِظُ الدُّرَّ، وَيَنْفُثُ السِّحْرَ، وَيُرِيكَ بَدَائِعَ مِنَ الزَّهْرِ، وَيَنْثُرُ بَيْنَ يَدَيْكَ الْحُلْوَ الْيَانِعَ مِنَ الثَّمَرِ.

وَالطَّلُّ[٤] فِي سِلْكِ الْغُصُونِ كَلُؤْلُؤٍ ... رَطْبٍ يُصَافِحُهُ النَّسِيمُ[٥] فَيَسْقُطُ

وَالطَّيْرُ يَقْرَأُ، وَالْغَدِيرُ[٦] صَحِيفَةٌ ... وَالرِّيحُ تَكْتُبُ، وَالْغَمَامُ يُنَقِّطُ

بقلم أبي عبد الله
فيصل بن عبده قائد الحاشري

---

(١) أَيْ: لا تُبَالِ الزَّمَانَ وَصُرُوفَهُ مَا دُمْتَ حَيًّا؛ فَإِنَّ الشِّدَّةَ وَالرَّخَاءَ يَتَعَاقَبَانِ فِيهِ عَلَىٰ الْحَيِّ، فَلا يَأْسَ مَعَ الْحَيَاةِ.

(٢) يَحُوكُ: يَنْسِجُ، وَبَابُهُ قَالَ، وَحِيَاكًا - أَيْضًا -، وَحِيَاكَةً - بِكَسْرِهِمَا -.

(٣) الْوَشْيُ - بِالْفَتْحِ -: ضَرْبٌ مِنَ الثِّيَابِ الْمَنْقُوشَةِ.

(٤) الطَّلُّ - بِالْفَتْحِ -: النَّدَىٰ وَالْبَلَلُ، وَالْجَمْعُ طِلالٌ، وطِلَلٌ.

(٥) النَّسِيمُ: الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ، والجَمْعُ أَنْسَامٌ.

(٦) الْغَدِيرُ: النَّهْرُ، وَالْجَمْعُ غُدْرَانٌ - بِالضَّمِّ -، وَغُدُرٌ.

# تَعْرِيفُ الْبَلاغَةِ

## الْبَلاغَةُ لُغَةً [١]:

أَيْ أَخِي، الْبَلاغَةُ تُعَرَّفُ فِي اللُّغَةِ بِأَنَّهَا: الْوُصُولُ والانْتِهَاءُ.

فَقَلْبُكَ - يَا عَزِيزِي - هُوَ مَحَطَّةُ الانْطِلاقِ، وَقَلْبُ السَّامِعِ هُوَ مَحَطَّةُ الْوُصُولِ.

وَمَتَىٰ وَصَلَ كَلامُكَ إِلَىٰ قَرَارَةِ نَفْسِ السَّامِعِ؛ لِيُؤَثِّرَ فِيهَا تَأْثِيرًا عَظِيمًا، كُنْتَ - حَقًّا - بَلِيغًا، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ فَلَنْ تُوصَفَ بِالْبَلاغَةِ، وَلَوْ كُنْتَ أَبْلَغَ مِنْ سَحْبَانَ وَائِلٍ!!.

وَإِذَا بَلَغَ كَلامُكَ إِلَىٰ قَلْبِ السَّامِعِ، بِحَيْثُ يُؤَثِّرُ فِي قَلْبِهِ، وَيَمْتَدُّ التَّأْثِيرُ إِلَىٰ بَعْضِ جَوَارِحِهِ: كَقُشَعْرِيرَةِ الجِلْدِ، وَحُصُولِ الدُّمُوعِ - فَأَنْتَ مِنْ أَبْلَغِ النَّاسِ [٢].

---

(١) قَالَ الرَّاغِبُ الأَصْفَهَانِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - كَمَا فِي «الْمُفْرَدَاتِ» (ص٦٠): «الْبَلاغَةُ تُقَالُ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ:
أَحَدُهُمَا - أَنْ يَكُونَ بِذَاتِهِ بَلِيغًا، وَذَلِكَ بِأَنْ يَجْمَعَ ثَلاثَةَ أَوْصَافٍ: صَوَابًا فِي مَوْضُوعِ لُغَتِهِ، وَطِبْقًا لِلْمَعْنَىٰ الْمَقْصُودِ، وَصِدْقًا فِي نَفْسِهِ. وَمَتَىٰ اخْتَرَمَ وَصْفٌ مِنْ ذَلِكَ؛ كَانَ نَاقِصًا فِي الْبَلاغَةِ.
وَالثَّانِي - أَنْ يَكُونَ بَلِيغًا بِاعْتِبَارِ الْقَائِلِ وَالْمَقُولِ لَهُ، وَهُوَ أَنْ يَقْصِدَ الْقَائِلُ أَمْرًا، فَيُورِدَهُ عَلَىٰ وَجْهٍ حَقِيقٍ أَنْ يَقْبَلَهُ الْمَقُولُ لَهُ، وَقَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا (٦٣)﴾ [النساء: ٦٣]، يَصِحُّ حَمْلُهُ عَلَىٰ الْمَعْنَيَيْنِ».

(٢) أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (٢/١١٢) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ» (٢٤٥٥) مِنْ حَدِيثِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: «وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - مَوْعِظَةً بَلِيغَةً!، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ!».
فَمِنْ خِلالِ هَذَا الْحَدِيثِ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُدْرِكَ - بِحَوَاسِّكَ الَّتِي مَنَحَكَ اللهُ إِيَّاهَا - أَنَّ الْبَلاغَةَ نَفَاذٌ إِلَىٰ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ، وَحَدِيثٌ يَحْمِلُ قَدْرًا وَاضِحًا مِنَ الأَهَمِّيَّةِ، وَمَوْقِفٌ يَحْمِلُ طَابِعَ الإِفَادَةِ وَالْمُتْعَةِ.

## الْبَلاغَةُ اصْطِلاحًا:

وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْكَلامُ فَصِيحًا قَوِيًّا فَنِّيًّا، يَتْرُكُ فِي النَّفْسِ أَثَرًا خَلاَّبًا، وَيُنَاسِبُ الشَّخْصَ، وَالحَالَ، وَالزَّمَانَ.

### فَمِثَالُ الشَّخْصِ:

فَلَوْ قُلْتَ لِزَوْجَتِكَ الأُمِّيَّة: نَاوِلِينِي المِزْبَرَ مِنَ الْقِمَطْرِ (تُرِيدُ الْقَلَمَ مِنَ المِحْفَظَة) - لَمْ تَكُنْ بَلِيغًا رَغْمَ فَصَاحَتِهِ وَقُوَّتِهِ[١]؛ لأَنَّهُ لَمْ يُلائِمْ مُسْتَوَىٰ زَوْجَتِكَ[٢].

### وَمِثَالُ الْحَالِ:

فَلَوْ دَعَوْتَ إِلَىٰ صُلْحٍ، فَتَلَوْتَ قَوْلَ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩] - لَمْ تَكُنْ بَلِيغًا.

أَمَّا لو تَلَوْتَ قَوْلَ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة:

---

(١) لَيْسَ مِنَ الْبَلاغَةِ الحَدِيثُ مَعَ الْعَوَامِّ بِالعَامِّيَّةِ بِدعْوَىٰ إِفْهَامِهِم؛ فَإِنَّ مِنْ شُرُوطِ الْبَلاغَةِ أَنْ يَكُونَ الْكَلامُ بِالفُصْحَىٰ، فَقَوْلُكَ لِزَوْجَتِكَ الأُمِّيَّة: نَاوِلِينِي القلمَ مِنَ المحْفَظَة لَفْظٌ فَصِيحٌ، سَقَطَ فِي مَسْقَطِه، كَذَلِكَ إِن كَانَ لَكَ زَوْجَةٌ أديبةٌ، فَقُلْتَ لَهَا: نَاوِلِينِي المِزْبَرَ مِنَ الْقِمَطْرِ هُوَ - أَيْضًا - لَفْظٌ فصيحٌ، سَقَطَ فِي مَسْقَطِهِ؛ وَلِهَذَا قِيل: لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، وَعَرَّفَ الْبَعْضُ البلاغَةَ بِأَنَّهَا: «الكلمةُ المُنَاسِبَةُ فِي المكَانِ المُنَاسِبِ».

وَهَكَذَا لُغَتُنَا الحبيبة - أَيُّهَا الحبيبُ - لَهَا مُرادفات تفوقُ الحصر، فكُلُّ شَخْصٍ نَكِيلُ لَهُ بِالمِكْيَالِ الَّذِي يُلائِمُهُ، وهَذِهِ هِيَ الْبَلاغَةُ.

وَأَمَّا الحديثُ مَعَ الْعَوَامِّ بِالْعَامِّيَّةِ بِدعْوَىٰ إِفهامهم، فَقَد قَالَ الدُّكْتُورُ/ فتحي جُمعة أستاذ العُلوم اللُّغويَّة بِكُلِّيَّة دار العُلوم - حَفِظَهُ اللهُ وَعَافاهُ - كَمَا فِي كتاب «فقه الأخلاق» للعدويّ (١/ ٣١٤):

«أَمَّا الجُنوحُ للعامِّيَّة بدعوىٰ «إفهام العوامِّ»، فَإِن لم يكن مُداراةً للعجزِ عن الْفُصْحَىٰ، وقصرِ الْبَاعِ فِي اسْتِعْمَالِهَا - فهو ادِّعاءٌ يَظْلِمُ الْفُصْحَىٰ والعوامَّ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ مَعًا!.

يَظْلِمُ الْفُصْحَىٰ بأنها غَيْرُ مفْهُومَةٍ، وَوَاللهِ، إِنها لَمَفْهومةٌ!، وَيَظْلِمُ الْعَوامَّ بِأَنَّهُمْ لا يَفْهَمُونَ، وَتَاللهِ، إِنَّهُمْ لَيَفْهَمُونَ!، وَإِلاَّ فَكَيفَ يَخْشَعونَ لِلْقُرْآنِ، وَيَتَأَثَّرونَ ببالغِ المَوْعظَةِ وَجَمِيلِ الْبَيَانِ؟!» اهـ.

(٢) «تَيْسيرُ البَلاغة» لأحمد قلاش (ص١٠).

٢٣٧]، وَقَوْلَ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨] - كُنْتَ - حَقًّا - فَصِيحًا بَلِيغًا؛ لأَنَّكَ دَعَوْتَ لِلصُّلْحِ، وَلَمْ تَدْعُ لِتَنْفِيذِ الحُكْمِ.

وَبِالنِّسْبَةِ لِلزَّمَانِ:

فَإِذَا كَانَ الزَّمَانُ زَمَانَ ظُلْمٍ وَجَوْرِ سُلْطَانٍ، فَصَعِدْتَ المِنْبَرَ، تَحُثُّ النَّاسَ عَلَىٰ الخُرُوجِ، وَتُهَيِّجُهُمْ عَلَىٰ سُلْطَانِهِمْ - لَمْ تَكُنْ بَلِيغًا؛ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ الخُرُوجِ مِنَ المَفَاسِدِ أَعْظَمَ مِنَ المَصَالِحِ، وَلَكِنْ إِنْ تَحَدَّثْتَ عَنْ عَدْلِ عُمَرَ وَصَلاحِ رَعِيَّتِهِ، فَقَدْ بَلَغْتَ مُرَادَكَ، وَكُنْتَ فَصِيحًا بَلِيغًا، وَهَكَذَا.

وَلِهَذَا قِيلَ: «رُبَّ كَلامٍ فِي نَفْسِهِ حَسَنًا خَلاَّبًا، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ، وَسَقَطَ فِي غَيْرِ مَسْقَطِهِ - خَرَجَ عَنْ حَدِّ الْبَلاغَةِ»(١).

بَلْ إِنَّهُ يُعَدُّ مَعِيبًا عِنْدَ الحُكَمَاءِ - فَضْلاً عَنِ الْبُلَغَاءِ - كَمَا قِيلَ:

وَإِنَّ كَلامَ المَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ(٢) ... لَكَالنَّبْلِ(٣) تَهْوِي(٤) لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا(٥)

---

(١) «الْبَلاغَةُ الوَاضِحَة» لعليٍّ الجارم، ومُصْطَفَىٰ أمين (ص١١).

(٢) كُنْهه - بالضَّمِّ -: وَقْته ووَجْهه.

(٣) النَّبْل - بالفتح -: السِّهَام، وهي مُؤَنَّثَة، لا واحدَ لهَا مِنْ لَفْظِهَ، وقد جَمَعوها عَلَىٰ نِبَالٍ، وأَنْبَالٍ، ونُبْلان - بالضَّمِّ -.

(٤) تهْوِي - من بَاب رَمَىٰ - هُوِيًّا - بالضَّمِّ والفتح - وَهَوَيَانًا: أي تَسْقُط.

(٥) نصَال: جَمْعُ نَصْلٍ - بالفتحِ -، وهو حديدَةُ السَّهْمِ مَا لَمْ يَكُنْ له مَقْبِضٌ، ويُجْمعُ - أيْضًا - عَلَىٰ أَنْصُلٍ، ونُصُولٍ.

## الفَصَاحَةُ

### الْفَصَاحَةُ لُغَةً:

الإِبَانَةُ وَالظُّهُور.

قَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – : ﴿ وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ [ القصص: ٣٤ ]، أَيْ: أَبْيَنُ مِنِّي قَوْلاً.

وَالْعَرَبُ تَقُولُ: أَفْصَحَ الصُّبْحُ: إِذَا أَضَاءَ. وَأَفْصَحَ الصَّبِيُّ: إِذَا بَانَ كَلامُهُ.

وَتُعَرَّفُ الْفَصَاحَةُ اصْطِلاحًا:

هِي عِبَارَةٌ عَنِ الأَلْفَاظِ الْبَيِّنَةِ الظَّاهِرَةِ، الْمُتَبَادِرَةُ إِلَىٰ الْفَهْمِ، الْمَأْنُوسَةُ الاسْتِعْمَالُ بَيْنَ الأُدَبَاءِ وَالشُّعَرَاءِ لِمَكَانِ حُسْنِهَا، وَلَطَافَةِ مَوْقِعِهَا، وَرَشَاقَةِ تَرْكِيبِهَا.

### فَصَاحَةُ الكَلِمَةِ:

أَيْ أَخِي، لَنْ تَكُونَ الْكَلِمَةُ فَصِيحَةً بَلِيغَةً، حَتَّىٰ تَسْلَمَ مِنْ أَرْبَعَةِ عُيُوبٍ[١]:

---

( ١ ) قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ فِي كتابِهِ «المَثَلُ السَّائِرُ» ( ١٤٥ ): «الألفاظُ تنقسمُ إِلَىٰ ثلاثةِ أَقْسَامٍ، قِسْمَانِ حَسَنَانِ، وقِسْمٌ قبيحٌ، فَالْقِسْمَانِ الحَسَنَانِ:

أَحَدُهُمَا – مَا تَدَاوَلَ اسْتِعْمَالَهُ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ مِنَ الزَّمَنِ القَدِيمِ إِلَىٰ زَمَانِنا هذا، ولا يُطْلَقُ عليه أَنَّهُ وَحْشِيّ.

وَالآخَرُ – ما تَدَاوَلَ اسْتِعْمَالَهُ السَّلَفُ دُونَ الْخَلَفِ، ويَخْتَلِفُ في اسْتِعمَالِهِ بالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الزَّمنِ وأَهْلِه، وهذا هو الّذي يُعابُ اسْتِعمالُهُ عندَ العربِ؛ لأنّه لم يكنْ عندهم وحشيًّا، وهو عندنا وَحشيٌّ.

وَلا يسبقْ وَهْمُكَ إِلَىٰ قولِ قُصراءِ النّظرِ بأنَّ العربَ كَانَتْ تستعمل مِنَ الأَلْفَاظِ كَذا وكذا، فهذا دليل علىٰ أنه حسن، بَلْ ينبغي أنْ نَتَعلَّمَ أنَّ الّذي نَسْتحسِنَهُ نحنُ في زَمانِنَا هذا هو الّذي كان عند العربِ مُسْتحسنًا، والّذي نستقبحُهُ هُوَ الّذي كانَ عنْدَهُمْ مُسْتَقْبَحًا، وَالاستعمالُ ليس بدليلٍ على الحسنِ، فَإِنَّنَا نحن نستعملُ الآنَ مِنَ الْكَلامِ ما ليسَ بِحَسَنٍ، وَإِنَّما نَسْتَعْمِلُهُ لِضَرُورةٍ، ...

## الْعَيْبُ الأَوَّلُ مِنْ عُيُوبِ الكَلِمَةِ - تَنَافُرُ الحُرُوفِ (١) :

وَتَنَافُرُ الحُرُوف: هُوَ وَصْفٌ فِي الْكَلِمَةِ، يُوجِبُ ثِقَلَهَا عَلَىٰ السَّمْعِ، وَصُعُوبَةَ أَدَائِهَا بِاللِّسَانِ؛ بِسَبَبِ كَوْنِ حُرُوفِ الْكَلِمَةِ مُتَقَارِبَةَ المَخَارِجِ (٢).

= اسْتِعْمَالُ الحَسَنِ بِمُمْكِنٍ فِي كُلِّ الأَحْوَالِ، واعلَمْ أَنَّ اسْتِحسانَ الأَلْفَاظِ واستِقْبَاحَهَا لا يُؤخَذُ بِالتَّقْلِيدِ مِنَ الْعَرَبِ؛ لأَنَّهُ شَيءٌ لَيْسَ لِلتَّقْلِيدِ فِيهِ مَجَالٌ، وَإِنَّمَا هو شَيْءٌ لَهُ خَصَائِصُ وهَيْئَاتٌ وعلاماتٌ، إِذَا وُجِدَتْ عُلِمَ حُسْنُهُ مِنْ قُبْحِهِ، ألا تَرَىٰ أَنَّ لَفْظَةَ الْـمُزْنَةِ - مثلاً - حَسَنَةٌ عِنْدَ النَّاسِ كَافَّةً مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِم، لا يَخْتَلِفُ أَحَدٌ فِي حُسْنِهَا، وكَذَلِكَ لَفْظَةُ الْبُعَاقِ، فَإِنَّها قَبِيحَةٌ عند النَّاسِ كَافَّةً مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ، فَإِذَا اسْتَعْمَلَهَا الْعَرَبُ، لا يَكُونُ اسْتِعْمَالُهُمْ إِيَّاهَا مُخْرِجًا لَهَا عَنِ الْقُبْحِ، وَلا يُلْتَفَتُ - إِذَنْ - إِلىٰ اسْتِعْمَالِهِمْ إِيَّاهَا، بَلْ يُعَابُ مُسْتَعْمِلُهَا ، وَيُغْلَظُ لَهُ النَّكِيرُ حَيْثُ اسْتَعْمَلَهَا، فَلا تَظُنَّ أَنَّ الْوَحْشِيَّ مِنَ الأَلْفَاظِ مَا يَكْرَهُهُ سَمْعُكَ، وَيَثْقُلُ عَلَيْكَ النُّطْقُ بِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ الْغَرِيبُ الَّذِي يَقِلُّ استِعمالُهُ، فَتَارَةً يَخِفُّ عَلَىٰ سَمْعِكَ، وَلا تَجِدُ بِهِ كَرَاهَةً، وتَارَةً يَثْقُلُ عَلَىٰ سَمْعِكَ، وتَجِدُ مِنْهُ الْكَرَاهَةَ، وذَلِكَ فِي اللَّفْظِ عَيْبَانِ: كَوْنُهُ غَرِيبَ الاسْتِعْمَالِ، وَكَوْنُهُ ثَقِيلاً عَلَىٰ السَّمْعِ، كَرِيهًا عَلَىٰ الذَّوْقِ، وَلَيْسَ وَرَاءَهُ فِي الْقُبْحِ دَرَجَةٌ أُخْرَىٰ، ولا يسْتَعْمِلُهُ إِلاَّ أَجْهَلُ النَّاسِ مِمَّنْ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِ شَيْءٌ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذَا الْفَنِّ أَصْلاً».

(١) التَّنَافُرُ قِسْمَانِ:

الأَوَّلُ - شَدِيدُ الثِّقَلِ: كـ(الظَّشِّ) لِلْمَوْضِعِ الخَشِنِ، وَنَحْو (هُعْخُعٍ) لِنَبَاتٍ تَرْعَاهُ الإِبِلُ، كَقَوْلِ الأَعْرَابِيِّ: تَرَكْتُ نَاقَتِي تَرْعَىٰ الْهُعْخُعَ.

وَالثَّانِي - خَفِيفٌ كـ(النَّقْنَقَةِ) لِصَوْتِ الضَّفَادِعِ، و(النُّقَاخِ) لِلْمَاءِ الْبَارِدِ الْعَذْبِ الصَّافِي، وَنَحْو (مُسْتَشْزِرَاتٍ) بِمَعْنَىٰ: مُرْتَفِعَاتٍ مِنْ قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ يَصِفُ شَعْرَ ابْنَةِ عَمِّهِ:

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَىٰ الْعُلا ... تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مُثَنًّى وَمُرْسَلِ

وَالْغَدَائِرُ: الضَّفَائِرُ، جمعُ غَدِيرَةٍ. وَتَضِلُّ: تغيبُ - والعِقَاص - بالكسْرِ: المَدَارَىٰ، جمعُ مِدْرَىٰ - بزنَةِ مِبْرَدٍ -، وهُوَ آلَةٌ تُعْمَلُ مِنْ حَدِيدٍ أو خَشَبٍ علىٰ شكْلِ سِنٍّ مِنْ أَسْنَانِ المُشْطِ، وأَطْوَلُ مِنْهُ، تُسَرَّحُ بِهِ الشَّعْرُ المُتَلَبِّدُ، وَيستعْمِلُهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُشْطٌ. وَالمُثَنَّىٰ: المَفْتُولُ المَلْوِيُّ. وَالمُرْسَلُ: ضِدُّهُ.

(٢) قَالَ ابْنُ سِنَانٍ فِي كتابه «سِرّ الفَصَاحَةِ» (ص٦٥): «إِنّ الحروفَ الَّتِي هيَ أَصْوَاتٌ تجرِي مِنَ السَّمْعِ مَجْرَىٰ الأَلْوَانِ مِنَ البصرِ، ولا شَكَّ فِي أَنَّ الأَلوانَ الْمُتَبَايِنَةَ إِذَا اجْتَمعتْ كانتْ فِي المنظرِ أَحسَنَ مِنَ الأَلْوانِ المُتقَارِبَةِ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْبَيَاضُ مَعَ السَّوَادِ أَحسَنَ مِنْهُ معَ الأَصْفَرِ؛ لِقُرْبِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأَصفرِ، وبُعْدِ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ الأَسْوَدِ.

وَاعْلَمْ – أَخِي – أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ ضَابِطٌ لِمَعْرِفَةِ الثِّقَلِ وَالصُّعُوبَةِ سِوَىٰ الذَّوْقِ السَّلِيمِ (١).

وَإِذَا كَانَ هذَا موجوداً عَلَىٰ هذه الصِّفَة، لا يَحْسُنُ النِّزَاعُ فيه، كَانَت الْعِلَّةُ في حُسْنِ الأَلْفَاظِ المُؤَلَّفَة مِنَ الحُرُوفِ المُتَبَاعِدَةِ – هِيَ الْعِلَّةَ فِي حُسْنِ النُّقُوشِ إِذَا مُزِجَتْ مِنَ الأَلْوَانِ المُتَبَاعِدَةِ، وقَدْ قَالَ فِي هَذَا المَعْنَىٰ:

فَالْوَجْهُ مِثْلُ الصُّبْحِ مُبْيَضٌّ ... والْفَرْعُ مِثْلُ اللَّيْلِ مُسْوَدُّ
ضِدَّانِ لَمَّا اسْتَجْمَعَا حَسُنَا ... وَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ

وهذه الْعِلَّةُ يَقَعُ لِلْمُتَأَمِّلِ وَغَيْرَ الْمُتَأَمِّلِ فَهْمُهَا، ولا يُمْكِنُ مُنَازِعٍ يَجْحَدُهَا.

وَمِثَالُ التَّأْلِيفِ مِنَ الحُرُوفِ المُتَبَاعِدَةِ كثيرةٌ، جُلُّ كلامِ العربِ عليه، فلا يُحتاجُ إِلَىٰ ذِكْرِهِ، فَأَمَّا تَأليفُ الحروفِ المُتقارِبَة، فقدْ قدَّمْنَا في الفصْلِ الرَّابعِ مثالاً حُكِيَ منْهُ، وهو (الهُعْخُعُ).

وَلِحُرُوفِ الحَلْقِ مَزِيَّةٌ فِي القُبْحِ إِذَا كَانَ التَّأْلِيفُ مِنْهَا فَقَطْ، وأَنْتَ تُدْرِكُ هذَا أَوْ تَسْتَقْبِحهُ، كَمَا يَقْبُحُ عِنْدَكَ بَعْضُ الأَمْزِجَةِ مِنَ الأَلْوَانِ، وبَعْضُ النَّغَمِ مِنَ الأَصْوَاتِ».

(١) الذَّوْقُ فِي اللُّغَةِ: الحاسَّةُ يُدْرَكُ بِهَا طَعْمُ المَأْكَلِ. وَفِي الاصْطِلاحِ: قُوَّةٌ غَرِيزِيَّةٌ، لها اخْتِصاصٌ بِإِدْرَاكِ لطَائِفِ الْكَلامِ وَمَحَاسِنِهِ الخَفِيَّةِ، وتَحْصُلُ بِالمُثَابَرَةِ عَلَىٰ الدَّرْسِ، وَمُمَارَسَةِ كَلامِ الْبُلَغَاءِ، وتكرارِهِ عَلَىٰ السَّمْعِ، وَالتَّفطُّنِ لخواصِّ مَعانيهِ وتَرَاكِيبِهِ، وَتَحْصُلُ – أيْضًا – بتنزيهِ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ عَمَّا يُفْسِدُ الآدَابَ والأَخْلاقَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَقوَىٰ أَسْبَابِ سَلامةِ الذَّوْقِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الذَّوقَ السَّلِيمَ هُوَ الْعُمْدَةُ في مَعْرِفَةِ حُسْنِ الْكَلِمَاتِ وسَلاسَتِهَا، وتَمْييزِ ما فيها من وُجُوهِ الْبَشَاعَةِ، ومظَاهِرِ الاسْتِكْرَاهِ؛ لأَنَّ الأَلْفَاظَ أَصْوَاتٌ، فالَّذِي يَطْرَبُ لصوتِ الْبُلْبُلِ، ويَنْفِرُ مِنْ صَوْتِ الْبُومِ والغِرْبَانِ – يَنْبُو سَمْعُهُ عنِ الْكَلِمَةِ، إِذَا كَانَتْ غَرِيبَةً مُتَنَافِرَةَ الحُرُوفِ، ألا تَرَىٰ أَنَّ كَلِمَتَيِ المُزْنَةَ وَالدِّيمَةَ (للسَّحَابَةِ المُمْطِرَةِ) كِلْتَاهُمَا سَهْلَةٌ عَذْبَةٌ، يَسْكُنُ إِلَيْهَا السَّمْعُ، بخلافِ كَلِمَةِ البُعَاقِ الَّتِي في مَعْنَاهُمَا؛ فَإِنَّهَا قَبِيحَةٌ تَصُكُّ الأُذُنَ. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ فِي مُفْرَدَاتِ اللُّغَةِ، تَسْتَطِيعُ أَنْ تُدْرِكَهُ بِذَوْقِكَ. انظُرْ «جَواهِرَ البَلاغَةِ» (ص٣٠).

وَمِنْ دُرَرِ ابْنِ الأَثِيرِ قَوْلُهُ فِي كتابه «المثلُ السَّائرُ» (ص١٤٩): «وقدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ الجُهَّالِ، إِذَا قِيلَ لأَحَدِهِمْ: إِنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ حَسَنَةٌ، وَهَذِهِ قَبِيحَةٌ – أَنْكَرَ ذَلِكَ، وَقَالَ: كُلُّ الأَلْفَاظِ حَسَنَةٌ، وَالوَاضِعُ لَمْ يَضَعْ إِلاَّ حَسَنًا.

وقَدْ يَبْلُغُ جَهْلُهُ أَلاَّ يُفَرِّقَ بَيْنَ الغَضَّةِ «الغُصْنُ» والفظَّةِ «العُسْلُوجِ»، وبين لفظةِ «المُدامَةِ» ولَفْظَةِ «الإِسْفِنْطِ» (أَيْ: الشَّرَابِ)، وَبَيْنَ لَفْظَةِ «السَّيْفِ» وَلَفْظَةِ «الخَنْشَلِيلِ»، وبينَ لفظةِ «الأَسَدِ» ولفظةِ

**الْعَيْبُ الثَّانِي - غَرَابَةُ الاسْتِعْمَالِ** (١) :

وَهِيَ كَوْنُ الْكَلِمَةِ غَيْرَ ظَاهِرَةِ الْمَعْنَىٰ، وَلا مَأْلُوفَةَ الاسْتِعْمَالِ عِنْدَ الْعَرَبِ الْفُصَحَاءِ؛ لأَنَّ الْمُعَوَّلَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ اسْتِعْمَالُهُمْ، وَلا ضَابِطَ لِمَعْرِفَةِ غَرَابَةِ

= «الفَدَوْكَس»، فَلا يَنبغي أن يُخاطَبَ بخطَاب، ولا يُجَابُ بجَواب، بَلْ يُتركُ وشَأْنُهُ، كَمَا قيل: اتركوا الجَاهلَ بجَهْله، ولوْ أَلْقَىٰ الجعْرَ (أيْ: الْعَذرَةَ اليَابسَةَ) في رَحْله، وَمَا مَثَلُهُ في هَذَا المَقَام إلاَّ كَمَنْ يُسَوِّي بَيْنَ زِنْجِيَّةٍ سَوْدَاءَ مُظْلمَةِ السَّوَاد، شَوْهَاءِ الخَلْق، ذَات عُيُون مُحْمَرَّةٍ، وَشَفَةٍ غليظة كَأَنَّهَا كلوة، وشَعَرٍ قَطَطٍ (أيْ: قَصيرٍ جَعْدٍ) كَأَنَّهُ زَبيبَة - وَبَيْنَ صورَة رُوميَّةٍ بَيْضَاءَ، مُشْرَبَةٍ بحُمْرَة، ذَات خَدٍّ أَسيل (طَويلٍ مُسْتَوٍ)، وطَرْفٍ كَحيلٍ، وَمَبْسمٍ (أيْ: ثَغْرٍ) كَأَنَّمَا نُظمَ منْ أَقَاحٍ (الأَقَاحُ: جَمْعُ أُقْحُوان، وَهُوَ البَابُونج نَبْتٌ طَيِّب الرِّيح، حَوَالَيْه وَرَقٌ أَبْيَضُ، وَوَسَطُهُ أَصْفَرُ)، وطُرَّةٍ (أيْ: نَاصيَة) كَأَنَّهَا لَيْلٌ عَلَىٰ صَبَاحٍ، وإذَا كَانَ - منْ سُقْم النَّظَر - يُسَوِّي بَيْنَ هَذه الصُّورَة وَهَذه، فلا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ - منْ سُقْمِ الْفكْر - أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ هَذه الأَلْفَاظ وَهَذه، ولا فَرْقَ بَيْنَ النَّظَر والسَّمْعِ في هَذَا المَقام؛ فَإنَّ هَذه حَاسَّة، وهَذه حاسَّة، وقيَاسُ حاسَّةٍ علىٰ حاسَّةٍ مُناسبٌ».

(١) الْغَرَابَةُ قسمان:

الْقسْمُ الأَوَّل - ما يُوجبُ حَيْرَةُ السَّامعِ في فَهْمِ المَعْنَىٰ المَقْصود منَ الكَلمَة لتردُّدهَا بَيْنَ مَعْنَيَيْنِ أَوْ أَكْثَرُ بلا قَرينَة، وَذَلكَ في الأَلْفَاظ المُشْتَرَكَة: (كَمُسَرَّج) منْ قَوْل رُؤْبَةَ بْن العَجَّاج:

وَمُقْلَةً وَحَاجِبًا مُزَجَّجَا وَفَاحِمًا وَمَرْسِنًا مُسَرَّجَا

فَلا يُعْلَمُ مَا أرادَ بقَوْله: «مُسَرَّجًا»، حتَّىٰ حَارَ أئمَّةُ اللُّغَة لتردُّد الكلمةُ بَينَ مَعْنَيَيْنِ بدُون قَرينَة.

فَـ«المَرْسنُ»: هُوَ الأَنْفُ، فَمَا مَعْنَىٰ أَنْ يكونَ الزَنْفُ مُسَرَّجًا؟، قيل: المُسَرَّجُ: المُحَسَّنُ، وَقَال بَعْضُهُمْ: إنَّهُ السِّرَاج الَّذي يُعْطي الإضاءَة، فكَأَنَّهُ يصفُ أَنْفَهَا بالضَّوْء واللَّمْعَان.

وَقَالَ ابْنُ دُرَيْد: إنَّ أَنْفَهَا في الاسْتوَاء والدِّقَّة كَالسَّيْف. فانظُرْ كيفَ أَدْخَلَ الحَيْرَةَ عَلَىٰ السَّامعِ في فَهْم المَقْصُود.

وَأَمَّا مَعَ وُجُود القَرينَة فَلا غَرَابَةَ: كَلَفْظَة «عَزَّرَ» في قَوله - تَعَالَىٰ -: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فَإنَّها مُشتركة بين التعظيم والإهانة، لكن ذكر النّصر قرينة علىٰ إرادة التّعظيم.

القسم الثَّاني - ما يُعابُ استعمالُهُ لاحتياجٍ إلىٰ تَتَبُّع اللُّغَات، وكَثْرَة الْبَحْث وَالتَّفْتيش في المَعَاجم، وَقَدْ يَعْثُرُ علىٰ الْكَلمَة بَعْدَ كَدٍّ وَجهْد جَهيد، وقدْ لا يَعْثُرُ عَلَيْهَا الْبَتَّةَ.

وَمثْلُ هَذَا لا يَحْسُنُ وَلا يَجْمُلُ. انْظُرْ «جَوَاهرَ الْبَلاغَة» (١٢ - ١٣) بتَصَرُّف.

الاسْتِعْمَالِ إِلاَّ بِكَثْرَةِ الاطِّلاعِ عَلَىٰ كَلامِ الْعَرَبِ، وَالإِحَاطَةِ بِالْمُفْرَدَاتِ الْمَأْنُوسَةِ.

### الْعَيْبُ الثَّالِثُ - مُخَالَفَةُ الْقِيَاسِ:

بِأَنْ تَكُونَ الْكَلِمَةُ مُخَالِفَةً لِقَوَاعِدِ الصَّرْفِ: كَقَوْلِ الرَّاجِزِ:

الْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الأَجْلَلِ

فَإِنَّ كَلِمَةَ «الأَجْلَلِ» الَّتِي ذَكَرَهَا الرَّاجِزُ جَاءَ بِهَا عَلَىٰ هَيْئَةٍ مُخَالِفَةٍ لِلْقِيَاسِ اللُّغَوِيِّ الصَّرْفِيِّ؛ لأَنَّ الْقِيَاسَ هُوَ: إِدْغَامُ الْمِثْلَيْنِ (لَ لِ)، وَلَكِنَّ الرَّاجِزَ أَتَىٰ بِالْكَلِمَةِ غَيْرَ مُدْغَمَةِ الْمِثْلَيْنِ، فَالْقِيَاسُ أَنْ يَقُولَ: الْعَلِيِّ الأَجَلِّ.

### الْعَيْبُ الرَّابِعُ - الْكَرَاهَةُ فِي السَّمْعِ:

بِأَنْ تَكُونَ الْكَلِمَةُ وَحْشِيَّةً، تَأْنَفُهَا الطِّبَاعُ، وَتَمُجُّهَا الأَسْمَاعُ، وَقَدْ مَثَّلُوا لِذَلِكَ بِكَلِمَةِ «الجِرِشَّىٰ» فِي قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ:

مُبَارَكُ الاسْمِ، أَغَرُّ اللَّقَبْ كَرِيمُ الجِرِشَّىٰ[1]، شَرِيفُ النَّسَبْ

فَإِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ - وَإِنْ كَانَتْ عَرَبِيَّةً - ثَقِيلَةٌ، تَنْبُو عَنْهَا الأَسْمَاعُ، كَمَا تَنْبُو عَنْ سَمَاعِ الأَصْوَاتِ الْمُنْكَرَةِ[2].

---

(١) الجِرِشَّىٰ - بكسر الجيم والرَّاء مقصورًا - : النَّفْس.

(٢) أَخِي، لِكَيْ تَبْلُغَ حَاجَتَكَ فِي فَهْمِ الْكَلِمَةِ الْفصيحَةِ؛ يَجِبُ أَنْ تُبَالِغَ فِي اخْتِيَارِ اللَّفْظَةِ الخَفِيفَةِ عَلَىٰ الأَلْسِنَةِ، اللَّذِيذَةِ عَلَىٰ الأَسْمَاعِ، الحُلْوَةِ فِي المَذَاقِ، الجَارِيَةِ عَلَىٰ العَادَةِ، المَأْلُوفَةِ فِي الاسْتِعْمَالِ العَرَبِيِّ، فَلا اللِّسَانُ تُكْبِرُهَا، ولا الأَسْمَاعُ تَرْفُضُهَا، مِثْل: كلمة «جَحِيش» بِمَعْنَىٰ: «فَرِيد»، وَكَلِمَة «جَفَخَتْ» بِمَعْنَىٰ: فَخَرَتْ.

وَعَلَيْكَ - أَيْضًا - أَنْ تَسْتَعْمِلَ الأَلْفَاظَ القَوِيَّةَ الجَزْلَةَ فِي مَوْطِنِ الْقُوَّةِ، حَيْثُ الْوَعِيدُ وَالزَّجْرُ وَالتَّهْدِيدُ، وَالحَمَاسَةُ وَالْفَخْرُ، وَالْمُصَارَعَةُ، وَالْفُتُوَّةُ؛ وَالأَلْفَاظَ الرَّقِيقَةَ فِي مَوَاطِنِهَا، حَيْثُ التَّلَطُّفُ وَاسْتِجْلابُ المَوَدَّةِ، وَحُسْنُ الْوَعْدِ، وَالْقُرْآن الكريمُ أَعْدَلُ شاهد عَلَىٰ هَذَا الأُسْلُوب.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ الأَلْفَاظِ الْقَوِيَّةِ الجَزْلَةِ فِي مواطنِهَا فِي الأُسْلُوبِ الْقُرْآنِيِّ قَوله - تَعَالَىٰ - : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ

## فَصَاحَةُ الْكَلَامِ:

أَيْ أَخِي، لِكَي يَكُونَ الْكَلَامُ فَصِيحًا - بَعْدَ فَصَاحَةِ الْكَلِمَةِ - يَجِبُ أَنْ يَسْلَمَ مِمَّا يُبْهِمُ مَعْنَاهُ، وَيَحُولُ دُونَ فَهْمِ الْمَعْنَىٰ الْمُرَادِ.

وَلَابُدَّ أَنْ يَخْلُوَ الْكَلَامُ - لِيَكُونَ فَصِيحًا - مِنْ سِتَّةِ عُيُوبٍ(١):

### الْعَيْبُ الأَوَّلُ - ضَعْفُ التَّأْلِيفِ:

وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ جَارِيًا عَلَىٰ خِلَافِ قَوَانِينِ النَّحْوِ: كَرُجُوعِ الضَّمِيرِ عَلَىٰ مُتَأَخِّرٍ لَفْظًا وَرُتْبَةً فِي قَوْلِ حَسَّانَ - رضي الله عنه -:

وَلَوْ أَنَّ مَجْدًا أَخْلَدَ الدَّهْرَ وَاحِدًا ... مِنَ النَّاسِ أَبْقَىٰ مَجْدُهُ الدَّهْرَ مُطْعِمَا

فَهَذَا الْبَيْتُ غَيْرُ فَصِيحٍ؛ لأَنَّ الضَّمِيرَ فِي «مَجْدُهُ» عَائِدٌ إِلَىٰ «مُطْعِما»، وَهُوَ مُتَأَخِّرٌ - كَمَا تَرَىٰ - لَفْظًا وَرُتْبَةً؛ لأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ لـ«أَبْقَىٰ».

### الْعَيْبُ الثَّانِي - تَنَافُرُ الْكَلِمَاتِ مُجْتَمِعَةً:

وَهُوَ أَنْ تَكُونَ الْكَلِمَاتُ ثَقِيلَةً مِنْ تَرْكِيبِهَا مَعَ بَعْضِهَا، تَمُجُّهَا الأَسْمَاعُ، وَتَنْفِرُ مِنْهَا الطِّبَاعُ، فَلَا الذَّوْقُ يَسْتَمْلِحُهَا، وَلَا النَّفْسُ تَشْتَهِيهَا، كَقَوْلِ الرَّاجِزِ:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرُ ... وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

فَإِنَّ هَذَا الْبَيْتَ لَا يُمْكِنُ لأَحَدٍ أَنْ يُنْشِدَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مُتَوَالِيَاتٍ دُونَ أَنْ يَتَتَعْتَعَ؛ لأَنَّ اجْتِمَاعَ كَلِمَاتِهِ وَقُرْبَ مَخَارِجِ حُرُوفِهَا يُحْدِثَانِ ثِقَلًا ظَاهِرًا، مَعَ أَنَّهُ لَوْ أُخِذَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهُ وَحْدَهَا، لَكَانَتْ غَيْرَ مُسْتَكْرَهَةٍ وَلَا ثَقِيلَةٍ.

---

= فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الزُّمَر: ٦٨]، فَالْمَوْقِفُ فِيهِ شِدَّةٌ وَهَوْلٌ «قِيَامَةٌ»، اسْتُعْمِلَتِ الأَلْفَاظُ الْمُنَاسِبَةُ لِذَلِكَ ﴿نُفِخَ - صَعِقَ﴾، وَمِنَ الأَلْفَاظِ الرَّقِيقَةِ فِي مَوْطِنِهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ -: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦].

(١) انظر «جواهر البلاغة» (ص ٣٠).

### الْعَيْبُ الثَّالِثُ - التَّعْقِيدُ اللَّفْظِيُّ:

وَهُوَ كَوْنُ الْكَلامُ خَفِيَّ الدَّلالَةِ عَلَىٰ المَعْنَىٰ المُرَادُ بِهِ[١]، مِمَّا يُوقِعُ السَّامِعَ فِي حَيْرَةٍ مِنْ فَهْمِ المَعْنَىٰ المُرَادُ، وَالْحِكْمَةُ أَنْ تَكُونَ الْكَلِمَاتُ خَدَمَ المَعْنَىٰ لا الْعَكْس.

### الْعَيْبُ الرَّابِعُ - التَّعْقِيدُ المَعْنَوِيُّ:

وَهُوَ أَنْ يَعْمِدَ المُتَكَلِّمُ إِلَىٰ الحَدِيثِ فِي المَعْنَىٰ، مُسْتَخْدِمًا كَلِمَةً لا تَدُلُّ عَلَىٰ المَعْنَىٰ المُرادُ، وَقَدْ لا يَسْتَخْدِمُ اللَّوَازِمَ الْقَرِيبَةَ، وَالْقَرَائِنَ الْوَاضِحَةَ، الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ المَعْنَىٰ المَقْصُود، مِمَّا يَجْعَلُ المَعْنَىٰ الثَّانِي مِنَ الأَوَّلِ بَعِيداً عَنِ الْفَهْمِ عُرْفًا، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: «نَشَرَ المَلِكُ أَلْسِنَتَهُ فِي المَدِينَةِ» يُرِيدُ «جَوَاسِيسَهُ»، وَالْعُرْفُ «عُيُونَهُ»[٢].

### التَّعْقِيدُ المُعَاصِرُ:

أَي أَخِي، أُحَذِّرُكَ التَّعْقِيدَ المُعَاصِرَ، وَهُوَ: الإِغْرَاقُ فِي الرَّمْزِيَّةِ، الَّتِي تَجْعَلُ لِكُلِّ كَاتِبٍ وَشَاعِرٍ قَوَاعِدَهُ الخَاصَّةَ، وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ: «المَعْنَىٰ فِي بَطْنِ الشَّاعِرِ أَوِ الْكَاتِبِ». وَهَذَا مُخَالِفٌ لِقَوَاعِدِ اللُّغَةِ، وَقَوَاعِدِ الْبَلاغَةِ، وَمَا عُرِفَ عَنِ الْعَرَبِ.

قَالَ فَضْلُ حَسَن عَبَّاس: «إِنَّ خَفَاءَ المَعْنَىٰ وَالإِيحَاءِ الَّذِي يَتَطَلَّبُ الذَّكَاءَ، وَإِعْمَالَ الذِّهْنِ – لا تُنكِرُهُ الْبَلاغَةُ الْعَرَبِيَّةُ، وَلا يُنكِرُهُ الْبُلَغَاءِ، وَلَكِنِ الإِغْرَاقَ فِي الرَّمْزِيَّةِ هُوَ الَّذِي تَأْبَاهُ الْعَرَبِيَّةُ بِنْتُ الشَّمْسِ وَضُحَاهَا؛ ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الرَّمْزِيَّةَ مِنْ

---

(١) كُلُّ ذلكَ يَنْشَأُ مِنْ تقديمٍ، أو تأخيرٍ، أو فَصْلٍ بَيْنَ الكَلِمَاتِ الَّتِي يَجِبُ أن تَتَجَاوَرَ مَع بعْضِهَا: كالْفَصْلِ بأَجْنَبِيٍّ دَخِيلٍ بَيْنَ الموصُوف والصِّفَة، وبَيْنَ الْبَدَلِ وَالْمُبْدَلِ منهُ، وَبَيْنَ الْمُبْتَدَإِ والخَبَرِ، وَبَيْنَ الْمُسْتَثْنَىٰ والْمُسْتَثْنَىٰ مِنْهُ، مِمَّا يُسَبِّبُ ارْتِبَاكًا واضطِرَابًا شديداً، وهَذَا يُوجِبُ اختلالَ المَعْنَىٰ المُراد، بَلْ واضْطِرَابَهُ، وَهُوَ مَعِيبٌ عِنْدَ أهلِ الْبَيَانِ، ولا يُوصَفُ صاحِبُهُ بالْفصَاحَةِ!!.

(٢) قَالَ أَحَدُ أَئِمَّةِ الْبَيَانِ: «إِنَّ الكِنَايَةَ الَّتِي تَسْتَعْمِلُهَا الْعَرَبُ لأَغْرَاضٍ، وَيُغَيِّرُهَا المُتَكَلِّم، وَيُرِيدُ بِهَا أَغْرَاضًا أُخْرَىٰ – تُعْتَبَرُ خُرُوجًا عَنْ سَنَنِ الْعَرَبِ فِي اسْتِعْمَالاتِهِمْ، وَيُعَدُّ ذَلِكَ تَعْقِيداً فِي المعنىٰ».

شَأْنِهَا أَنْ تَقْضِيَ عَلَىٰ كُلِّ وُضُوحٍ مِنْ جِهَةٍ، وأَنْ تَجْعَلَ لِكُلِّ كَاتِبٍ وَشَاعِرٍ قَوَاعِدَهُ الخَاصَّةَ، وَرَكَائِزَهُ الَّتِي يَنْطَلِقُ مِنْهَا وَحْدَهُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ.

إِنَّ المَجَازَ وَالْكِنَايَةَ فِي الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَرْوَعِ سِمَاتِهَا، وأَجْمَلِ بَسَمَاتِهَا، وَلَكِنْ عَلَىٰ أَنْ تَكُونَ الْكِنَايَةُ وَاضِحَةَ اللُّزُومِ، وَأَنْ يَكُونَ المَجَازُ ذَا عِلاقَةٍ قَرِيبَةٍ.

قَدْ أَجِدُ إِنْسَانًا بَعِيدًا عَنِ الْعَطَاءِ، لا يُحْسِنُ إِلاَّ أَنْ يَأْخُذَ، تُرَىٰ أَيَحْسُنُ أَنْ أَصِفَ هَذَا الإِنْسَانَ بِأَنَّهُ حُفْرَةٌ؛ لأَنَّ الحُفْرَةَ تَأْخُذُ وَلا تُعْطِي؟!.

وَإِذَا وَجَدْتُ إِنْسَانًا كَثِيرَ الْقِرَاءَةِ، يَعِيشُ بَيْنَ الْكُتُبِ، أَيَحْسُنُ أَنْ أَصِفَهُ بِالْفَأْرَةِ؛ بِحُجَّةِ أَنَّ الْفَأْرَةَ تَنْخَرُ الْكُتُبَ؟!»[١].

وَلَقَدْ وَصَفَ الرَّمْزِيِّينَ الأَدِيبُ أَحْمَد حَسَن الزَّيَّات - رَحِمَهُ اللهُ - ، فَأَبْدَعَ وَأَمْتَعَ، وَضَرَبَ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ، فَقَالَ: «يَدْفَعُونَ بِالنَّظَرِيَّاتِ إِلَىٰ حَدِّهَا الأَقْصَىٰ، فَيَقَعُونَ فِي ظُلْمَةِ الْغَسَقِ، وَهُمْ يَطْلُبُونَ أَضْوَاءَ الشَّفَقِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ رَاقَهُمْ مِنَ الرَّمْزِيَّةِ ذَلِكَ التَّآلُفُ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالمَعْنَىٰ، وَذَلِكَ التَّزَاوُجُ بَيْنَ الحَوَاسِّ المُخْتَلِفَةِ - وَبِخَاصَّةٍ بَيْنَ الْبَصَرِ وَالسَّمْعِ - فَيُعْجِبُهُمْ أَنْ يَقُولُوا: صَوْتُ الرَّائِحَةِ، وَلَوْنُ الْكَلامِ، وَعِطْرُ الْفِكْرِ، وَخُضْرَةُ الأَمَلِ، فَإِنَّ الْبَيَانَ الْعَرَبِيَّ لا يَأْبَىٰ هَذَا النَّوْعَ مِنَ المَجَازِ، مَادَامَتْ عَلاقَتُهُ قَرِيبَةً، وَمُنَاسَبَتُهُ ظَاهِرَةً.

فَإِذَا أَدَّىٰ إِلَىٰ التَّعْقِيدِ المَعْنَوِيِّ بِبُعْدِ اللُّزُومِ فِي الْكِنَايَةِ، أَوْ غَرَابَةِ الْعَلاقَةِ فِي المَجَازِ: كَالْكِنَايَةِ بِنُصُوعِ الجَبِينِ عَنْ خُلُوِّ المَلاَّحِ مِنَ الدَّلالَةِ عَلَىٰ الذَّكَاءِ، أَوِ اسْتِعَارَةِ الأَسَدِ لِلرَّجُلِ الأَبْخَرِ لا لِلرَّجُلِ الشُّجَاعِ، عَلَىٰ اعْتِبَارِ أَنَّ الْبَخَرَ[٢] وَالشَّجَاعَةَ مِنْ لَوَازِمِ الأَسَدِ - كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْعِيَّ الَّذِي يُنَاقِضُ الْبَيَانَ، وَاللَّبْسَ الَّذِي يُنَاهِضُ الْبَلاغَةَ»[٣].

---

(١) «البلاغةُ: فنونها وأفْنَانها» لفضل حسن عبّاس (١/ ٥٢).

(٢) البَخَر: نَتَنُ الفَمِ، وبَابُهُ فَرِحَ، فَهُوَ أَبْخَرُ، وَهِيَ بَخْرَاءُ، والجمع بُخْرٌ.

(٣) «دفاعٌ عن البَلاغة» (ص١٥٨).

قُلْتُ: وَمِثْلُ هَذَا الصِّنْفِ كُثْرٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ الرَّمْزِيِّينَ الْمُتَأَثِّرِينَ بِالثَّقَافَةِ الْوَافِدَةِ: كَشُعَرَاءِ الْحَدَاثَةِ، وَبَعْضِ الْكُتَّابِ الَّذِينَ يُخْفُونَ الْمَعَانِيَ، حَتَّىٰ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَإِذَا سَأَلْتَ أَحَدَهُمْ: مَا مَعْنَىٰ قَوْلِكَ فِي شِعْرِكَ أَوْ فِي مَقَالِكَ؟، تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ وَانْتَفَخَ، فَمِثْلُ هَذَا الصِّنْفِ قَدْ كَثُرَتِ الشَّكْوَىٰ مِنْهُمْ، حَتَّىٰ مِنْ نُفُوسِهِمُ الَّتِي هِيَ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ، وَنَعَىٰ حَالَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْغَيُورِينَ عَلَىٰ اللُّغَةِ.

### قَالَ أَحَدُ الْغَيُورِينَ يَنْعَىٰ عَلَىٰ الرَّمْزِيِّينَ رَمْزَهُمُ الْمُغْلَقَ:

لُغَةٌ مُشَوَّهَةٌ وَمَعْنىً حَائِرُ ... خَلْفَ الْمَجَازِ وَمَنْطِقٌ مُتَعَثِّرُ
وَزَعِيمُهُمْ فِي زَعْمِهِمْ مُتَفَنِّنٌ ... عَجَبًا أَكَانَ الْفَنُّ فِيمَا يُضْمَرُ؟
لا الأَرْضُ تَفْهَمُ مَا يُصَوِّرُهُ لَهَا ... هَذَا الزَّعْمُ، ولا السَّمَاءُ تُفَسِّرُ!

### الْعَيْبُ الخَامِسُ - كَثْرَةُ التَّكْرَارِ:

وَهُوَ أَنْ يَتَكَرَّرَ اللَّفْظُ الْوَاحِدُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّتَيْنِ، وَذَلِكَ مَعِيبٌ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ، وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا اللَّفْظُ اسْمًا - ظَاهِرًا أَوْ مُضْمَرًا -، أَوْ فِعْلًا، أَوْ حَرْفًا.

### وَمِنَ التَّكْرَارِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ:

وَقَلْقَلْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلْقَلَ الحَشَا ... قَلاقِلَ عِيسٍ، كُلُّهُنَّ قَلاقِلُ

### وَقَوْلُ رُؤْبَةَ:

إِنِّي - وَأَسْطَارٍ سُطِرْنَ سَطْرًا - ... لَقَائِلٌ: يَا نَصْرُ نَصْرًا نَصْرَا

فَانْظُرْ إِلَىٰ التَّكْرَارِ فِي حُرُوفِ السِّينِ وَالطَّاءِ وَالضَّادِ الهَذِي انْتَزَعَ مِنَ الأَبْيَاتِ حَلاوَتَهَا.

## الْعَيْبُ السَّادِسُ - تَتَابُعِ الإِضَافَاتُ مَعَ ثِقَلِهَا عَلَى اللِّسَانِ:

وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الاسمُ مُضَافًا إِضَافَةً مُتَدَاخِلَةً غَالِبًا.

### كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

الـزَّهْـرُ والـقَـطْـرُ فـي رُبَـاهـا[١]
مـا بَـيْـنَ نَـظْـمٍ وَبَـيْـنَ نَـثْـرِ
حَـدَائِـقُ كَـدٌّ كُـلِّ ريـحٍ
حَـلَّ بـهـا خَـيْـطُ كـلِّ قَـطْـرِ

### وَمِثَالُ ذَلِكَ - أَيْضًا - قَوْلُ ابْنِ بَابَكَ:

حَمَامَةَ جَرْعًا[٢] حَوْمَةَ[٣] الجَنْدَلِ[٤] اسْجَعِي[٥]
فَـأَنْتِ بِـمَـرْأَىً مِنْ سُـعَـادَ وَمَـسْـمَعِ

فَفِيهِ إِضَافَة (حَمَامَةَ) إِلَىٰ (جَرْعَا)، ثُمَّ إِضَافَة (جَرْعا) إِلَىٰ (حَوْمَة)، ثُمَّ إِضَافَةُ (حَوْمَة) إِلَىٰ (الجَنْدَل)؛ فَإِنْ تَدَاخَلَت الإِضَافَاتُ، وَلَمْ تُوجِبْ ثِقْلاً عَلَىٰ اللِّسَان - فَلا تُخِلُّ بِالْفَصَاحَة، كَمَا فِي قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝٢﴾ [مَرْيَم: ٢].

---

(١) الرُّبَا: جمع رِبْوَةٍ - بالتَّثْلِيث - ، وهي ما ارتفع من الأرض.

(٢) الجَرْعاء - بزنة الحمراء - ، وقُصِرَ لضرورة الوزن - : الأرض الرمليّة لا تُنبتُ شيئًا، ولا تُمسكُ ماءً.

(٣) حومة كل شيء - بالفتح - : مُعظمُهُ.

(٤) الجندل - بفتح الدال وقد تكسر - : الحجَارة.

(٥) سَجَعَت الحمامَةُ - من باب قَطَعَ - : هَدَرَتْ وصَوَّتَت، فهي ساجعةٌ وَسَجُوعٌ، والجمع سُجَّعٌ وسَوَاجِعُ. يقول: اطْرَبِي يا حمامة أرضٍ قَفْرَةٍ سَبْخَةٍ -؛ فإنَّ الحَبيبةَ تَرَاكِ وتسمَعُكِ.

# الأُسْلُوبُ

الأُسْلُوبُ: هُوَ المَعْنَىٰ المَصُوغُ فِي أَلْفَاظٍ مُؤَلَّفَةٍ عَلَىٰ صُورَةٍ تَكُونُ أَقْرَبَ لِنَيْلِ الْغَرَضِ المَقْصُودِ مِنَ الْكَلامِ، وَأَوْقَعَ فِي نُفُوسِ سَامِعِيهِ(١).

وَلَهُ ثَلاثُ صِفَاتٍ:

## ١ - الجِدَّةُ:

وَهِي اخْتِيَارُ اللَّفْظَةِ، وَطَرَافَةُ الْعِبَارَةِ، فَالْكَاتِبُ لابُدَّ أَنْ تَكُونَ لَهُ شَخْصِيَّتُهُ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ كَلامُهُ مُنبَثِقًا مِنْ ذِهْنِهِ لا مِنْ ذَاكِرَتِهِ، وَمِنْ نَفْسِهِ لا مِنَ النَّاسِ.

## ٢ - الإيجازُ:

وَهُوَ إِجَاعَةُ اللَّفْظِ، وَإِشْبَاعُ المَعْنَىٰ، فَهُوَ مِنْ أَبْرَزِ الصِّفَاتِ المُمَيِّزَةِ لِلأُسْلُوبِ الجَيِّدِ.

## ٣ - التَّلاؤُمُ:

وَأَمَّا التَّلاؤُمُ فَهُوَ مَا بَيْنَ الجُمَلِ مِنْ تَنْسِيقٍ وَرَوْعَةِ إِيقَاعٍ فِي النُّفُوسِ، وَإِذَا كَانَتِ الصُّورَةُ شَكْلاً فِي الأُسْلُوبِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ دَلِيلاً عَلَىٰ إِهْمَالِ المَعْنَىٰ، بَلِ الأَلْفَاظُ - عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ - تَابِعَةً لِلْمَعْنَىٰ(٢).

## أَقْسَامُ الأُسْلُوبِ:

يَنْقَسِمُ الأُسْلُوبُ إِلَىٰ أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

---

(١) انظر «جواهر البلاغة» للهاشميّ (ص٣١)، و«البلاغة الواضحة» لعليّ الجارم، ومصطفىٰ أمين (ص١٢).

(٢) انظر «البلاغة فنونها وأفنانها» للدكتور/ فضل حسن عبَّاس (١/ ٧٠).

### ١ - الأُسْلُوبُ الْعِلْمِيُّ:

أَهَمُّ مُمَيِّزَاته أَنَّهُ يُخَاطِبُ الْعَقْلَ، وَيُوَضِّحُ الحَقَائِقَ الْعِلْمِيَّةَ بِأَوْضَحِ حُجَّةٍ، وَأَسْطَعِ بُرْهَانٍ، وَلَابُدَّ أَنْ يَبْدُو فِيهِ أَثَرُ الْقُوَّةِ وَالجَمَالِ، وَقُوَّتُهُ فِي سُطُوعِ بَيَانِهِ، وَرَصَانَةِ حُجَجِهِ، وَجَمَالُهُ فِي سُهُولَةِ عِبَارَاتِهِ، وَسَلَامَةِ الذَّوْقِ فِي اخْتِيَارِ كَلِمَاتِهِ، وَحُسْنِ تَقْرِيرِهِ المَعْنَىٰ فِي الأَفْهَامِ مِنْ أَقْرَبِ وُجُوهِ الْكَلَامِ.

وَيَحْسُنُ فِي هَذَا الأُسْلُوبِ التَّنَحِّي عَنِ الإِغْلَاقِ(١) وَالإِغْرَاقِ(٢)، إِلاَّ مَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ عَفْوًا، أَمَّا التَّشْبِيهُ الَّذِي يُقْصَدُ بِهِ تَقْرِيبُ الحَقَائِقِ إِلَىٰ الأَفْهَامِ وَتَوْضِيحُهَا بِذِكْرِ مُمَاثِلِهَا فَهُوَ فِي هَذَا الأُسْلُوبِ حَسَنٌ مَقْبُولٌ.

**وَمِثَالٌ عَلَىٰ ذَلِكَ:** المُتُونُ الْعِلْمِيَّةُ؛ لأَنَّ الْغَرَضَ هُوَ تَوْضِيحُ الحَقِيقَةِ، وَتَوْصِيلُ المَعَارِفِ إِلَىٰ الأَذْهَانِ بِعِبَارَةٍ سَهْلَةٍ دَقِيقَةٍ، غَيْرِ مُعْتَمِدَةٍ عَلَىٰ الأَلْفَاظِ المُوحِيَةِ وَالخَيَالِ، أَوْ إِثَارَةِ الْعَوَاطِفِ وَالمَشَاعِرِ.

### ٢ - الأُسْلُوبُ الأَدَبِيُّ:

الجَمَالُ أَبْرَزُ صِفَاتِهِ، وَأَظْهَرُ مُمَيِّزَاتِهِ، وَمَنْشَأُ جَمَالِهِ مَا فِيهِ مِنْ خَيَالٍ رَائِعٍ، وَتَصْوِيرٍ دَقِيقٍ، وَتَلَمُّسٍ لِوُجُوهِ الشَّبَهِ الْبَعِيدَةِ بَيْنَ الأَشْيَاءِ، وَإِلْبَاسِ المَعْنَوِيِّ ثَوْبَ المَحْسُوسِ، وَإِظْهَارِ المَحْسُوسِ فِي صُورَةِ المَعْنَوِيِّ.

وَالْغَرَضُ مِنْ هَذَا الأُسْلُوبِ نَقْلُ الشُّعُورِ وَالإِحْسَاسِ إِلَىٰ الآخَرِينَ بِمُخَاطَبَةِ الْعَوَاطِفِ.

---

(١) الإغلاق: هو ما يُوجِبُ حَيْرَةَ السَّامِعِ فِي فَهْمِ المَعْنَىٰ لتَرَدُّدِهِ بَيْنَ مَعْنَيَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، فَيُصْبِحُ مَثَارًا للظُّنُونِ، ومَجَالاً للتَّوْجِيهِ والتَّأْوِيلِ.

(٢) إِغْرَاقٌ: هُوَ أَلاَّ يُغْرِقَ صَاحِبُهُ فِي الْكِنَايَةِ، والمَجَازِ، وَمُحَسِّنَاتِ الْبَدِيعِ الَّذِي هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الأُسْلُوبِ الأَدَبِيِّ.

وَيَقُومُ عَلَىٰ إِبْرَازِ الْفِكْرَةِ الْمَمْزُوجَةِ بِالْعَوَاطِفِ، وَالنَّسَقِ التَّعْبِيرِيِّ بِأَلْفَاظٍ مُنْتَقَاةٍ، وَالصُّورَةِ وَالأَخْيِلَةِ.

وَيَتَمَيَّزُ بِإِشَاعَةِ الْعَاطِفَةِ الْمُبْرِزَةِ لِلشُّعُورِ وَالإِحْسَاسِ، وَالأَلْفَاظِ الْمُوحِيَةِ، وَالتَّرَادُفِ، وَالتَّكْرَارِ.

وَلَا يُظَنُّ أَنَّ كَثْرَةَ الْمَجَازِ وَالتَّشْبِيهَاتِ وَالأَخْيِلَةِ فِي هَذَا الأُسْلُوبِ تَزِيدُ مِنْ حُسْنِهِ؛ فَإِنَّ التَّكَلُّفَ وَتَعَمُّدَ الصَّنْعَةِ يُفْسِدُ هَذَا الأُسْلُوبَ، وَيَذْهَبُ بِجَمَالِهِ، وَمَا زَادَ عَنْ حَدِّهِ انْقَلَبَ إِلَىٰ ضِدِّهِ(١).

وَمِنَ السَّهْلِ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ الشِّعْرَ وَالنَّثْرَ الأَدَبِيَّ هُمَا مَوْطِنَا هَذَا الأُسْلُوبِ، فَفِيهِمَا يَزْدَهِرُ، وَفِيهِمَا يَبْلُغُ قِمَّةَ الإِبْدَاعِ وَغَايَةَ الْجَمَالِ.

وَإِنَّكَ لَتَلْمِسُ هَذَا الأُسْلُوبَ لَدَىٰ الْجَاحِظِ فِي بَيَانِهِ، وَالْحَرِيرِيِّ فِي مَقَامَتِهِ، وَالْمُتَنَبِّي فِي رَائِعَتِهِ...

### ٣ - الأُسْلُوبُ الْعِلْمِيُّ الْمُتَأَدِّبُ:

وَهُوَ مَا كَانَ مُتَأَلِّفًا مِنَ الأُسْلُوبَيْنِ، فَيُخَاطِبُ الْعَقْلَ وَالْعَاطِفَةَ، وَمِنْ مُمَيِّزَاتِهِ أَنَّهُ يُبْرِزُ الْحَقَائِقَ الْعِلْمِيَّةَ فِي أُسْلُوبٍ جَذَّابٍ بَعِيدٍ عَنِ الْجَفَافِ الْعِلْمِيِّ، وَذَلِكَ بِالتَّخْفِيفِ مِنَ الْمُصْطَلَحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، وَاخْتِيَارِ الأَلْفَاظِ الْمُنْتَقَاةِ الْمُمْتَزِجَةِ بِالْعَاطِفَةِ، الْمُبْرِزَةِ لِلشُّعُورِ وَالإِحْسَاسِ.

فَيُكْسِبُ الْكَلَامَ وُضُوحًا وَإِشْرَاقًا، يَنْسَابُ إِلَىٰ سَمْعِ السَّامِعِ وَقَلْبِهِ انْسِيَابَ السَّيْلِ إِلَىٰ الْحُدُورَةِ(٢)، فَالْخَلَايَا لَهَا أُذَانٌ تَعِي حُلَلَ الْبَيَانِ، وَتَسْتَمِعُ بِحَلَاوَةِ

---

(١) انظر «جواهر البلاغة» لأحمد الهاشميِّ (ص٣٢)، وانظر - أيضًا - كتابي «تُحْفَةُ الخطيب» ففيه ما يَشْفِي ويَكْفِي - إن شاء الله -.

(٢) الحُدُورة - بضمِّ الحاء وفتحها -: المكان المُنْحَدِر.

الإيقاعِ، فَمَا أَشْبَهَ هَذَا الأُسْلُوبَ بِخَلِيَّةِ نَحْلٍ، وَقَارِئَهُ بِالنَّحْلَةِ الْمُنْتَقِلَةِ بَيْنَ الزُّهُورِ الْعَطِرَةِ، وَالْحَدَائِقِ النَّضِرَةِ!.

وَهَذَا الأُسْلُوبُ هُوَ الْغَالِبُ، تَجِدُهُ فِي رِيَاضِ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَآثَارِ الصَّحَابَةِ، وَأَقْوَالِ السَّلَفِ: كَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَمُؤَلَّفَاتِ الشَّافِعِيِّ، وَابْنِ الْجَوْزِيِّ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ الْقَيِّمِ، وَالذَّهَبِيِّ، وَغَيْرِهِمْ كَثِيرٌ ...

### ٤ - الأُسْلُوبُ الخَطَابِيُّ:

هُنَا تَبْرُزُ قُوَّةُ الْمَعَانِي وَالأَلْفَاظِ، وَقُوَّةُ الْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، وَقُوَّةُ الْعَقْلِ الْخَصِيبِ، وَهُنَا يَتَحَدَّثُ الْخَطِيبُ إِلَىٰ إِرَادَةِ سَامِعِيهِ لإِثَارَةِ عَزَائِمِهِمْ، وَاسْتِنْهَاضِ هِمَمِهِمْ، وَلِجَمَالِ هَذَا الأُسْلُوبِ وَوُضُوحِهِ شَأْنٌ كَبِيرٌ فِي تَأْثِيرِهِ وَوُصُولِهِ إِلَىٰ قَرَارَةِ النُّفُوسِ، وَمِمَّا يَزِيدُ فِي تَأْثِيرِ هَذَا الأُسْلُوبِ مَنْزِلَةُ الْخَطِيبِ فِي نُفُوسِ سَامِعِيهِ وَقُوَّةُ عَارِضَتِهِ، وَسُطُوعُ حُجَّتِهِ، وَنَبَرَاتُ صَوْتِهِ، وَحُسْنُ إِلْقَائِهِ، وَمُحْكَمُ إِشَارَتِهِ.

وَمِنْ أَظْهَرِ مُمَيِّزَاتِ هَذَا الأُسْلُوبِ التَّكْرَارُ، وَاسْتِعْمَالُ الْمُتَرَادِفَاتِ، وَضَرْبُ الأَمْثَالِ، وَاخْتِيَارُ الْكَلِمَاتِ الْجَزْلَةِ[1] ذَاتِ الرَّنِينِ، وَيَحْسُنُ فِيهِ أَنْ تَتَعَاقَبَ ضُرُوبُ التَّعْبِيرِ مِنْ إِخْبَارٍ إِلَىٰ اسْتِفْهَامٍ، إِلَىٰ تَعَجُّبٍ، إِلَىٰ اسْتِنْكَارٍ، وَأَنْ تَكُونَ مَوَاطِنُ الْوَقْفِ فِيهِ كَافِيَةً شَافِيَةً، وَاضِحَةً قَوِيَّةً.

وَمِنْ خَيْرِ الأَمْثِلَةِ لِهَذَا الأُسْلُوبِ خُطْبَةُ النَّبِيِّ - ﷺ - عَقِبَ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، حِينَمَا بَلَغَهُ أَنَّهُمْ سَاخِطُونَ عَلَىٰ قِلَّةِ نَصِيبِهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ.

فَقَالَ - بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ - :

---

(١) الكلماتُ الجَزْلَة: القويَّة ضدّ الرَّكيكَة.

«يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ(١)، مَا قَالَةٌ(٢) بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ، وَجِدَةٌ(٣) وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ؟، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُ، وَعَالَةً(٤) فَأَغْنَاكُمُ اللهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟!».

قَالُوا: بَلَىٰ(٥)، اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ(٦) وَأَفْضَلُ.

ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؟»(٧).

---

(١) يا مَعْشَرَ الأَنْصار: تخْصيصُ الخطاب أساسٌ مُهِمٌّ مِنَ الأُسُسِ الَّتي يمتازُ بها أسلوبُ الخَطابَة عن غيره مِنْ أساليب الأدب.

والخطبَةُ: تَحْفلُ بتذكيرِ الأنصارِ بأَنَّهُمْ هُمُ المُخاطبون؛ فابتدأتْ بعبارة «يا مَعْشَرَ الأَنْصارِ»، ثُمَّ تَكَرَّرَ هَذَا التَّعْبيرُ، وتكرَّرَ ذِكْرُ الأَنْصارِ مَرَّات عَديدةً، وكَأَنَّ الخُطْبَةَ تُراعِي أَنَّهُمْ كُلَّمَا اسْتَغْرَقُوا في تَعَمُّقِ المعَاني وَمُتَابَعَةِ الخُطْبَةِ، أَعَادَهُمْ هَذَا النِّدَاءُ «يَا مَعْشَرَ الأَنْصارِ» إِلَىٰ التَّنَبُّهِ وَالتَّيَقُّظِ، فَضْلاً عَنْ إِشْعَارِهِمْ بِأَنَّهُمُ المُخَاطَبونَ والمعْنيُّونَ. «البَلاغَةُ النَّبَوِيَّةُ وَأَثَرُهَا فِي النُّفُوسِ» بَحْثٌ أَعَدَّهُ حسن جاد في مجلَّة البُحُوث عدد (٥)، (ص١٤٩).

(٢) قَالَة: مَقَالَة يَعْني كَلامًا.

(٣) الجِدَةَ ــ بزِنَة العدَة ــ: السُّخَط والغَضَب، يُقَالُ: وَجَدَ عَلَيْهِ ــ بالْفَتْحِ ــ يَجِدُ ــ بالكَسْرِ وَالضَّمِّ ــ وَجْدًا، وَجِدَةً، ومَوْجِدَةً ــ بكَسْرِ الجيمِ ــ: إِذَا غَضِبَ.

(٤) عَالَة: فُقَرَاء، جمعُ عَائِلٍ، وَيُجْمَعُ ــ أَيْضًا ــ عَلَىٰ عُيَّلٍ، وَعَيْلَىٰ ــ بِزِنَة سَكْرَىٰ ــ.

(٥) بَلَىٰ: جَوابٌ بمَعْنَىٰ نَعَمْ في جَوَابِ الاسْتِفْهَامِ المَنْفيِّ.

(٦) أَمَنُّ: أَكْثَرُ مَنًّا، وَالمَنُّ: الإِنْعَامُ، وبَابُهُ رَدَّ.

(٧) الأَسْئِلَةُ مِنَ الأُسُسِ الَّتِي يَمْتَازُ بِهَا أُسْلُوبُ الخَطَابَة، فَإِنَّ تَوجِيهَ الأَسْئِلَة إِلَىٰ السَّامِعِينَ يُحَقِّقُ لِلْخَطِيبِ عِدَّةَ أَهْدَافٍ، فَمِنْهَا:

أَنَّهَا تُوقِظُ عُقُولَ السَّامِعِينَ، وَتُثِيرُ حَمَاسَهُمْ وَاهْتِمَامَهُمْ لِلْبَحْثِ عَنْ إِجَابَةٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْفُسِهِمْ، وَهَذِهِ اليَقَظَة يَحْتَاجُهَا الخَطِيبُ؛ لِيَعُوا كَلامَهُ وَأَهْدَافَهُ، وَالْوَاقِعُ أَنَّ الْخَطِيبَ لا يَنْتَظِرُ مِنَ السَّامِعِينَ الإِجَابَةَ، وَلا يَتَوَقَّعُهَا بَلْ هُوَ الَّذِي سَيُجِيبُ عَنْ أَسْئِلَته؛ لأَنَّهَا أَسْئِلَةٌ هَادِفَةٌ، صَاغَهَا بِطَرِيقَةٍ مُعَيَّنَةٍ فِي تَسَلْسُلٍ وَتَرْتِيبٍ، يُؤَدِّي بِهَا عَادَةً إِلَىٰ إِجَابَةٍ تِلْقَائِيَّةٍ يُرِيدُهَا الخَطِيبُ، وَالخُطْبَةُ حَافِلَةٌ بِالأَسْئِلَة الْعَدِيدَةِ المُتَنَوِّعَة، بَلْ تَكَادُ تَكُونُ الأَسْئِلَةُ أَبْرَزَ مَا فِيهَا، فَقَدِ اسْتَهَلَّهَا النَّبِيُّ ــ ﷺ ــ: «مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ؟»، ثُمَّ يُوَاصِلُ الأَسْئِلَةَ: «أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُ؟»، ثُمَّ: «أَلا تُجِيبُونِي يا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؟»، وهَكَذَا. انظر «البَلاغة النَّبَوِيَّة» (٥/١٥٧).

قَالُوا: بِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟!، للهِ وَرَسُولِهِ المَنُّ وَالْفَضْلُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -:

«أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ - فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ -: أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلاً فَآسَيْنَاكَ [١]، أَوَجَدْتُمْ - يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ - فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ [٢] مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا؛ لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ [٣] إِلَىٰ إِسْلامِكُمْ؟!.

أَلاَ تَرْضَوْنَ - يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ - أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللهِ إِلَىٰ رِحَالِكُمْ [٤]؟!.

فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءًا مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا [٥]، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ!».

فَبَكَىٰ الأَنْصَارُ، حَتَّىٰ أَخْضَلُوا [٦] لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قَسْمًا [٧] وَحَظًّا [٨] [٩].

---

(١) عائلاً: فقيراً مُحْتَاجًا، وآسيناكَ: بِمَعْنَىٰ سَاعَدْنَاكَ.

(٢) اللُّعَاعَة - بِضَمِّ اللاَّمِ -: النَّبَاتُ الضَّعِيف الصَّغِير، والمُرَادُ الشَّيْءُ اليَسِيرُ، وَفِي لُعَاعَةٍ: أَيْ بِسَبَبِ لُعَاعَةٍ.

(٣) وَكَلْتُكُمْ: تَرَكْتُكُمْ.

(٤) رِحَالُكُمْ: جَمْعُ رَحْلٍ - بِالْفَتْحِ -، وَهُوَ مَرْكَبٌ لِلْبَعِيرِ، وَيُجْمَعُ - أَيْضًا - عَلَىٰ أَرْحُلٍ.

(٥) الشِّعْب - بكسر الشين -: الطَّرِيق في الجبل، والجمع شِعَاب.

(٦) أخضلُوا: يعني بَلَّلوا بالدُّمُوعِ.

(٧) الْقَسْمُ - بالفتح -: الْعَطَاء، ولا جمْعَ لَهُ.

(٨) الحَظُّ: المرادُ به النَّصيب من الخير والفَضْلِ.

(٩) أخرجه البخاريُّ (٤٣٩٠) عن عبد الله بن زيدٍ، و(٤٣٣١)، و(٤٣٣٧)، عن أنسٍ، ومسلم (١٠٥٩) عن أنسٍ، و(١٠٦١)، عن عبد الله بن زيدٍ.

فَانْظُرْ – أَخِي فِي اللهِ – كَيْفَ تَدَرَّجَ النَّبِيُّ – ﷺ – فِي إِثَارَةِ شُعُورِ الأَنْصَارِ، حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَىٰ الْقِمَّةِ.

فَمِنَ الْوَاضِحِ فِي الْخُطْبَةِ أَنَّهَا مُقَسَّمَةٌ إِلَىٰ عَنَاصِرَ مُحَدَّدَةٍ مُتَمَيِّزَةٍ، وَهَذِهِ الْعَنَاصِرُ تَتَدَرَّجُ إِلَىٰ الْغَرَضِ الْمَنْشُودِ فِي تَرْتِيبٍ وَتَنْسِيقٍ وَاضِحَيْنِ، وَنَسْتَطِيعُ الإِلْمَامَ السَّرِيعَ بِهَذِهِ الْعَنَاصِرِ كَمَا يَأْتِي[1]:

١ – فِي الْمُسْتَوَىٰ الْعَالِي مِنَ الْخَطَابَةِ لاَبُدَّ لِلْخَطِيبِ مِنْ (مُقَدِّمَةٍ)، يَجْعَلُهَا مُنْطَلَقًا وَمَدْخَلاً إِلَىٰ مَوْضُوعِهِ، وَتَخْتَلِفُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةُ مِنْ خُطْبَةٍ إِلَىٰ خُطْبَةٍ بِاخْتِلاَفِ الْمَوْضُوعِ وَالْمُنَاسَبَةِ وَالظُّرُوفِ، وَلَكِنْ لاَبُدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ مُثِيرَةً لِلاِنْتِبَاهِ، وَمَوْضِعَ تَسْلِيمِ السَّامِعِينَ، بِحَيْثُ يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ أَسَاسًا لِمُتَابَعَةِ مَوْضُوعِ الْخُطْبَةِ حَتَّىٰ النِّهَايَةِ، وَمَقْدِرَةُ الْخَطِيبِ وَبَلاَغَتُهُ هِيَ الَّتِي تُحَدِّدُ طَابِعَ هَذَا التَّمْهِيدِ وَنَوْعِهِ، وَلَكِنِ التَّمْهِيدِ يَكُونُ – فِي أَغْلَبِ الأَحْيَانِ – مِقْيَاسًا أَوْ سَبَبًا أَسَاسِيًّا لِمَدَىٰ نَجَاحِ الْخُطْبَةِ أَوْ فَشَلِهَا، وَالنَّبِيُّ – ﷺ – بَدَأَ خُطْبَتَهُ بِهَذَا التَّمْهِيدِ الْمُوجَزِ الْمُرَكَّزِ، الَّذِي يَمْلأُ السَّامِعِينَ اقْتِنَاعًا وَتَسْلِيمًا، فَهُوَ يُذَكِّرُهُمْ فِي صُورَةِ سُؤَالٍ: «أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُ؟!».

فَهِيَ حَقَائِقُ مُسَلَّمَةٌ، يُذَكِّرُهُمْ بِهَا الرَّسُولُ – ﷺ –؛ لِيَلْفِتَ نَظَرَهُمْ مُقَدِّمًا إِلَىٰ أَنَّهُمْ مَهْمَا كَانَ فَضْلُهُمْ، فَإِنَّ فَضْلَهُ عَلَيْهِمْ أَعْظَمُ وَأَسْبَقُ.

بِهَذَا التَّمْهِيدِ قَدْ بَدَأَتِ النَّظَرِ لِلْمَوْضُوعِ نَظْرَةً تَخْتَلِفُ عَنْ نَظْرَتِهَا قَبْلَهُ، وَبِهَذَا يَكُونُ قَدْ غَيَّرَ مَجْرَىٰ تَفْكِيرِهِمْ، وَفِي جَذْبِهِمْ إِلَىٰ مَوْضُوعِ الْخُطْبَةِ بِعَقْلٍ مُقْنِعٍ مُقَدَّمًا، وَبِدُونِ هَذَا التَّمْهِيدِ يَصْعُبُ الْوُصُولُ إِلَىٰ إِقْنَاعِ بَعْضِ السَّامِعِينَ.

---

(١) انظر «البلاغة النَّبَوِيَّة وأثرها في النّفوس» لحسن جاد، بحث في مجلّة البحوث عدد (٥ / ١٥١).

٢ – وَحَتَّىٰ يَقْتَلِعَ النَّبِيُّ – ﷺ – كُلَّ جُذُورِ الْفِتْنَةِ؛ فَقَدْ صَوَّرَهُمْ فِي صُورَةِ الْخَصْمِ الَّذِي يُدَافِعُ عَنْ حَقِّهِ، وَلِحِكْمَةِ الرَّسُولِ – ﷺ – الْبَالِغَةِ السُّمُوِّ تَجْعَلُهُ يَنُوبُ عَنْهُمْ فِي الْخُصُومَةِ مُدَافِعًا عَنْهُمْ، وَعَارِضًا وِجْهَةَ نَظَرِهِمْ كَامِلَةً، قَالَ: «**أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟**».

وَلَكِنَّهُمْ أَبَوْا أَنْ يَقِفُوا مَعَ الرَّسُولِ – ﷺ – مَوْقِفَ الْخَصْمِ، وَإِذَا كُلُّ رَدِّهِمْ: «بِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟!، للهِ وَرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ».

وَالرَّسُولُ – ﷺ – يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ إِجَابَةُ الإِيمَانِ.

ثُمَّ يَبْقَىٰ مَا يُزِيلُ مَا فِي النَّفْسِ؛ وَلِذَلِكَ نَابَ هُوَ عَنْهُمْ بِأَبْلَغِ مَا كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَتَمَثَّلُوا بِهِ هُمْ، وَلَنَا أَنْ نَتَصَوَّرَ الأَنْصَارَ قَدْ أَخَذَتْ مِنْهُمُ الدَّهْشَةُ، وَبَلَغَ مِنْهُمُ الذُّهُولُ، فَهُمْ لَوْ وَقَفُوا مِنَ الرَّسُولِ – ﷺ – مَوْقِفَ الْخُصُومَةِ، فَلَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذِهِ الْحُجَجِ، وَهُنَاكَ أَمْرٌ يَأْخُذُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعُقُولِهِمْ كُلَّ أَقْطَارِهَا إِعْجَابًا بِخُلُقِ الرَّسُولِ – ﷺ – وَحُبًّا لَهُ.

وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ النَّبِيَّ – ﷺ – بِهَذِهِ الْعَنَاصِرِ قَدْ جَعَلَ نُفُوسَ الأَنْصَارِ وَقُلُوبَهُمْ فِي أَقْصَىٰ حَالَاتِ التَّهَيُّؤِ وَالانْشِرَاحِ لِكُلِّ مَا يَقُولُ، فَقَدْ أَذْهَبَ كُلَّ مَا فِيهَا مِنْ مَوْجِدَةٍ.

٣ – وَتَأْتِي – بَعْدَ ذَلِكَ – مُنَاقَشَةُ الْمَوْضُوعِ الأَسَاسِيِّ لِلْخُطْبَةِ، وَقَدْ أَصْبَحَتْ نُفُوسُهُمْ بِالْعُنْصُرِ السَّابِقِ مُسْتَعِدَّةً كُلَّ الاسْتِعْدَادِ لِكُلِّ مَا يَقُولُهُ الرَّسُولُ – ﷺ –.

غَضِبَ الأَنْصَارُ لِقِلَّةِ نَصِيبِهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ، وَقَدْ صَوَّرَ النَّبِيُّ – ﷺ – هَذَا الْجَانِبَ بِصُورَةٍ أَدَبِيَّةٍ، تُجَسِّدُهُ فِي النُّفُوسِ، حَيْثُ شَبَّهَ كُلَّ هَذِهِ الْغَنَائِمِ بِالنَّبَاتِ الصَّغِيرِ (وَهُوَ اللُّعَاعَةُ)، مُشِيرًا إِلَىٰ أَنَّ مَتَاعَ الدُّنْيَا كُلُّهُ تَافِهٌ.

ثُمَّ بَيَّنَ الْحِكْمَةَ مِنْ إِيثَارِ بَعْضِ الْقَبَائِلِ.

ثُمَّ يَحْسِمُ هَذَا المَعْنَىٰ بِأُسْلُوبٍ لا تَعْرِفُ الخَطَابَةُ أَشَدَّ مِنْهُ وَقْعًا فِي النُّفُوسِ، وَأَبْلَغَ مِنْهُ تَغَلْغُلاً فِي المَشَاعِرِ، حَيْثُ يَقُولُ فِي صُورَةِ السُّؤَالِ الَّذِي يُجَسِّدُ هَذَا المَعْنَىٰ فِي نُفُوسِهِمْ: «**أَلاَ تَرْضَوْنَ - يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ - أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللهِ إِلَىٰ رِحَالِكُمْ؟!**».

وَبِهَذَا تَكُونُ الخُطْبَةُ قَدْ قَلَبَتْ كَيَانَ تَفْكِيرِ الأَنْصَارِ.

ثُمَّ يُؤَكِّدُ لَهُمْ بِأَكْثَرَ مِنْ صُورَةٍ أَنَّهُ لَمْ يُغَيِّرْ رَأْيَهُ فِيهِمْ، بَلْ يَكْشِفُ لَهُمْ عَنْ جَوَانِبَ حُبِّهِ لَهُمْ؛ لَعَلَّهُ لَمْ يَكْشِفْهَا لَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ.

فَيَقُولُ لَهُمْ: «**فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءًا مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ**».

فَأَيُّ خَيَالٍ فِي الأَمَانِي وَالأَحْلامِ رَاوَدَ نُفُوسَهُمْ أَعْظَمُ مِنْ أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا فِي طَرِيقٍ، وَالنَّاسُ جَمِيعًا فِي طَرِيقٍ آخَرَ، فَالنَّبِيُّ - ﷺ - يَتْرُكُ طَرِيقَ النَّاسِ جَمِيعًا، وَيَخْتَارُ طَرِيقَهُمْ؟!.

وَتُرَاعِي الخُطْبَةُ أَبْعَدَ جَوَانِبَ المَوْقِفِ وَاحْتِمَالاتِهِ فِي كَسْبِ الْقُلُوبِ، حَيْثُ تُرَاعِي جِيلاً قَادِمًا مِنَ الأَنْصَارِ، لَمْ يُوجَدْ بَعْدُ، فَيَقُولُ لَهُمْ - ﷺ -: «**اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ!**»؛ وَلِهَذَا كَانَ أَبْلَغَ مَا أَجَابَ بِهِ الأَنْصَارُ النَّبِيَّ - ﷺ - هُوَ دُمُوعُهُمُ الْغَزِيرَةُ، الَّتِي تَدَفَّقَتْ مِنْ قُلُوبٍ مَلأَهَا الْحُبُّ وَالإِيمَانُ، وَهَزَّهَا النَّدَمُ وَالتَّأَثُّرُ، وَإِذَا هَذِهِ الدُّمُوعُ تَظَلُّ تَنْسَكِبُ، حَتَّىٰ تُبَلِّلَ اللِّحَىٰ، ثُمَّ يَقُولُونَ: «رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قَسْمًا وَحَظًّا».

وَأَنْتَ تُلاحِظُ - أَخِي فِي اللهِ - أَنَّ الخُطْبَةَ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ أُمُورٍ، فَمِنْهَا:

تَخْصِيصُ خِطَابِ الأَسْئِلَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ، وَاشْتَمَلَتْ - أَيْضًا - عَلَىٰ التَّفْرِيغِ النَّفْسِيِّ، فِي أَهَمِّ مَا يُثِيرُ نُفُوسَهُمْ.

وَاشْتَمَلَتْ عَلَىٰ الشُّمُولِ.

وَاشْتَمَلَتْ عَلَىٰ الإِقْنَاعِ، فَلَمْ تَتْرُكْ مَجَالاً لِلتَّرَدُّدِ.

■ وَتَمَيَّزَتْ بِمَزَايَا عَدِيدَةٍ، فَمِنْهَا: الإِيجَازُ:

فَمِنَ الْوَاضِحِ فِي الْخُطْبَةِ هَذَا الإِيجَازُ الْمُسْتَوْعَبُ، فَإِنَّنَا لَوْ تَأَمَّلْنَا لَوَجَدْنَاهَا تُعْرِضُ مُجْمَلاً لِتَارِيخِ الإِسْلامِ فِي مَكَّةَ وَفِي الْمَدِينَةِ، خِلالَ حَيَاةِ النَّبِيِّ - ﷺ -، ثُمَّ جَوَانِبَ مِنَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ، الَّذِي تَحَلَّىٰ بِهِ - ﷺ -، وَمِنْ آثَارِهِ هَذَا الْوَفَاءُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَحْمِلُهُ لِلأَنْصَارِ، وَكُلُّ ذَلِكَ تُعْرِضُهُ الْخُطْبَةُ وَاضِحًا مُفَصَّلاً فِي هَذَا الإِيجَازِ الْبَلِيغِ.

■ وَتَمَيَّزَتْ - أَيْضًا - بِتَحْدِيدِ الْعَنَاصِرِ:

وَمِنَ الْوَاضِحِ فِي الْخُطْبَةِ تَحْدِيدُ عَنَاصِرِهَا، وَعَدَمُ تَدَاخُلِ هَذِهِ الْعَنَاصِرِ، أَوْ تَكْرَارِ شَيْءٍ مِنْهَا، وَهَذَا التَّمَايُزُ بَيْنَ الْعَنَاصِرِ يُعِينُ السَّامِعَ عَلَىٰ حُسْنِ الاسْتِيعَابِ، وَيَجْعَلُ الْمَعَانِيَ بَارِزَةً وَاضِحَةً مُؤَثِّرَةً.

■ وَتَمَيَّزَتْ بِتَجْسِيدِ الْمَعَانِي:

وَمِنْ أَهَمِّ مَا يَتَمَيَّزُ بِهِ الطَّابِعُ الأَدَبِيُّ لِلْخُطْبَةِ تَصْوِيرُهَا لِلْمَعَانِي فِي قَوَالِبَ، تَجْعَلُهَا مُجَسَّدَةً فِي ذِهْنِ السَّامِعِ، وَكَأَنَّهَا حِينَئِذٍ لَيْسَتْ مَعَانِيَ فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا شُخُوصٌ مَاثِلَةٌ، أَوْ مَنَاظِرُ مُحَدَّدَةٌ مَرْئِيَّةٌ.

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُهُ عَنِ الْغَنَائِمِ الَّتِي أَثَارَتِ الْمَوْجِدَةَ فِي نُفُوسِهِمْ، فَلَمْ يَذْكُرْهَا - قَطُّ - حِينَئِذٍ بِأَنَّهَا غَنَائِمُ أَوْ مَالٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا كَانَ كُلُّ حَدِيثِهِ

عَنْهَا بِأَنَّهَا لُعَاعَةٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَالسَّامِعُونَ يَعْرِفُونَ أَنَّ اللُّعَاعَةَ - بِضَمِّ اللاَّمِ - نَبَاتٌ ضَعِيفٌ صَغِيرٌ، فَتُمْحَىٰ مِنْ أَذْهَانِهِمْ صُورَةُ الْغَنَائِمِ بِبَرِيقِهَا وَإِغْرَائِهَا، وَلا يَبْقَىٰ فِيهَا إِلاَّ صُورَةُ هَذَا النَّبَاتِ الضَّعِيفِ، الَّذِي لا يَسْتَحِقُّ التَّنَافُسَ عَلَيْهِ.

وَفِي تَجْسِيدِ الْمَعَانِي فِي الْخُطْبَةِ الْمُقَارَنَةُ بَيْنَ نَصِيبِ الأَنْصَارِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ، وَالْمُقَارَنَةُ حَقِيقَةٌ وَاقِعِيَّةٌ، وَلَكِنِ الطَّرِيفُ الْمُثِيرُ هُوَ تَصْوِيرُهَا، فَقَدْ صَوَّرَ النَّبِيُّ - ﷺ - الأَنْصَارَ فِي جَانِبٍ، وَالنَّاسَ فِي جَانِبٍ، وَقَدْ أَخَذُوا جَمِيعًا أَنْصِبَتَهُمْ، فَأَمَّا الأَنْصَارُ فَكَانَ نَصِيبُهُمْ شَخْصَ النَّبِيِّ - ﷺ - نَفْسِهِ، فَأَخَذُوهُ وَرَجَعُوا بِهِ إِلَىٰ رِحَالِهِمْ.

وَأَمَّا أَنْصِبَةُ النَّاسِ فَكَانَتْ شِيَاهًا وَبُعْرَانًا، هَذَا يَعُودُ إِلَىٰ رَحْلِهِ بِشَاةٍ، وَذَلِكَ يَعُودُ بِبَعِيرٍ، وَلْنَتَأَمَّلْ أَيَّ رَوْعَةٍ بَيَانِيَّةٍ، وَأَيَّ تَأْثِيرٍ عَاطِفِيٍّ تُثِيرُ هَذِهِ الْمُقَارَنَةُ فِي نُفُوسِ الأَنْصَارِ، حِينَ يَتَصَوَّرُونَ مُجَرَّدَ تَصَوُّرِ هَذِهِ الْمُقَابَلَةِ بَيْنَ نَصِيبِهِمُ الْعَظِيمِ، وَتَفَاهَةِ أَيِّ نَصِيبٍ آخَرَ مَهْمَا عَظُمَ؟!.

وَمِنْ تَجْسِيدِ الْمَعَانِي تَعْبِيرُهُ - ﷺ - عَنْ مَيْلِهِ لِلأَنْصَارِ، وَإِيثَارِهِ لِصُحْبَتِهِمْ عَلَىٰ صُحْبَةِ سَائِرِ النَّاسِ.

فَقَدْ جَسَّدَتِ الْخُطْبَةُ صُورَةً أُخْرَىٰ مِنْ صُوَرِ الْمُقَارَنَةِ بَيْنَ الأَنْصَارِ وَغَيْرِهِمُ افْتِرَاضًا، فَالأَنْصَارُ وَحْدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، وَالنَّاسُ جَمِيعًا يَسْلُكُونَ طَرِيقًا آخَرَ، وَإِذَا النَّبِيُّ - ﷺ - يُؤْثِرُ طَرِيقَ الأَنْصَارِ عَلَىٰ كُلِّ طَرِيقٍ، وَهَذِهِ مُقَابَلَةٌ أُخْرَىٰ، تَرْتَسِمُ مُجَسَّمَةً فِي نُفُوسِ الأَنْصَارِ، حِينَ يَتَمَثَّلُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي طَرِيقٍ خَاصٍّ بِهِمْ، وَقَدِ انْحَازَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ - ﷺ -، وَالنَّاسُ جَمِيعًا يَتَمَنَّوْنَ مَا حَظِيَ بِهِ الأَنْصَارُ.

■ وَالخُطْبَةُ مَلِيئَةٌ بِالأَسَالِيبِ البَلاغِيَّةِ، وَالصُّوَرِ الْفَنِّيَّةِ الرَّائِعَةِ:

لاحظ الاسْتِفْهَامَ فِي «**أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالاً**... إلخ» وَغَرَضَهُ التَّقْرِيرِيَّ. وَلاحظ التَّوَافُقَ فِي تَقْسِيمِ الجُمَلِ، ومَا فِيهَا مِنْ مُقَابَلاتٍ «أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ.. .إلخ».

وَكَيْفَ أَسْنَدَ الْهِدَايَةَ وَالْغِنَىٰ وَتَأَلُّفَ الْقُلُوبِ إِلَىٰ اللهِ، مَعَ أَنَّهُ يُبَيِّنُ مَوْقِفَهُ مِنْهُمْ، إِنَّهُ يُشِيرُ بِهَا إِلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ، وَأَنَّهُ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ، وَلَكِنَّهُ يَتَصَرَّفُ بِإِلْهَامٍ مِنْهُ، وَاسْتِهْدَافٍ لِرِضَاهُ.

وَفِي الخُطْبَةِ مِنْ أَسَالِيبِ التَّأْكِيدِ اللاَّزِمَةِ لِلإِقْنَاعِ، مِثْلُ: «**أَمَا وَاللهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ...**».

وَفِي التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ «مَعْشَرَ» فِي «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ**» اسْتِمَالَةٌ لَهُمْ، وَإِشْعَارٌ بِأَنَّهُمْ مَعْشَرُهُ وَهُوَ مِنْهُمْ.

وَفِي «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**» كِنَايَةٌ عَنِ اللهِ.

## أَهَمِّيَّةُ عِلْمِ الْبَلاغَةِ

أَيِ أَخِي، قَدْ قِيلَ : إِنَّ الافْتِنَانَ فِي التَّعْبِيرِ لا يَتَوَقَّفُ عَلَىٰ دَرْسِ قَوَاعِدِ الْبَلاغَةِ، وَإِنَّمَا يُصْبِحُ الْمَرْءُ كَاتِبًا مُجِيدًا، أَوْ مُؤَلِّفًا مُبْدِعًا، أَوْ شَاعِرًا مَطْبُوعًا[١]، أَوْ خَطِيبًا مِصْقَعًا[٢] - بِكَثْرَةِ الْقِرَاءَةِ فِي كُتُبِ الأَدَبِ، وَحِفْظِ آثَارِ الْعَرَبِ، وَبِنَقْدِ الشِّعْرِ وَتَفَهُّمِهِ، وَدِرَاسَةِ النَّثْرِ الْفَنِّيِّ، وَتَذَوُّقِ أَسْرَارِهِ، أَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ : حِفْظُ كِتَابِ اللهِ إِنْ أَمْكَنَ الحِفْظُ؛ فَإِنَّهُ يَجْمَعُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ[٣].

**فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ، فَمَا فَائِدَةُ هَذِهِ الرِّسَالَةِ؟.**

وَمَا مِنْ شَكٍّ - أَخِي - أَنَّ فَائِدَتَهَا تَكْمُنُ فِي الإِلْمَامِ بِقَوَاعِدِ هَذَا الْفَنِّ، بِحَيْثُ تَنْطَلِقُ مِنْ قَوَاعِدَ رَاسِخَةٍ، وَأُسُسٍ ثَابِتَةٍ، لا تَقْدَحُ فِي نَفْسِكَ شَكًّا.

أَلا تَرَىٰ أَنَّ الكُوفِيِّينَ حِينَ اعْتَمَدُوا عَلَىٰ الْقِيَاسِ فِي مَذْهَبِهِمْ، كَثُرَ لَدَيْهِمُ الخَطَأُ، وَلَمَّا اعْتَمَدَ الْبَصْرِيُّونَ عَلَىٰ قَوَاعِدَ، قَلَّ الخَطَأُ لَدَيْهِمْ؟!.

فَلا تَقْعُدْ بِكَ هِمَّتُكَ عَنْ إِدْرَاكِ قَوَاعِدِ هَذَا الْعِلْمِ، مَهْمَا أُوتِيتَ مِنَ الْبَلاغَةِ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْبُلَغَاءِ - كَمَا يَقُولُ الرَّازِي فِي كِتَابِهِ «نِهَايَةُ الإِيجَازِ» - : «لا يَكَادُونَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلاغَةِ»[٤]. فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ، فَكَيْفَ بِمَنْ دُونَهُمْ؟!.

---

(١) طُبِعَ عَلَىٰ الشِّعْرِ - بِالضَّمِّ - فَهُوَ مَطْبُوعٌ: جُبِلَ.

(٢) المِصْقَع - بِزِنَةِ المِنْبَرِ -: البليغُ، والجمع المَصَاقِعُ.

(٣) انظر «البلاغةُ الْوَاضِحَةُ» (ص١٣٦) بتصرُّفٍ يسيرٍ.

(٤) قالَ أَبُو هِلالٍ العسكَرِيُّ في كتابه «الصناعتين»: «الفصاحةُ والبلاغةُ تَرْجِعَانِ إِلَىٰ معنًىٰ واحدٍ، وإِنِ اختلفَ أصلاهما؛ لأنَّ كُلَّ واحدٍ منهما إنَّما هو الإِبانَةُ عن المعنَىٰ، والإِظْهارُ لهُ» اهـ.
وأزيدُكَ إيضاحًا أنَّ الفصاحةَ تتضمَّنُ اللَّفْظَ دُونَ المَعْنَىٰ، والبلاغةُ تتناولُ المَعْنَىٰ، ألا تَرَىٰ أَنَّ الببَّغَاءَ يُسَمَّىٰ فَصِيحًا، ولا يُسَمَّىٰ بَلِيغًا؛ إِذْ هُوَ مُقِيمُ الحُرُوفِ، وَلَيْسَ لَهَا قَصْدٌ إِلَىٰ المَعْنَىٰ الَّذِي يُؤَدِّيهِ، وقد =

وَاعْلَمْ – أَخِي – أَنَّ مَا عَقَدَ أَئِمَّةُ الْبَيَانِ الْفُصُولَ، ولا بَوَّبُوا الأَبْوَابَ إِلاَّ بُغْيَةَ أَنْ يُوقِفُوا الْمُسْتَرْشِدَ عَلَىٰ تَحْقِيقَاتٍ وَمُلاحَظَاتٍ وَضَوَابِطَ، إِذَا رُوعِيَتْ فِي خِطَابِهِ أَوْ كِتَابِهِ، بَلَغَتِ الحَدَّ المَطْلُوبَ مِنْ سُهُولَةِ الْفَهْمِ، وَإِيجَادِ الأَثَرِ المَقْصُودِ فِي نَفْسِ السَّامِعِ، وَاتَّصَفَتْ مِنْ ثَمَّ بِصِفَةِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلاغَةِ(١).

وَاعْلَمْ – أَخِي – أَنَّ إِلْمَامَكَ بِعُلُومِ الْبَلاغَةِ يُحَقِّقُ لَكَ هَدَفًا، لَمْ تَكُنْ تَطْمَحُ إِلَيْهِ نَفْسُكَ مِنْ تَذَوُّقِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَمَعْرِفَةِ أَسْرَارِ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ الخَالِدَةِ، وَتَذَوُّقِ سُنَّةِ مَنْ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَكَانَ أَفْصَحَ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ، مَعَ التَّمَيُّزِ بَيْنَ الْفَصِيحِ وَالأَفْصَحِ، وَالْبَلِيغِ وَالأَبْلَغِ مِنَ الْكَلامِ.

وَمِنْ دُرَرِ أَبِي هِلالٍ الْعَسْكَرِيِّ(٢) قَوْلُهُ: «إِنَّ صَاحِبَ الْعَرَبِيَّةِ إِذَا أَخَلَّ بِطَلَبِهِ وَفَرَّطَ(٣) فِي الْتِمَاسِهِ، فَفَاتَهُ فَضِيلَتُهُ، وَعَلِقَتْ بِهِ رَذِيلَةُ فَوْتِهِ – عَفَا(٤) عَلَىٰ جَمِيعِ مَحَاسِنِهِ، وَعَمِيَ(٥) عَلَىٰ سَائِرِ فَضَائِلِهِ؛ لأَنَّهُ إِذَا لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ كَلامٍ جَيِّدٍ

---

= يجوزُ مَعَ هَذَا أَنْ يُسَمَّىٰ الكلامُ الواحدُ فَصِيحًا بَلِيغًا، إِذَا كَانَ وَاضِحَ المَعْنَىٰ، سَهْلَ اللَّفْظِ، جَيِّدَ السَّبْكِ، غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ فَجٍّ (الفَجُّ – بالْكَسْرِ –: ما لَمْ يَنْضُجْ)، ولا مُتَكَلَّفٍ وَخْمٍ (أَيْ: ثَقِيلٍ)، ولا يَمْنَعُهُ مِنْ أَحَدِ الاسْمَيْنِ شَيْءٌ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ إِيضَاحِ المَعْنَىٰ، وَتَقْوِيمِ الحُرُوفِ. وانظُرْ فِي ذَلِكَ «جَوَاهِرَ البَلاغَةِ» (ص٨).

(١) «جواهرُ البلاغة» (ص٩).

(٢) أبو هلالٍ الْعَسْكَرِيُّ المُتَوَفَّىٰ سنة (٣٩٥هـ) إمامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْبَلاغَةِ، وهُوَ – أَيْضًا – مُعْتَزِلِيٌّ؛ فَقَدِ اسْتَهَلَّ كِتَابَهُ «الصِّنَاعَتَيْنِ» (ص٢) بِقَوْلِهِ: «فَيَنْبَغِي مِنْ هَذِهِ الجِهَةِ أَنْ يُقَدَّمَ اقْتِبَاسُ هذا الْعِلْمِ عَلَىٰ سَائِرِ الْعُلُومِ بَعْدَ تَوْحِيدِ اللهِ – تَعَالَىٰ –، وَمَعْرِفَةِ عَدْلِهِ، والتَّصْدِيقِ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ..» فَهَذِهِ ثَلاثَةٌ مِنْ أُصُولِ الْمُعْتَزِلَةِ. وقَدْ وَقَعَ فِي التَّأْوِيلِ كَمَا فِي كِتَابِهِ (ص٣٣٧)، ومَعَ أَنَّ المَآخِذَ العقيديَّةَ عَلَيْهِ أَقَلُّ مِنْ غَيْرِهِ، لَكِنْ لابُدَّ مِنَ التَّنْبِيهِ إِلَيْهَا. انظر «بَلاغَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ» (ص٤٠) بتَصَرُّفٍ.

(٣) فَرَّطَ: قَصَّرَ.

(٤) عَفَا: دَرَسَ وانْمَحَىٰ، وبَابُهُ عَدَا، وَسَمَا، وَعَفَاءً – أَيْضًا بِالْفَتْحِ والمدِّ –.

(٥) عَمِيَ: خَفِيَ وَالْتَبَسَ، وبَابُهُ: صَدِيَ.

وَكَلامٍ رَدِيءٍ، وَلَفْظٍ حَسَنٍ وَآخَرَ قَبِيحٍ، وَشِعْرٍ نَادِرٍ وَآخَرَ بَارِدٍ - بَانَ جَهْلُهُ، وَظَهَرَ نَقْصُهُ وَهُوَ - أَيْضًا - إِذَا أَرَادَ أَنْ يَصْنَعَ قَصِيدَةً، أَوْ يُنْشِئَ رِسَالَةً - وَقَدْ فَاتَهُ هَذَا الْعِلْمُ - مَزَجَ الصَّفْوَ بِالْكَدَرِ، وَاسْتَعْمَلَ الْوَحْشِيَّ الْعَكِرَ[1]، فَجَعَلَ نَفْسَهُ مَهْزَأَةً لِلْجَاهِلِ، وَعِبْرَةً لِلْعَاقِلِ... وَإِذَا أَرَادَ - أَيْضًا - تَصْنِيفَ كَلامٍ مَنْثُورٍ، أَوْ تَأْلِيفَ شِعْرٍ مَنْظُومٍ، وَتَخَطَّىٰ هَذَا الْعِلْمَ - سَاءَ اخْتِيَارُهُ لَهُ، وَقَبُحَتْ آثَارُهُ فِيهِ، فَأَخَذَ الْمَرْذُولَ، وَتَرَكَ الْجَيِّدَ الْمَقْبُولَ، فَدَلَّ عَلَىٰ قُصُورِ فَهْمِهِ، وَتَأَخُّرِ مَعْرِفَتِهِ وَعِلْمِهِ»[2].

(٦) يُقَالُ: عَكِرَ الشَّيْءُ - مِنْ بَابِ فَرِحَ - فَهُوَ عَكِرٌ: إِذَا لَمْ يَرْسَبْ خَاثِرُهُ.

(٧) كِتَابُ «الصِّنَاعَتَيْنِ» (ص٢، ٣).

## طُرُقُ تَحْصِيلِ الْبَلاغَةِ

أيْ أَخِي، لاشَكَّ أَنَّ المَرْءَ بِفِطْرَتِهِ مُحِبًّا لِكُتُبِ الْبُلَغَاءِ، مُغْرَمًا بِاقْتِنَائِهَا وَقِرَاءَتِهَا، تَقِفُ بِهَا نَفْسُهُ أَمَامَ الْقِطَعِ الأَدَبِيَّةِ وُقُوفَ الْعَاشِقِ الْوَالِهِ، الَّذِي أَضْنَاهُ الْعِشْقُ، بَلْ وَأَرَقَّهُ، لَكِنِ الْهَوَىٰ صَادٌّ، وَالصَّوَارِفُ بِالمِرْصَادِ، فَلا يَشْغَلْكَ عَنِ الأَدَبِ شَاغِلٌ، حَتَّىٰ تَتَوَقَّحَ نَفْسُكَ، وَتَكُونَ أَقْدَرَ عَلَىٰ التَّعْبِيرِ الْبَلِيغِ، وَالأُسْلُوبِ السَّاحِرِ(١).

وَحَذَارِ حَذَارِ أَنْ تُقَلِّدَ غَيْرَكَ فِي أُسْلُوبِهِ، بَلِ انْطَلِقْ عَلَىٰ سَجِيَّتِكَ، مُتَخَيِّلاً أَنَّ مَنْ تُخَاطِبُهُ أَوْ تَكْتُبُ إِلَيْهِ مَاثِلٌ أَمَامَكَ تُنَاجِيهِ؛ حَتَّىٰ يَنْسَابَ كَلامُكَ إِلَىٰ قَلْبِهِ كَالسَّيْلِ إِلَىٰ الحُدُورَةِ.

وَمَتَىٰ حَاكَيْتَ أُسْلُوبَ غَيْرِكَ فِي خِطَابِكَ، كَانَ كَلامُكَ جَافًّا بَارِدًا مُهَلْهَلاً، لَيْسَتْ لَهُ مُسْكَةٌ وَلا قِوَامٌ(٢).

بَلْ يَجِبُ أَنْ تَسْطَعَ شَخْصِيَّتُكَ المُسْتَقِلَّةُ عَلَىٰ الْوَرَقِ سُطُوعَ الشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ

---

(١) مِنْ طَرِيفِ مَا يُذْكَرُ أَنَّ أَبَا هِلالٍ العَسْكَرِيَّ - رَحِمَهُ اللهُ - قَالَ فِي كِتَابِهِ «الحَثّ عَلَىٰ طَلَبِ الْعِلْمِ وَالاجْتِهَادِ فِي جَمْعِهِ» (ص٧٢): «حُكِيَ لِي عَنْ بَعْضِ المَشَايِخِ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ فِي بَعْضِ قُرَىٰ النَّبَطِ فَتًى فَصِيحَ اللَّهْجَةِ، حَسَنَ الْبَيَانِ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِ فَصَاحَتِهِ مَعَ لُكْنَةِ أَهْلِ جِلْدَتِهِ، فَقَالَ: كُنْتُ أَعْمِدُ فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَىٰ خَمْسِينَ وَرَقَةٍ مِنْ كُتُبِ الْجَاحِظِ، فَأَرْفَعُ بِهَا صَوْتِي فِي قِرَاءَتِهَا، فَمَا مَرَّ بِي إِلاَّ زَمَانٌ، حَتَّىٰ صِرْتُ إِلَىٰ مَا تَرَىٰ».

(٢) لَكِنْ هَذَا لا يَمْنَعُ أَن تُضَمِّنَ كَلامَكَ نَثْرًا، أَوْ شِعْرًا، أو مِثَالاً، تَجْعَلُهُ بَيْنَ قَوْسَيْنِ كَدَلِيلٍ عَلَىٰ أَنَّهُ مُقْتَبَسٌ مِنْ غَيْرِكَ، مَعَ ذِكْرِ الْمَصْدَرِ إِنْ وجِدَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ كَلامَكَ وُضُوحًا وَإِشْرَاقًا، وَقَدْ قِيلَ قَدِيمًا: «اخْتِيَارُ المَرْءِ قِطْعَةٌ مِنْ عَقْلِهِ يَدُلُّ عَلَىٰ تَخَلُّقِهِ وَفَضْلِهِ».

النَّهَار، وَكَأَنَّكَ تَبْعَثُ لِمَنْ تَكْتُبَ لَهُ صُورَةً حَقِيقِيَّةً لَكَ لا لِغَيْرِكَ[١]، وَهُنَا يَكْمُنُ الإِبْدَاعُ، هُنَا يَكْمُنُ الإِبْدَاعُ![٢].

(١) قَدْ تَقْرَأ كَلامًا لابن الْقَيِّمِ، أَوِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، أَوْ لِلْجَاحِظِ، أو لِغَيْرِهِمْ فِي كِتَابٍ دُونَ أَنْ يَذْكُرَ الْمُؤَلِّفُ لِمَنْ هَذَا الْكَلام، لَكِنَّكَ تَلْمَحُ شَخْصِيَّةَ أيٍّ مِنْهُمْ مِنْ خِلالِ أُسْلُوبِهِ، أَلا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ لَهُ أُسْلُوبُهُ الْمُمَيَّزُ؟، فَلا تَقْعُدْ بِكَ هِمَّتُكَ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي، أَوْ تَرْضَى بِالدُّونِ.

(٢) قَدْ ذَكَرْتُ فِي الصَّفْحَةِ السَّابِقَةِ ضَرْبًا مِنْ ضُرُوبِ تَحْصِيلِ الْبَلاغَةِ، ومِنْهَا كَثْرَةُ الْقِرَاءَةِ فِي كُتُبِ الأَدَبِ فَجَدِّدْ بِهِ عَهْدًا.

# عُلُومُ الْبَلاغَةِ

## عُلُومُ الْبَلاغَةِ ثَلاثَةٌ، هِيَ:

الْمَعَانِي، ثُمَّ الْبَيَان، ثُمَّ الْبَدِيع.

**فَعِلْمُ الْمَعَانِي:** هُوَ عِلْمٌ تُعْرَفُ بِهِ مُطَابَقَةُ الْكَلامِ لِحَالِ السَّامِعِينَ(١)، وَالْمَوَاطِنُ الَّتِي يُقَالُ فِيهَا، بِمَعْنَىٰ أَنْ يُخَاطِبَ كُلَّ إِنْسَانٍ عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِعْدَادِهِ فِي الْفَهْمِ، وَنَصِيبِهِ مِنَ الْعِلْمِ(٢).

---

(١) يَكُونُ مُطَابَقًا لِلْحَالِ حَيْثُ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، وَالْحَذْفِ وَالذِّكْرِ، وَالْفَصْلِ وَالْوَصْلِ، وَالتَّعْرِيفِ وَالتَّنْكِيرِ، وَالْقَصْرِ وَالإِيجَازِ وَالإِطْنَابِ وَالتَّأْكِيدِ.

(٢) الأَدِيبُ – حقًّا – مَنْ خَاطَبَ كُلَّ إِنْسَانٍ عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِعْدَادِهِ فِي الْفَهْمِ، فَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، وَمِنْ طَرِيفِ مَا يُذْكَرُ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ لِبَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ: إِنَّكَ لَتَجِيءُ بِالشَّيْءِ الْهَجِينِ الْمُتَفَاوِتِ!، قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟. قَالَ: بَيْنَمَا تُثِيرُ النَقْعَ، وَتَخْلَعُ الْقُلُوبَ بِقَوْلِكَ:

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً ... هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ، أَوْ تُمْطِرُ الدَّمَا

إِذَا مَا أَعَرْنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ... ذُرَا مِنْبَرٍ، صَلَّىٰ عَلَيْنَا وَسَلَّمَا

نَرَاكَ تَقُولُ:

رَبَابَةُ رَبَّةُ الْبَيْتِ ... تَصُبُّ الْخَلَّ فِي الزَّيْتِ

لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ ... وَدِيكٌ حَسَنُ الصَّوْتِ

فَقَالَ بَشَّارٌ: لِكُلِّ وَجْهٌ وَمَوْضِعٌ؛ فَالْقَوْلُ الأَوَّلُ جِدٌّ، وَالثَّانِي قُلْتُهُ فِي رَبَابَةَ جَارِيَتِي، وَأَنَا لا آكُلُ الْبَيْضَ مِنَ السُّوقِ، وَرَبَابَةُ لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكٌ، فَهِيَ تَجْمَعُ لِيَ الْبَيْضَ، فَهَذَا الْقَوْعلُ عِنْدَهَا أَحْسَنُ مِنْ: «قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ» عِنْدَكَ. انظُرْ «الأَغَانِي» (٣ / ٦٠).

وَيُرْوَىٰ أَنَّ الْكِنْدِيَّ – فَيْلَسُوفُ الْعَرَبِ – رَكِبَ إِلَىٰ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ – شَيْخِ أَهْلِ النَّحْوِ وَالْعَرَبِيَّةِ – وَقَالَ لَهُ: إِنِّي لأَجِدُ فِي كَلامِ الْعَرَبِ حَشْوًا!. فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: أَيْنَ وَجَدْتَ ذَلِكَ؟!. فَقَالَ: وَجَدْتُهُمْ يَقُولُونَ: عَبْدُ اللهِ قَائِمٌ، ثُمَّ يَقُولُونَ: إِنَّ عَبْدَ اللهِ قَائِمٌ. ثُمَّ يَقُولُونَ: إِنَّ عَبْدَ اللهِ لَقَائِمٌ. فَالأَلْفَاظُ مُكَرَّرَةٌ، وَالْمَعْنَىٰ وَاحِدٌ. فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: بَلِ الْمَعَانِي مُخْتَلِفَةٌ؛ فَالأَوَّلُ إِخْبَارٌ عَنْ قِيَامِهِ، وَالثَّانِي جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ، وَالثَّالِثُ رَدٌّ عَلَىٰ مُنْكِرٍ، فَقَدِ اخْتَلَفَتِ الأَلْفَاظُ لاخْتِلافِ الْمَعَانِي. فَسَكَتَ الْكِنْدِيُّ.

وَيُرِيكَ أَنَّ الْكَلامَ لا يَكُونُ بَلِيغًا، حَتَّىٰ يُنَاسِبَ الْمَقَامَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ، وَيُنَاسِبَ حَالَ السَّامِعِ الَّذِي أُلْقِيَ عَلَيْهِ.

فَمَثَلاً حَالُ الْمُخَاطَبِ الذَّكِيِّ يَقْتَضِي الاخْتِصَارَ، وَحَالُ الْعَنِيدِ أَوِ الْبَلِيدِ يَقْتَضِي التَّطْوِيلَ، كَمَا قِيلَ:

تَكْفِي اللَّبِيبَ إِشَارَةٌ مَرْمُوزَةٌ وَسِوَاهُ يُدْعَىٰ بِالنِّدَاءِ الْعَالِي

وَلِهَذَا لَمَّا خَاطَبَ الْقُرْآنُ الْعَرَبَ أَوْجَزَ، وَلَمَّا خَاطَبَ الْيَهُودَ أَطْنَبَ، فَأَعْجَزَ.

وَمَتَىٰ خَاطَبْنَا النَّاسَ عَلَىٰ قَدْرِ عُقُولِهِمْ، نَكُونُ قَدْ وُفِّقْنَا لِلصَّوَابِ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي. تَرَىٰ الْخَيَّاطَ يَأْخُذُ أَوَّلاً قِيَاسَ الْجِسْمِ، ثُمَّ يَقُصُّ وَيَخِيطُ عَلَىٰ حَسَبِ الْقِيَاسِ، وَكَذَلِكَ الْبَنَّاءُ تَسْبِقُهُ عَمَلِيَّةُ الرَّسْمِ الْهَنْدَسِيِّ فِي خَارِطَةٍ صَحِيحَةٍ؛ لِهَذَا قَدَّمْنَا عِلْمَ الْمَعَانِي فِي الدِّرَاسَةِ عَلَىٰ عِلْمِ الْبَيَانِ، كَمَا يَسْبِقُ الرَّسْمُ الْهَنْدَسِيُّ عَمَلَ الْبُنْيَانِ، وَكَمَا يَسْبِقُ الْقِيَاسُ، وَالرَّسْمُ، وَالْقَصُّ. ثُمَّ...

**عِلْمُ الْبَيَانِ:** وَهُوَ عِلْمٌ يَبْحَثُ عَنْ شَكْلِ الأَلْفَاظِ مِنْ حَيْثُ تَبْيِينُهَا لِلْمَعَانِي، هَلْ هِيَ فِي صِيغَةِ الْحَقِيقَةِ الْمُجَرَّدَةِ، أَوِ التَّشْبِيهِ، أَوِ الْمَجَازِ، أَوِ الْكِنَايَةِ، كَمَا نَرَىٰ شَكْلَ الْخِيَاطَةِ، فَنَعْرِفُ نَوْعَهَا مِنْ ثَوْبٍ، أَوْ جُبَّةٍ، أَوْ قَبَاءٍ، أَوْ مِعْطَفٍ. ثُمَّ...

**عِلْمُ الْبَدِيعِ:** وَهُوَ عِلْمٌ يَرْجِعُ إِلَىٰ تَحْسِينِ اللَّفْظِ وَتَزْيِينِهِ، كَوَضْعِ أَزْرَارٍ، وَوُرُودٍ وَزَخَارِفَ لِتَزْيِينِ ثَوْبِ الْعَرُوسِ بَعْدَ تَمَامِ خِيَاطَتِهِ، وَكَنُقُوشِ الدِّهَانِ بَعْدَ تَمَامِ الْبُنْيَانِ، وَرُتْبَتُهُ التَّأْخِيرُ عَنِ الْجَمِيعِ[1].

(١) انْظُرْ «تَيْسِيرُ الْبَلاغَةِ» لأَحْمَدْ قُلاَّش (ص١٤، ١٥) بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

# عِلمُ المَعَانِي

# أَقْسَامُ الْكَلَامِ

## الْكَلَامُ قِسْمَانِ:

اعْلَمْ – أَخِي – أَنَّ الْكَلَامَ قِسْمَانِ:

الْقِسْمُ الأَوَّلُ – خَبَرٌ. وَالْقِسْمُ الثَّانِي – إِنْشَاءٌ.

**١ – الخَبَرُ:** مَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِقَائِلِه: إِنَّهُ صَادِقٌ فِيهِ أَوْ كَاذِبٌ، فَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ كَانَ قَائِلُهُ صَادِقًا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُطَابِقٍ لَهُ كَانَ قَائِلُهُ كَاذِبًا(١)، فَإِذَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ: «السَّفَرُ يُسْفِرُ عَنْ أَدَبِ النَّاسِ». فَهَذَا خَبَرٌ يُمْكِنُ أَنْ تُنَازِعَهُ فِيهِ بِنَفْيِهِ كُلاًّ أَوْ بَعْضًا.

**٢ – الإِنْشَاءُ:** وَهُوَ مَا لا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِقَائِلِه: إِنَّهُ صَادِقٌ فِيهِ أَوْ كَاذِبٌ، فَإِذَا قَالَ الأَبُ لِوَلَدِه: «اطْلُبِ الْعِلْمَ»، أَوْ: «هَلْ أَنْتَ مُسَافِرٌ؟»، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ هُنَا أَنْ تَقُولَ: إِنَّهُ صَادِقٌ أَوْ كَاذِبٌ؟، ذَلِكَ مُحَالٌ؛ فَلا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ لِمَنْ أَمَرَكَ بِشَيْءٍ، أَوِ اسْتَفْهَمَ عَنْ شَيْءٍ، أَوْ نَهَى عَنْ شَيْءٍ، أَوْ نَادَى أَحَدًا – : هَذَا صِدْقٌ أَوْ كَذِبٌ؛ لأَنَّ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ إِنَّمَا يُوصَفُ بِهِمَا الشَّيْءُ الَّذِي ادَّعَيْنَا وُقُوعَهُ، وَالْحُكْمُ الَّذِي أَثْبَتْنَاهُ لِشَيْءٍ مَا.

---

(١) أَكْثَرُ عُلَمَاءِ الْبَلاغَةِ عَلَى أَنَّ الْخَبَرَ: هُوَ الإِعْلامُ، كَمَا يَقُولُ ابْنُ فَارِسٍ فِي كِتَابِهِ «الصَّاحِبِيِّ» (ص١٧٩): «وَمَتَى أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ كَلامًا أَنْتَ تَجْهَلُهُ بِقَصْدِ إِعْلامِكَ فَهُوَ خَبَرٌ، يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ». قَدْ وَضَعَ عُلَمَاءُ الْبَلاغَةِ قَيْدًا فِي تَعْرِيفِ الْخَبَرِ، فَقَالُوا: «الْخَبَرُ: هُوَ مَا يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ لِذَاتِه». فَالْقَيْدُ «لِذَاتِه» أَيْ: بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ خُصُوصِ الْمُخْبِرِ، أَوْ خُصُوصِ الْخَبَرِ، وَإِنَّمَا يُنْظَرُ فِي احْتِمَالِ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ إِلَى الْكَلامِ نَفْسِهِ لا إِلَى قَائِلِه، دَخَلَ بِذَلِكَ الإِخْبَارُ عَنِ اللهِ فِي كِتَابِه، وَمَا صَحَّ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ – ﷺ –، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الأَخْبَارِ الْوَاجِبَاتِ الصِّدْقِ، وَالْبَدِيهِيَّاتِ الْمَأْلُوفَةِ، نَحْوَ: «السَّمَاءُ فَوْقَنَا»، وَدَخَلَ بِذَلِكَ الأَخْبَارُ الْوَاجِبَةُ الْكَذِبِ: كَأَخْبَارِ الْمُتَنَبِّئِينَ فِي دَعْوَى النُّبُوَّةِ، وَأَخْبَارِ الْكُهَّانِ وَالْعَرَّافِينَ، وَالأَخْبَارُ الْمَقْطُوعُ بِكَذِبِهَا، نَحْوَ: الشَّهْرُ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ يَوْمًا، وَمَاءُ الْبَحْرِ حُلْوٌ.

# رُكْنَا الجُمْلَة

وَاعْلَمْ – أَخِي – أَنَّ لِكُلِّ جُمْلَةٍ مِنْ جُمَلِ الخَبَرِ وَالإِنْشَاءِ رُكْنَانِ:

**مُسْنَدٌ** (١)، **وَمُسْنَدٌ إِلَيْهِ** (٢)، وَهُمَا (عُمْدَةُ الْكَلامِ).

---

(١) **الْمُسْنَدُ**: يَكُونُ مفْرَدًا وَجُمْلَةً، وَيُسَمَّىٰ (المحْكُوم بِه)، وَيَكُونُ مُفْرَدًا؛ لِكَوْنِه غَيْرَ سَبَبِيٍّ، وَلَمْ يُقْصَدْ بِه تَقْوِيَةُ الْحُكْمِ، نَحْو: «عَبْدُ اللهِ مُسَافِرٌ»، فَأَمَّا السَّبَبِيُّ نَحْو: «عَبْدُ اللهِ مُسَافِرٌ»، وَأَمَّا مَا قُصِدَ بِه تَقْوِيَةُ الْحُكْمِ، نَحْو: عَبْدُ اللهِ سَافَرَ.

**وَمَوَاضِعُ الْمُسْنَدِ ثَمَانِيَةٌ:**

١ – الْفِعْلُ التَّامُّ؛ نَحْو: «جَاءَ» مِنْ قَوْلِكَ: «جَاءَ عَبْدُ اللهِ».

٢ – اسْمُ الْفِعْلِ؛ نَحْو: «هَيْهَاتَ مَا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ».

٣ – الْمَصْدَرُ النَّائِبُ عَنْ فِعْلِه، نَحْو: «قِيَامًا لا قُعُودًا».

٤ – الْمَفْعُولُ الثَّانِي (لِظَنَّ وَأَخَوَاتِهَا).

٥ – الْمَفْعُولُ الثَّالِثُ (لأَرَىٰ وَأَخَوَاتِهَا).

٦ – الْمُبْتَدَأُ الَّذِي لَهُ فَاعِلٌ – أَوْ نَائِبُهُ – سَدَّ مَسَدَّ الخَبَرِ، نَحْو: «نَائِمٌ» مِنْ قَوْلِكَ: «أَنَائِمٌ عَبْدُ اللهِ»، وَنَحْو: «مَظْلُومٌ» مِنْ قَوْلِكَ: «مَا مَظْلُومٌ عَبْدُ اللهِ».

٧ – خَبَرُ الْمُبْتَدَإِ؛ نَحْو: «مُسَافِرٌ» مِنْ قَوْلِكَ: «عَبْدُ اللهِ مُسَافِرٌ».

٨ – أَخْبَارُ النَّوَاسِخِ؛ (كَانَ وَأَخَوَاتِهَا)، و(إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا).

(٢) **الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ**: وَيُسَمَّىٰ (المحْكُومَ عَلَيْهِ)، أَوِ (الْمُتَحَدَّثَ عَنْهُ)، وَلَهُ سِتَّةُ مَوَاضِعَ:

١ – الْفَاعِلُ.

٢ – نَائِبُ الْفَاعِلِ.

٣ – الْمَفْعُولُ الأَوَّلُ (لِظَنَّ وَأَخَوَاتِهَا).

٤ – الْمَفْعُولُ الثَّانِي (لأَرَىٰ وَأَخَوَاتِهَا).

٥ – الْمُبْتَدَأُ الَّذِي لَهُ خَبَرٌ.

٦ – أَسْمَاءُ النَّوَاسِخِ: (كَانَ وَأَخَوَاتِهَا)، و(إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا).

وَمِثَالُهُ: «جَاءَ عَبْدُ اللهِ»، فَالْمُسْنَدُ «جَاءَ»، وَالْمُسْنَدُ إِلَيْهِ: «عَبْدُ اللهِ»، وَتَقُولُ: «عَبْدُ اللهِ مُسَافِرٌ»، فَالْمُسْنَدُ «مُسَافِرٌ»، وَالْمُسْنَدُ إِلَيْهِ «عَبْدُ اللهِ»، فَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ مُسْنَدٌ، وَكُلَّ فَاعِلٍ مُسْنَدٌ إِلَيْهِ، وَمِثْلُ الْفَاعِلِ نَائِبُ الْفَاعِلِ، فَهُوَ (مُسْنَدٌ إِلَيْهِ)، نَحْوُ: «قُضِيَ الأَمْرُ»، وَمِثْلُ الْمُبْتَدَإِ اسْمُ كَانَ، نَحْوُ: «كَانَ عَبْدُ اللهِ عَاقِلاً».

وَاسْمُ إِنَّ، نَحْوُ: «إِنَّ عَبْدَ اللهِ عَاقِلٌ» وَهَكَذَا.

وَمَا سِوَى الْمُسْنَدِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فَهُوَ قَيْدٌ[1] غَيْرَ صِلَةِ الْمَوْصُولِ، وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ.

وَلَا يَعْنِي إِهْمَالَ الْقَيْدِ - دَائِمًا - فَقَدْ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ صِحَّةُ الْكَلَامِ، كَقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾ [النِّسَاء: ٤٣]، عِلْمًا بِأَنَّ جُمْلَةَ ﴿وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾ حَالِيَّةٌ، وَهِيَ قَيْدٌ.

(١) عُلَمَاءُ النَّحْوِ يُسَمُّونَ هَذِهِ فَضَلَاتٍ، وَهِيَ: الْمَفَاعِيلُ الْخَمْسَةُ (وَهِيَ: الْمَفْعُولُ بِهِ، وَالْمَفْعُولُ فِيهِ، وَالْمَفْعُولُ الْمُطْلَقُ، وَالْمَفْعُولُ لأَجْلِهِ، وَالْمَفْعُولُ مَعَهُ)، وَالتَّوَابِعُ (وَهِيَ: النَّعْتُ، وَالتَّوْكِيدُ، وَالْعَطْفُ بِنَوْعَيْهِ: الْبَيَانُ وَالنَّسَقُ، وَالْبَدَلُ)، وَالْحَالُ، وَالتَّمْيِيزُ، وَأَدَوَاتُ الشَّرْطِ، وَالنَّفْيِ، وَالاسْتِفْهَامِ، وَالنَّوَاسِخُ، وَكُلُّهَا قُيُودٌ؛ لأَنَّهَا زِيَادَةٌ عَلَى رُكْنَيِ الْجُمْلَةِ.

# أَقْسَامُ الخَبَرِ

أَخِي، لاشَكَّ أنَّ الْغَرَضَ مِنَ الْكَلامِ الإِفْصَاحُ وَالإِظْهَارُ، وَالْمُتَكَلِّمُ مَعَ الْمُخَاطَبِ كَالطَّبِيبِ مَعَ الْمَرِيضِ، الَّذِي يُشَخِّصُ حَالَتَهُ وَيُعْطِيهِ مَا يُنَاسِبُهَا، فَقَدْ يَكُونُ لَكَ أَخٌ، حَصَلَ التَّعَارُفُ بَيْنَكُمَا بِالْمُرَاسَلَةِ، وَلَمْ يَسْبِقْ لَكُمَا التَّعَارُفُ شَخْصِيًّا، فَتَقْدُمُ عَلَيْهِ يَوْمًا، فَسَأَلَكَ: «مَنِ الأَخُ؟». تَقُولُ لَهُ:

١ – «أَنَا عَبْدُ اللهِ».

**(وَيُسَمَّى هَذَا الضَّرْبُ ابْتِدَائِيًّا)**(١).

فَإِذَا تَرَدَّدَ الأَخُ، قُلْتَ:

٢ – «إِنِّي عَبْدُ اللهِ».

**(وَيُسَمَّى هَذَا الضَّرْبُ طَلَبِيًّا)**(٢).

فَإِذَا أَنْكَرَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ عَبْدَ اللهِ وَغَضِبَ، قُلْتَ:

٣ – «وَاللهِ، إِنِّي لَعَبْدُ اللهِ».

**(وَيُسَمَّى هَذَا الضَّرْبُ إِنْكَارِيًّا)**(٣).

**وَمِثَالُ ذَلِكَ:** قَوْلُ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – : ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم

---

(١) فِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَا يُؤَكَّدُ لَهُ بِالْكَلامِ؛ لأَنَّهُ خَالِي الذِّهْنِ مِنَ الْحُكْمِ، فَهُوَ ابْتِدَائِيٌّ.

(٢) فِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَحْسُنُ تَأْكِيدُ الْكَلامِ؛ لأَنَّ الأَخَ مُتَرَدِّدٌ، كَأَنَّهُ يَطْلُبُ التَّأْكِيدَ؛ لِيَتَمَكَّنَ فِي نَفْسِهِ.

(٣) فِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَكُونُ الأَخُ قَدْ أَنْكَرَ الْكَلامَ. وَأَنْكَرَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ عَبْدَ اللهِ مُعْتَقِدًا خِلافَهُ، فَتَحْتَاجُ أَنْ تُؤَكِّدَ لَهُ بِأَكْثَرَ مِنْ مُؤَكِّدٍ عَلَى حَسَبِ إِنْكَارِهِ قُوَّةً وَضَعْفًا.

مُرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [ يس: ١٣ - ١٦ ].

فَفِي هَذِهِ الآيَاتِ الْكَرِيمَةِ يَبْدُو التَّأْكِيدُ بِأَرْوَعِ صُورَةٍ، وَأَنْصَعِ بَيَانٍ لِلْخَبَرِ، فَقَدْ قَالَ أَوَّلاً: ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ﴾ ، فَأَوْرَدَ الْكَلامَ (ابْتِدَائِيَّ الخَبَرِ).

ثُمَّ قَالَ: ﴿ إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾، فَأَكَّدَهُ بِمُؤَكِّدَيْنِ، وَهُمَا: (إِنَّ)، و(اسْمِيَّةِ الجُمْلَةِ)، فَأَوْرَدَ الْكَلامَ (طَلَبِيًّا).

ثُمَّ قَالَ: ﴿ إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾، فَتَرَقَّى فِي التَّأْكِيدِ بِثَلاثَةٍ، وَهِيَ: (إِنَّ) و(لام الابْتِدَاءِ)، و(اسْمِيَّةِ الجُمْلَةِ)؛ فَأَوْرَدَ الكَلامَ (إِنْكَارِيَّ الخَبَرِ) جَوَابًا عَلَىٰ إِنْكَارِهِمْ.

قِيلَ: وَفِي قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ ﴾ تَأْكِيدٌ رَابِعٌ، وَهُوَ إِجْرَاءُ الْكَلامِ مُجْرَىٰ الْقَسَمِ فِي التَّأْكِيدِ بِهِ (١).

(١) انْظُرْ «إِعْرَابَ الْقُرْآنِ وَبَيَانَهُ» لِمُحْيِي الدِّينِ دَرْوِيش - رَحِمَهُ اللهُ - (٦/ ٣١٥).

# أَلْفَاظُ التَّوْكِيدِ

## أَلْفَاظُ التَّوْكِيدِ هِيَ:

إِنَّ، وَلامُ الابْتِدَاءِ، وَضَمِيرُ الْفَصْلِ، وَالْقَسَمُ، وَأَمَّا الشَّرْطِيَّةُ، وَأَحْرُفُ التَّنْبِيهِ: (أَلا، وَأَمَا، وَهَا)، وَالْحُرُوفُ الزَّائِدَةُ: (إِنْ، أَنْ، مَا، مِنْ، الْبَاءِ، اللامُ)، وَقَدْ، وَالسِّين، وَسَوْفَ (الدَّاخِلَتَانِ عَلَىٰ فِعْلٍ دَالٍّ عَلَىٰ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ)، وَنُونَا التَّوْكِيدِ، وَتَكْرِيرُ النَّفْيِ.

## وَفِيمَا يَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ:

١- إِنَّ (١): كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحَجُّ: ٦٥].

---

(١) إِنَّ (المَكْسُورَةَ الهَمْزَةِ المُشَدَّدَةَ النُّونِ) هِيَ الأَصْلُ فِي التَّوْكِيدِ، تَنْصِبُ الاسْمَ، وَتَرْفَعُ الخَبَرَ، وَلَهَا فَوَائِدُ وَخَصَائِصُ وَمَحَاسِنُ لا يُدْرِكُهَا إِلاَّ الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ، فَمِنْ فَوَائِدِهَا – عَلَىٰ سَبِيلِ المِثَالِ –: أَنَّهَا تَرْبِطُ الجُمْلَةَ، بِحَيْثُ لَوْ سَقَطَتْ لَذَهَبَ رَوْنَقُ النَّظْمِ، وَأَصْبَحَ الْكَلامُ مُفَكَّكًا، لا مِيزَةَ لَهُ، وَلا رُوحَ فِيهِ، وَهَذَا فِي التَّنْزِيلِ كَثِيرٌ، فَمِنْهُ قَوْلُهُ – تَعَالَىٰ –: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ①﴾ [الحَجُّ: ١]، فَلَوْ أَنَّكَ أَسْقَطْتَ (إِنَّ)، فَقِيلَ مَثَلاً: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتقوا ربكم زلزلة السَّاعة شَيْءٌ عَظِيمٌ» – لَذَهَبَ حُسْنُ الْكَلامِ وَرَوْنَقُهُ.

وَقَدْ ذَكَرَ الإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الجُرْجَانِيُّ فِي كِتَابِهِ «الدَّلائِلُ» (ص٢٧٣) وَقْفَةً لَطِيفَةً، يَحْسُنُ إِيرَادُهَا هُنَا: «رُوِيَ عَنِ الأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَسِيرُ مَعَ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلاءِ، وَخَلَفٍ الأَحْمَرِ، وَكَانُوا يَأْتُونَ بَشَّارًا، فَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ بِغَايَةِ الإِعْظَامِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: يَا أَبَا مُعَاذٍ، مَا أَحْدَثْتَ ؟ يُخْبِرُهُمْ وَيُنْشِدُهُمْ، وَيَسْأَلُونَهُ، وَيَكْتُبُونَ عَنْهُ مُتَوَاضِعِينَ لَهُ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَقْتُ الزَّوَالِ، ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ، وَأَتَوْهُ يَوْمًا، فَقَالُوا: مَا هَذِهِ الْقَصِيدَةُ الَّتِي أَحْدَثْتَهَا فِي سَالِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ؟. قَالَ: هِيَ الَّتِي بَلَغَتْكُمْ. قَالُوا: بَلَغَنَا أَنَّكَ أَكْثَرْتَ فِيهَا مِنَ الْغَرِيبِ!. قَالَ: نَعَمْ، بَلَغَنِي أَنَّ سَالِمَ بْنَ قُتَيْبَةَ يَتَبَاصَرُ بِالْغَرِيبِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُورِدَ عَلَيْهَا مَا لا يَعْرِفُ. قَالُوا: فَأَنْشِدْنَا يَا أَبَا مُعَاذٍ. فَأَنْشَدَهُمْ:

بَكِّرَا – صَاحِبَيَّ – قَبْلَ الْهَجِيرِ    إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ

٢ - لامُ الابْتِدَاءِ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ﴾ [الحَشْر: ١٣]. وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ﴾ [البقرة: ٢٢١].

٣ - الْقَسَمُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥].

٤ - ضَمِيرُ الفَصْلِ (١): كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٥]. وَنَحو: «إِنَّمَا الْكَرَمُ هُوَ التَّقْوَىٰ».

حَتَّىٰ فرغَ مِنْهَا، فَقَالَ لَهُ خَلَفٌ: لَوْ قُلْتَ - يَا أَبَا مُعَاذ - مَكَانَ: «إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ»: بَكِّرَا؛ فَالنَّجَاحُ فِي التَّبْكِيرِ، كَانَ أَحْسَنَ. فَقَالَ بَشَّارٌ: أَنَا بَنَيْتُهَا أَعْرَابِيَّةً وَحْشِيَّةً؛ فَقُلْتُ: «إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ»، كَمَا تَقُولُ الأَعْرَابُ الْبَدَوِيُّونَ، وَلَوْ قُلْتُ: «بَكِّرَا فَالنَّجَاحُ»، كَانَ هَذَا مِنْ كَلامِ الْمُوَلَّدِينَ، وَلا يُشْبِهُ ذَاكَ فِي مَعْنَىٰ الْقَصِيدَةِ. قَالَ: فَقَامَ خَلَفٌ الأَحْمَرُ، فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ».
وَقَدْ يُلْحِقُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بـ«إِنَّ»: (أَنَّ) مَفْتُوحَةَ الْهَمْزَة، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي كِتَابِ اللهِ، كَقَوْلِه -تَعَالَىٰ-: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [الْكَهْف: ١١٠]، وَمَعْنَىٰ التَّأْكِيدِ فِي «أَنَّ» (مَفْتُوحَةُ الْهَمْزَةِ) أَنَّكَ حِينَمَا تَقُولُ: عَلِمْتُ أَنَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ لا يَسْتَحِقُّونَ الْكَرَامَةَ، فَإِنَّ (أَنَّ) وَمَا بَعدَهَا تُؤَوَّلُ بِمَصْدَرٍ فِي مَحَلِّ نَصْبِ مَفْعُولٍ بِه، أَيْ: عَلِمْتُ عَدَمَ اسْتِحْقَاقِ الْمُسْتَضْعَفِينَ لِلْكَرَامَة، فَالْعِبَارَةُ الأُولَىٰ أَبْلَغُ مِنَ الْعِبَارَةِ الثَّانِيَة، وَنَنْطِقُ بِهَا عِنْدَمَا يَكُونُ هُنَاكَ شَكٌّ أَوْ إِنْكَارٌ، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا ﴾ [الْحُجُرَاتُ: ٥]، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ أَنْ يُقَالَ: وَلَوْ تَمَّ صَبْرُهُمْ أَوْ ثَبَتَ.
عَلَىٰ كُلٍّ فَإِنَّ (إِنَّ) لَهَا مَحَاسِنُ عَزِيزَةٌ، فَمِنْ مَحَاسِنِهَا - أَيْضًا - أَنَّكَ تَجِدُ لِضَمِيرِ الشَّأْنِ مَعَهَا رَوْنَقًا وَطَلاوَةً، يَكْسُوانِ اللَّفْظَ دِقَّةً وَقُوَّةً تَزِيدَانِ فِي الْمَعْنَىٰ، وَمِنْ هَذَا كَثِيرٌ فِي التَّنْزِيلِ، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يُوسُفُ: ٩٠]، وَقَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴾ [طَهَ: ٧٤]، وَمَتَىٰ أَسْقَطْنَا (إِنَّهُ) فَسَوْفَ يَخْلُو الْكَلامُ مِنْ هَذَا الرَّوْنَقِ، وَمِنْ تِلْكَ الدِّقَّة. انظُرْ «بَلاغتنا» (١/ ١٤٤).

(١) أَخِي، قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الضَّمَائِرَ هِيَ أَسْمَاءٌ، وَهِيَ أَنْوَاعُ الْمَعَارِف، لَكِنْ ضَمِيرُ الْفَصْلِ لَيْسَ اسْمًا، وَإِنَّمَا هُوَ حَرْفٌ فِي الْمَشْهُورِ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ، وَسُمِّيَ ضَمِيرَ الْفَصْلِ؛ لأَنَّهُ جَاءَ يَفْصِلُ بَيْنَ الْمُبْتَدَإِ وَالْخَبَرِ، وَهُوَ ضَمِيرٌ يُفِيدُ التَّأْكِيدَ، وَمِنْ فَوَائِدِه: أَنَّهُ يَأْتِي لاخْتِصَاصٍ، وَأَنَّ مَا بَعْدَهُ يَكُونُ خَبَرًا لا تَابِعًا، فَلَوْ أَنَّكَ قُلْتَ: وَأُولَئِكَ الْمُفْلِحُونَ، جَازَ أَنْ تَكُونَ هَذِه الْكَلِمَةُ «الْمُفْلِحُونَ» صِفَةً أَوْ خَبَرًا، لَكِنْ بِمَجِيءِ ضَمِيرِ الْفَصْلِ لا يَجُوزُ إِعْرَابُهَا صِفَةً؛ لأَنَّ الْخَبَرَ عُمْدَةٌ فِي الْكَلامِ. انْظُرْ «بَلاغتنا» (١/ ١١٩).

٥ - أمَّا الشَّرْطِيَّةُ[١]: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ [الضُّحَىٰ: ٩].

٦ - أَحْرُفُ التَّنْبِيهِ (أَلَا، وَأَمَا، وَهَا): فَالأَوَّلُ كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ﴾ [البقرة: ١٣].

وَأَمَّا (أَمَا) فَتَكْثُرُ قَبْلَ الْقَسَمِ، كَقَوْلِهِ (أَيْ صَخْرٍ الهُذَلِيِّ):

أَمَا وَالَّذِي أَبْكَىٰ وَأَضْحَكَ، وَالَّذِي ... أَمَاتَ وَأَحْيَا، وَالَّذِي أَمْرُهُ الأَمْرُ

وَمِثَالُ هَا: قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١١٩].

٧ - الحُرُوفُ الزَّائِدَةُ، وهِيَ: (إِنْ، أَنْ، مَا، مَنْ، البَاءُ، اللَّامُ):

(أ) إِنْ: كَقَوْلِهِ:

مَا إِنْ جَزِعْتُ وَلَا هَلِعْتُ ... وَلَا يَرُدُّ بُكَايَ زَنْدَا

(ب) أَنْ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾ [يُوسُف: ٩٦][٢].

(جـ) مَا: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾ [المائدة: ١٣].

---

(١) أَيْ قَدْ تَكُون عَازِمًا عَلَىٰ السَّفَرِ، فَقُلْتَ لِزَوْجَتِكَ: أَنَا عَازِمٌ عَلَىٰ السَّفَرِ، فَإِذَا أَحْسَسْتَ مِنْهَا شَكًّا وَتَرَدُّدًا فِيمَا قُلْتَ، فَإِنَّكَ تُؤَكِّدُ لَهَا هَذَا الْخَبَرَ بِقَوْلِكَ: أَمَّا أَنَا فَعَازِمٌ عَلَىٰ السَّفَرِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ (أَمَّا) لَهَا ضَابِطٌ، فَهِيَ مَفْتُوحَةُ الأَلِفِ، مُشَدَّدَةُ الْمِيمِ، وَهِيَ هُنَا حَرْفُ شَرْطٍ وَتَفْصِيلٍ يُفِيدُ التَّوْكِيدَ، خِلَافًا لِـ(إِمَّا) - بِالْكَسْرِ -، فَهِيَ لَيْسَتْ مِنْ أَدَوَاتِ التَّوْكِيدِ.

وَهُنَا فَائِدَةٌ ذَكَرَهَا الزَّمَخْشَرِيُّ، وَنَقَلَهَا عَنْهُ طَبَانَةُ فِي كِتَابِهِ «مُعْجَمُ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ» (ص٤٩)، قَالَ: فَائِدَةُ (أَمَّا) فِي الْكَلَامِ أَنْ تُعْطِيَهِ فَضْلَ تَوْكِيدٍ، تَقُولُ: «زَيْدٌ ذَاهِبٌ»، فَإِذَا قَصَدْتَ تَوْكِيدَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ - لا مَحَالَةَ - ذَاهِبٌ، وَأَنَّهُ بِصَدَدِ الذَّهَابِ، وَأَنَّهُ مِنْهُ عَزِيمَةٌ - قُلْتَ: «أَمَّا زَيْدٌ فَذَاهِبٌ».

(٢) تَنْبِيهٌ مُهِمٌّ: الحُرُوفُ الزَّائِدَةُ إِذَا كَانَتْ فِي كِتَابِ اللهِ، لا تُسَمَّىٰ زَوَائِدَ، بَلْ حُرُوفُ تَوْكِيدٍ تَأَدُّبًا مَعَ كِتَابِ اللهِ، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ حُرُوفُ تَوْكِيدٍ فِي الأَصْلِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ زَوَائِدَ لاصْطِلَاحِ اصْطَلَحَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ النَّحْوِ، فَهِيَ زَائِدَةٌ إِعْرَابًا لا مَعْنًى، وَإِنَّمَا الْمَعِيبُ الْمُنَزَّهُ عَنْهُ الْقُرْآنُ هُوَ الزَّائِدُ الَّذِي لا فَائِدَةَ مَعَهُ، فَيَكُونُ وُجُودُهُ كَعَدَمِهِ.

(د) مِنْ: كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ – : ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المُؤْمِنُونَ: ٩١].

(هـ) البَاءُ: كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ – : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

٨ - قد: كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ – : ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

٩ - السِّينُ، وَسَوْف: أَمَّا السِّينُ فَنَحْو قَوْلِهِ – تَعَالَىٰ – : ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطَّلاق: ٧]، وَأَمَّا سَوْفَ فَكَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ – : ﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [النِّسَاء: ١٥٢].

١٠ - نُونا التَّوْكِيدُ[١]: وَقَدِ اجْتَمَعَتَا فِي قَوْلِهِ – تَعَالَىٰ – : ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢].

١١ - تَكْرَارُ النَّفْيِ: كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ – : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣، ٤][٢].

(١) أُحِبُّ أَنْ أُنَبِّهَكَ هُنَا إِلَىٰ فَائِدَة، وَهِيَ أَنَّ نُونَ التَّوْكِيدِ الثَّقِيلَة تُثْبَتُ فِي حَالَة الْوَقْف، وحَالَة الْوَصْل، أَمَّا نُونُ التَّوْكِيدِ الخَفِيفَة فَتُثْبَتُ فِي حَالِ الْوَصْلِ فَقَطْ، أَمَّا فِي حَالِ الْوَقْف فَإِنَّنَا لا نَقِفُ عَلَيْهَا كَمَا نَقِفُ عَلَىٰ نُونِ التَّوْكِيدِ الثَّقِيلَة، وَإِنَّمَا نَقْلِبُهَا أَلِفًا، فَإِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَقِفَ عَلَىٰ قَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿لَنَسْفَعًا﴾ فَإِنِّي أَقُولُ «لَنَسْفَعا»، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقِفَ عَلَىٰ قَوْلِكَ: «لأَفْعَلَنْ» – بِتَسْكِينِ النُّونِ –، تَقُولُ: «لأَفْعَلا»، وكَذَلِكَ قَوْلُكَ لِصَاحِبِكَ: «لَتَشْرَبَنْ»؛ تَقُولُ: «لَتَشْرَبَا». انْظُرْ «بَلاغَتنا» (١/ ١٢٣).

(٢) التَّكْرَارُ يَكُونُ لِنُكْتَة بَلاغِيَّة: كَتَأْكِيدِ الإِنْذَارِ كَمَا فِي الْمِثَالِ، وَفِي «ثُمَّ» دَلالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الإِنْذَارَ الثَّانِي أَبْلَغُ مِنَ الأَوَّلِ تَنْزِيلاً لِبُعْدِ الْمَرْتَبَةِ مِنْزِلَةَ بُعْدِ الزَّمَانِ.

# أغْرَاضُ الْخَبَرِ

**الأَصْلُ فِي الخَبَرِ أَنْ يُلْقَىٰ لأَحَدِ غَرَضَيْنِ:**

**١ - إِفَادَةُ المُخَاطَبِ الْحُكْمَ الَّذِي تَضَمَّنَتْهُ الجُمْلَةُ إِذَا كَانَ جَاهِلاً لَهُ،** وَيُسَمَّىٰ ذَلِكَ الحُكْمُ (فَائِدَةَ الخَبَرِ)، كَقَوْلِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «الْعِلْمُ ثَلاثَةٌ: كِتَابٌ نَاطِقٌ، وَسُنَّةٌ مَاضِيَةٌ، وَلا أَدْرِي»(١).

**٢ - إِفَادَةُ المُخَاطَبِ أَنَّ المُتَكَلِّمَ عَالِمٌ بِالحُكْمِ،** وَيُسَمَّىٰ ذَلِكَ (لازِمَ الْفَائِدَةِ).

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا كَانَ لَكَ ثَلاثُ نِسَاءٍ، فَكَسَوْتَ اثْنَتَيْنِ مِنْهُنَّ، فَقَالَتْ لَكَ الثَّالِثَةُ: كَسَوْتَ نِسَاءَكَ إِلاَّ أَنَا.

فَزَوْجَتُكَ الثَّالِثَةُ لا تَقْصِدُ أَنْ تُفِيدَكَ فَائِدَةً، بَلْ إِنَّكَ تَعْلَمُهَا مِنْ نَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ تُعْلِمُكَ هِيَ، فَأَنْتَ لَمْ تَسْتَفِدْ عِلْمًا بِالخَبَرِ نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا اسْتَفَدْتَ أَنَّ زَوْجَتَكَ الثَّالِثَةَ عَالِمَةٌ بِهِ.

**وَقَدْ يُلْقَىٰ الْخَبَرُ عَلَىٰ خِلافِ الأَصْلِ لأَغْرَاضٍ أُخْرَىٰ تُفْهَمُ مِنَ السِّيَاقِ، مِثْلَ:**

**١ - الاسْتِرْحَامُ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

**٢ - إِظْهَارُ الضَّعْفِ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤].

**٣ - إِظْهَارُ التَّحَسُّرِ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ﴾(٢) [آل عمران: ٣٦].

---

(١) «عُيُونُ الأَخْبَارِ» (٥/ ١٣٠).

(٢) إِنَّمَا تَحَسَّرَتْ وَتَحَزَّنَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ لَمَّا وَجَدَتْ ما فِي بَطْنِهَا أُنْثَىٰ لا ذَكَرًا؛ لأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ نَذَرَتْهُ عَتِيقًا ==

٤ - التَّعْرِيضُ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣][(١)].

٥ - الفَخْرُ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨].

٦ - تحريكُ الهِمَّةِ إِلَىٰ مَا يَلْزَمُ تَحْصِيلُهُ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

٧ - إِظْهَارُ السُّرُورِ بِمُقْبِلٍ، وَالشَّمَاتَةِ بِمُدْبِرٍ: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١].

٨ - التَّذْكِيرُ بِمَا بَيْنَ المَرَاتِبِ مِنَ التَّفَاوُتِ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [النِّسَاء: ٩٥].

٩ - الْوَعْظُ وَالإِرْشَادُ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرَّحْمَن: ٢٦]

١٠ - التَّوْبِيخُ: كَقَوْلِكَ لِمَنْ يَنَامُ حَتَّىٰ طُلُوعِ الشَّمْسِ: أَنْتَ تُصَلِّي الْغَدَاةَ بَعْدَ خُرُوجِ وَقْتِهَا.

---

= خَالِصًا لله، خَادِمًا لِلْكَنِيسَةِ، وَلَمْ يَكُنْ يُقْبَلُ فِي النَّذْرِ إِلاَّ الذَّكَرُ دُونَ الأُنْثَىٰ، فَلَمَّا فَاتَهَا مَا كَانَتْ تَرْجُوهُ وَتُقَدِّرُهُ، تَحَسَّرَتْ عَلَيْهِ.

(١) أَيْ: يُعَرِّضُ بِهِ أَنَّهُ لا يَصْلُحُ إِلَهًا.

## الإنْشَاءُ

الإِنْشَاءُ مَا لا يَحْتَمِلُ صِدْقًا وَلا كَذِبًا، وَهُوَ قِسْمَان:

### ١ - طَلَبِيٌّ:

وَهُوَ الَّذِي يَسْتَدْعِي مَطْلُوبًا غَيْرَ حَاصِلٍ فِي اعْتِقَادِ الْمُتَكَلِّمِ وَقْتَ الطَّلَبِ، وَيَنقَسِمُ إِلَىٰ خَمْسَةِ أَقْسَامٍ:

١ - **الأَمْرُ:** كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: ١١٠].

٢ - **النَّهْيُ:** كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ [الإسراء: ٣٢].

٣ - **الاسْتِفْهَامُ:** نَحْو: مَنْ أَوَّلُ طَبِيبٍ عَرَبِيٍّ؟.

٤ - **التَّمَنِّي:** كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر: ٢٤].

٥ - **النِّدَاءُ:** كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ [الزُّمَر: ١٦].

### ٢ - غَيْرُ الطَّلَبِيِّ:

هُوَ الَّذِي لا يَسْتَدْعِي أَمْرًا حَاصِلاً وَقْتَ الطَّلَبِ، وَأَقْسَامُهُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

١ - **التَّعَجُّبُ**(١): كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) ﴾ [عبس: ١٧]، وَكَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾(٢) [البقرة: ٢٨].

---

(١) التَّعَجُّبُ يَكُونُ قِيَاسًا بِصِيغَتَيْنِ: «مَا أَفْعَلَهُ»، وَ«أَفْعِلْ بِهِ»، وَيَكُونُ سَمَاعِيًّا بِصِيَغٍ كَثِيرَةٍ، نَحْو: «لِلَّهِ دَرُّهُ فَارِسًا!»، وَ«يَا لَهُ بَحْرًا!»، وَ«وَاهًا لأَيَّامِ الصِّبَا!»، وَ«قَاتَلَهُ اللَّهُ مِنْ شَاعِرٍ!».. إلخ.

(٢) الجُمْلَةُ فِي الآيَةِ لَيْسَتْ مِنْ قَبِيلِ الإِنْشَاءِ الطَّلَبِيِّ؛ لأَنَّ الاسْتِفْهَامَ فِيهَا خَرَجَ عَنْ حَقِيقَتِهِ إِلَىٰ التَّعَجُّبِ مَعَ الإِنْكَارِ التَّقْرِيعِيِّ.

٢ - المدحُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ [ النحل: ٣٠ ].

٣ - الذَّمُّ[١]: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ ﴾ [ الحجرات: ١١ ].

٤ - الْقَسَم[٢]: ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [ التَّغَابن: ٧ ].

٥ - صِيَغُ العُقُود[٣]: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ [ الأحزاب: ٣٧ ].

٦ - الرَّجَاءُ[٤]: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ﴾ [ المائدة: ٥٢ ].

وَالْمَبْحُوثُ عَنْهُ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي هُوَ الإِنْشَاءُ الطَّلَبِيُّ؛ لأَنَّ فِيهِ مِنَ الْمَزَايَا وَاللَّطَائِفِ مَا لَيْسَ فِي الإِنْشَاءِ غَيْرِ الطَّلَبِيِّ أَخْبَارٌ فِي الأَصْلِ، نُقِلَتْ إِلَىٰ الإِنْشَاءِ؛ وَلِهَذَا لَمْ نُطِلِ الْبَحْثَ فِي أَقْسَامِهِ.

تَنْبِيهٌ: قَدْ تَكُونُ الْجُمْلَةُ خَبَرِيَّةً لَفْظًا إِنْشَائِيَّةً مَعْنًى، وَعَلَىٰ ذَلِكَ تُعَدُّ فِي بَابِ الإِنْشَاءِ، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [ البقرة: ١٩٧ ]، أَيْ: فَلا يَرْفُثْ وَلا يَفْسُقْ...، فَهُوَ نَهْيٌ أُخْرِجَ مُخْرَجَ الْخَبَرِ الْمَنْفِيِّ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ الصَّرِيحِ؛ لأَنَّهُ يُشْعِرُ بِأَنَّ الْمَنْهِيَّ حَقُّهُ أَنْ يُسَارِعَ إِلَىٰ الانْتِهَاءِ، فَكَأَنَّهُ انْتَهَىٰ عَنْهُ، فَهُوَ - سُبْحَانَهُ - يُخْبِرُ بِعَدَمِ وُجُودِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ.

---

(١) المدحُ وَالذَّمُّ يَكُونَانِ بِأَلْفَاظٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا: (نِعْمَ، وَبِئْسَ)، وَمَا جَرَىٰ مَجْرَاهُمَا، نَحْو: (سَاءَ، حَبَّذَا، وَلا حَبَّذَا، وَالأَفْعَالِ الْمُحَوَّلَةِ إِلَىٰ فَعُلَ، نَحْو: خَبُثَ فُلانٌ أَصْلاً).

(٢) القَسَمُ يَكُونُ بِالْوَاوِ، وَالْبَاءِ، وَالتَّاءِ، وَبِغَيْرِهَا.

(٣) صِيَغُ الْعُقُودِ تَكُونُ بِالْمَاضِي كَثِيرًا، نَحْوُ (بِعْتُ، وَاشْتَرَيْتَ، وَأَعْتَقْتَ)، وَتَكُونُ بِغَيْرِ الْمَاضِي قَلِيلاً، نَحْو: (أَنَا بَائِعٌ).

(٤) الرَّجَاءُ يَكُونُ بِـ(عَسَىٰ، وَحَرَىٰ، وَاخْلَوْلَقَ).

وكَقَوْلِه – تَعَالَىٰ – : ﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ** ﴾ [ البقرة: ٢٢٨ ]، أَيْ: لِيَتَرَبَّصْنَ، فَهُوَ أَمْرٌ أُخْرِجَ مُخْرَجَ الخَبَرِ مُبَالَغَةً الحمل عَلَىٰ تَحْقِيقِهِ، وَإِيذَانًا بِوُجُوبِ الامْتِثَالِ، فَكَأَنَّهُنَّ قَدِ امْتَثَلْنَ الأَمْرَ، فَأَخْبَرَ بِوُقُوعِهِ.

وكَقَوْلِه – تَعَالَىٰ –: ﴿ **قَاتَلَهُمُ اللَّهُ** ﴾ [ المُنَافِقون: ٤ ]، أَيْ: اقْتُلْهُمْ اللَّهُمَّ، فَهُوَ أَمْرٌ دُعَائِيٌّ أُخْرِجَ مُخْرَجَ الخَبَرِ تَأْكِيداً وَمُبَالَغَةً.

# الإِنْشَاءُ الطَّلَبِيُّ

## ١ - الأَمْرُ

الأَمْرُ عِنْدَ الْعَرَبِ: هُوَ مَا إِذَا لَمْ يَفْعَلْهُ الْمَأْمُورُ بِهِ سُمِّيَ عَاصِيًا، وَهُوَ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْبَلاغَةِ: الطَّلَبُ الجَازِمُ لِلْفِعْلِ عَلَىٰ وَجْهِ الاسْتِعْلاءِ[١] مِمَّنْ هُوَ دُونَ الآمِرِ.

**وَلَهُ أَرْبَعُ صِيَغٍ:**

١ - **فِعْلُ الأَمْرِ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿**يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ**﴾ [مريم: ١٢].

٢ - **الْمُضَارِعُ الْمَجْزُومُ بِلامِ الأَمْرِ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ**﴾ [الطلاق: ٧].

٣ - **اسْمُ فِعْلِ الأَمْرِ**[٢]: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿**عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ**﴾ [المائدة: ١٠٥].

٤ - **الْمَصْدَرُ النَّائِبُ عَنْ فِعْلِ الأَمْرِ:** ﴿**فَضَرْبَ الرِّقَابِ**﴾ [محمد: ٤].

---

(١) الْمُرَادُ بِالاسْتِعْلاءِ هُنَا: عَدُّ الآمِرِ نَفْسَهُ عَالِيًا، سَوَاءٌ أَكَانَ عَالِيًا فِي الْوَاقِعِ أَمْ لا، وَلِهَذَا يُنْسَبُ إِلَىٰ سُوءِ الأَدَبِ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَالِيًا (أَيْ: لا يَصْلُحُ أَنْ يُخَاطِبَ مَنْ لَيْسَ بِعَالٍ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، أَوْ أَعْلَىٰ مِنْهُ بِالْمَنْزِلَةِ مُسْتَخْدِمًا صِيَغَ الأَمْرِ، وَإِلاَّ نُسِبَ إِلَىٰ سُوءِ الأَدَبِ).

لِهَذَا جَعَلُوا الأَمْرَ اسْتِعْلاءً مَعَ الأَدْنَىٰ، وَدُعَاءً مَعَ الأَعْلَىٰ، وَالْتِمَاسًا مَعَ النَّظِيرِ (أَيْ: مَنْ يُسَاوِيكَ مَنْزِلَةً)، وَعَلَيْهِ لا يَصْلُحُ اسْتِعْمَالُ صِيَغِ الأَمْرِ فِي الأُسْلُوبِ الخَطَابِيِّ، إِلاَّ إِذَا كَانَ مِنْ عَالِمٍ لَهُ مَكَانَتُهُ، أَوْ مِنْ وَالٍ أَمْرٍ لَهُ كَلِمَاتُهُ؛ فَالنَّاسُ يَنْفِرُونَ مِنْ هَذَا الأُسْلُوبِ، فَمِنَ الْحِكْمَةِ اسْتِخْدَامُ التَّرْغِيبِ، وَالتَّرْهِيبِ، وَالالْتِمَاسِ، وَالدُّعَاءِ، وَالأُسْلُوبِ الحَكِيمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَسَالِيبِ الْبَلاغِيَّةِ.

(٢) اسْمُ فِعْلِ الأَمْرِ مِنْهُ مَا هُوَ سَمَاعِيٌّ، مِثْل: (مَهْ)، (صَهْ)، (آمِينَ)، وَمِنْهُ مَا هُوَ قِيَاسِيٌّ، وَهُوَ عَلَىٰ صِيغَةِ (فَعَالِ) مِنَ الْفِعْلِ الثُّلاثِيِّ، مثل: «نَزَالِ» بِمَعْنَىٰ: انْزِلْ. وَشَذَّ مِنَ الرُّبَاعِيِّ: «دَرَاكِ» بِمَعْنَىٰ: أَدْرِكْ.

## خُروجُ صيغِ الأَمْرِ عَنْ مَعْنَاهَا:

صِيَغُ الأَمْرِ قَدْ تَخْرُجُ عَنْ مَعْنَاهَا الأَصْلِيِّ إِلَىٰ مَعَانٍ أُخْرَىٰ، تُسْتَفَادُ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ، وَقَرَائِنِ الأَحْوَالِ، مِثْل:

١ - **الدُّعَاءُ:** لِقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

٢ - **الالْتِمَاسُ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

٣ - **الإِرْشَادُ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٤ - **التَّهْدِيدُ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

٥ - **الإِنْذَارُ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾﴾ [إِبْرَاهِيمُ: ٣٠].

٦ - **التَّعْجِيزُ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

٧ - **الإِبَاحَةُ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقَوْلِهِ - ﷺ -: «قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، أَلَا فَزُورُوهَا[١]».

٨ - **التَّسْوِيَةُ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ [الطور: ١٦].

٩ - **الإِكْرَامُ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦].

---

(١) إِذَا وَقَعَ الأَمْرُ عَقِبَ النَّهْيِ كَانَ لِلإِبَاحَةِ لا لِلْوُجُوبِ.

١٠ - **الامْتِنَانُ**: كَقَوْلِه – تَعَالَىٰ –: ﴿ **فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ** ﴾ [النحل: ٤٦].

١١ - **النَّدْبُ** [١]: كَقَوْلِه – تَعَالَىٰ –: ﴿ **فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا** ﴾ [النور: ٣٣].

١٢ - **التَّهَكُّمُ وَالإِهَانَةُ**: كَقَوْلِه – تَعَالَىٰ –: ﴿ **كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا** ﴾[٢] [الإسراء: ٥]، وكَقَوْلِه – تَعَالَىٰ –: ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** (٤٩) ﴾ [الدُّخَان: ٤٩]. وَمِنْهُ قَوْلُ جَرِيرٍ:

فَغُضَّ الطَّرْفَ؛ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ[٣] فَلا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلا كِلابا

١٣ - **الدَّوَامُ**: كَقَوْلِه – تَعَالَىٰ –: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ [الفاتحة: ٦]، أَيْ: ثَبِّتْنَا عَلَيْه.

١٤ - **التَّمَنِّي**: كَقَوْلِه – تَعَالَىٰ –: ﴿ **رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ** ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

١٥ - **الاعْتِبَارُ**: كَقَوْلِه – تَعَالَىٰ –: ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ** ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وكَقَوْلِ الرَّقَاشِيِّ: «سَلِ الأَرْضَ: مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكِ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكِ؟ فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِوَارًا، أَجَابَتْكَ اعْتِبَارًا».

١٦ - **التَّخْيِيرُ**: كَقَوْلِ رَسُولِ اللهِ – ﷺ –: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**».

١٧ - **التَّأْدِيبُ**: كَقَوْلِ رَسُولِ اللهِ – ﷺ –: «**يَا غُلامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**».

---

(١) النَّدْبُ: هُوَ طَلَبٌ لا عَلَىٰ سَبِيلِ الجَزْمِ.

(٢) الأَمْرُ هُنَا لِلتَّعْجِيزِ – أَيْضًا –.

(٣) نُمَيْر – بِزِنَةِ زُبَيْرٍ –: أَبُو قَبِيلَةٍ مِنْ قَيْسِ عَيْلانَ، أَيْ: كُفَّ الْبَصَرَ ذُلاًّ وَمَهَانَةً؛ فَلَسْتَ مِنْ أَهْلِ المَجْدِ وَالشَّرَفِ، وَغَضَّ مِنْ بَابِ رَدَّ، وَغَضَاضًا – بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ – وَغَضَاضَةً.

١٨ - التَّعْجِيبُ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ﴾ [الإسراء: ٤٨][(١)].

١٩ - التَّسْخِيرُ وَالتَّكْوِينُ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥)﴾ [الْبَقَرَة: ٦٥].

(١) هُنَا فَائِدَةٌ: وَهِيَ أَنَّ هَذِهِ الصِّيَغُ قَدْ يَتَدَاخَلُ بَعْضُهَا فِي بَعْضِهَا الآخَرُ، كَمَا أَنَّهَا لَيْسَتْ عَلَىٰ سَبِيلِ الحَصْرِ، فَهُنَاكَ صِيَغٌ كَثِيرَةٌ يُمْكِنُ أَنْ تُسْتَفَادَ مِنَ السِّيَاقِ: كَالتَّلَهُّفِ، وَالتَّحَسُّرُ، والتَّفْوِيضُ، والتَّكْذِيبِ، وَالمَشُورَةِ، وَالتَّسْلِيمِ. وَكُتُبِ أُصُولِ الْفِقْهِ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ الأَغْرَاضِ. انظُرْ «بَلاغتنا» (١/١٥٧).

## ٢ - النَّهْيُ

هُوَ: الطَّلَبُ الجَازِمُ لِتَرْكِ الْفِعْلِ عَلَىٰ وَجْهِ الاسْتِعْلاءِ(١).

وَلَهُ صِيغَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ: الْمُضَارِعُ مَعَ (لا) النَّاهِيَة، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأَعْرَافُ: ٥٦].

وَاعْلَمْ - أَخِي - أَنَّ هَذِهِ الصِّيغَةَ قَدْ تَخْرُجُ عَنْ أَصْلِ مَعْنَاهَا إِلَىٰ مَعَانٍ أُخَرَ، تُسْتَفَادُ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ، وَقَرَائِنِ الأَحْوَالِ، مِثْلُ:

١ - **الدُّعَاء:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٢ - **الالتماس:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

٣ - **الإرشاد:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، وقَوْلِهِ - ﷺ -: «لَا تَأْكُلِ الْبَصَلَ النِّيءَ».

٤ - **التَّوبيخ:** كقول أبي الأسود:

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ - إِذَا فَعَلْتَ - عَظِيمُ

٥ - **التَّيْئِيس:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التحريم: ٧].

---

(١) النَّهْيُ حَقِيقَةً فِي التَّحْرِيمِ - كَمَا عَلَيْهِ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ - فَمَتَىٰ وَرَدَتْ صِيغَةُ النَّهْيِ، أَفَادَت الحَظْرَ وَالتَّحْرِيمَ عَلَىٰ الْفَوْرِ، وَأَمَّا الأَمْرُ فَيُسْتَفَادُ فِيهِ الْفَوْرُ أَوِ التَّرَاخِي مِنَ الْقَرَائِنِ، وهُوَ كَالأَمْرِ، فَيَكُونُ اسْتِعْلاءً مَعَ الأَدْنَىٰ، وَدُعَاءً مَعَ الأَعْلَىٰ، وَالْتِمَاسًا مَعَ النَّظِيرِ. انْظُرْ «جَوَاهِرَ الْبَلَاغَة» (ص٥٥).

٦ - **الائْتِنَاس :** كَقَوْلِهِ - تعالَىٰ -: ﴿ **لا تحزَنْ إنَّ اللَّهَ معَنَا** ﴾ [التوبة : ٤٠].

٧ - **التَّحْقِير:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ** ﴾ [الحجر: ٨٨].

٨ - **الْكَرَاهَة:** كَقَوْلِهِ - ﷺ -: «**اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ، وَلا يَبْسُطْ أَحَدُكُمْ ذِرَاعَيْهِ انْبِسَاطَ الْكَلْبِ**».

٩ - **التَّمَنِّي:** كَقَوْلِ الخَنْسَاءِ:

أَعَيْنَيَّ جُودَا وَلَا تَجْمُدَا ... أَلا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَىٰ؟!

١٠ - **التَّهْدِيدُ:** كَقَوْلِ الأَبِ لابْنِهِ: لا تَمْتَثِلْ أَمْرِي.

## ٣ - الاسْتِفْهَامُ

**الاسْتِفْهَامُ:** هُوَ طَلَبُ الْعِلْمِ بِشَيْءٍ مَجْهُولٍ، لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا مِنْ قَبْلُ، وَيَحْتَاجُ إِلَىٰ جَوَابٍ، وَذَلِكَ بِأَدَاةٍ مِنْ إِحْدَىٰ أَدَوَاتِهِ، وَهِيَ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ أَدَاةٍ: ظَرْفَانِ، وَهُمَا: (الْهَمْزَةُ، وَهَلْ)، وَتِسْعَةُ أَسْمَاءٍ، وَهِيَ: (مَنْ، وَمَا، وَمَتَىٰ، وَأَيْنَ، وَأَنَّىٰ، وَأَيَّانَ، وَكَيْفَ، وَكَمْ، وَأَيٌّ)(١).

**وَتَنْقَسِمُ بِحَسَبِ الطَّلَبِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:**

١ - مَا يُطْلَبُ بِهِ التَّصَوُّرُ تَارَةً، وَالتَّصْدِيقُ تَارَةً أُخْرَىٰ، وَهُوَ: (الْهَمْزَةُ).

٢ - مَا يُطْلَبُ بِهِ التَّصْدِيقُ فَقَطْ، وَهُوَ: (هَلْ).

٣ - مَا يُطْلَبُ بِهِ التَّصَوُّرُ فَقَطْ، وَهُوَ: بَقِيَّةُ أَلْفَاظِ الاسْتِفْهَامِ.

---

(١) «اعلمْ أَنَّ هَذِهِ الأَدَوَاتِ تَنْقَسِمُ مِنْ حَيْثُ الْمُسْتَفْهَمُ عَنْهُ إِلَىٰ أَقْسَامٍ ثَلَاثَةٍ:

(أ) **مِنْهَا مَا يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنِ الْحُكْمِ** - وَهُوَ إِثْبَاتُ شَيْءٍ لِشَيْءٍ، أَوْ نَفْيُهُ عَنْهُ - فَتَقُولُ: هَلْ تُحِبُّ الْعِلْمَ؟، هَلْ يُسَافِرُ أَخُوكَ؟، هَلْ تَسْتَيْقِظُ الأُمَّةُ؟. فَأَنْتَ - فِي هَذِهِ الأَمْثِلَةِ - لَمْ تَسْتَفْهِمْ عَنْ مُفْرَدٍ، فَلَمْ تَسْتَفْهِمْ عَنِ الْمَحَبَّةِ أَوِ الْعِلْمِ، وَلَمْ تَسْتَفْهِمْ عَنِ السَّفَرِ أَوْ عَنْ أَخِيكَ، وَلَمْ تَسْتَفْهِمْ عَنِ الاسْتِيقَاظِ أَوْ عَنِ الأُمَّةِ، وَإِنَّمَا كَانَ اسْتِفْهَامُكَ عَنِ الْحُكْمِ الَّذِي هُوَ إِثْبَاتُ حُبِّكَ لِلْعِلْمِ، وَسَفَرِ أَخِيكَ، وَاسْتِيقَاظِ الأُمَّةِ. وَهَذَا الَّذِي يُعَبِّرُونَ عَنْهُ بِالتَّصْدِيقِ، وَهُوَ إِدْرَاكُ النِّسْبَةِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، أَيْ: لِلتَّثَبُّتِ مِنْ حُصُولِهِ.

(ب) **مَا يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنْ مُفْرَدٍ**، نَقُولُ - مَثَلاً -: مَا الْبُرُّ؟. فَيُقَالُ لَكَ: الْقَمْحُ. وَمَا الْقَسْوَرَةُ؟. فَيُقَالُ لَكَ: الأَسَدُ. فَأَنْتَ تَرَىٰ هُنَا أَنْ لا حُكْمَ، فَلَمْ تُثْبِتْ شَيْئًا لِشَيْءٍ، وَهَذَا مَا يُسَمُّونَهُ التَّصَوُّرَ.

(جـ) **مَا يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنْ هَذَيْنِ مَعًا**، (أَعْنِي: عَنِ الْقَضِيَّةِ الَّتِي فِيهَا إِثْبَاتُ حُكْمٍ أَوْ نَفْيُهُ، وَهُوَ التَّصْدِيقُ، وَعَنِ الْمُفْرَدِ الَّذِي هُوَ التَّصَوُّرُ)، وَهَذَا الْقِسْمُ الَّذِي يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنِ التَّصَوُّرِ وَالتَّصْدِيقِ هُوَ (الْهَمْزَةُ). أَمَّا الَّذِي يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنِ التَّصْدِيقِ وَحْدَهُ فَهُوَ (هَلْ)، وَأَمَّا الَّذِي يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنِ التَّصَوُّرِ وَحْدَهُ فَهُوَ بَاقِي الأَدَوَاتِ». انظُرْ «بَلَاغَتَنَا» (١/ ١٧٣ - ١٧٤).

## أَدَوَاتُ الاسْتِفْهَامِ:

١ - **الهَمْزَةُ**: يُطْلَبُ بِهَا أَحَدُ أَمْرَيْنِ: التَّصَوُّرُ، أَوِ التَّصْدِيقُ (أَيْ: الْمُفْرَدُ، أَوِ الْحُكْمُ).

(أ) **فَالتَّصْدِيقُ**: نَحْو: أَطَلَعَتِ الشَّمْسُ؟، أَجَاءَ الأُسْتَاذُ؟، أَفَهِمْتَ الدَّرْسَ؟. فَأَنْتَ إِنَّمَا تَسْأَلُ عَنِ الْحُكْمِ، وَهُوَ إِثْبَاتُ حُكْمٍ لِشَيْءٍ، أَوْ نَفْيُهُ عَنْهُ. وَيَكْثُرُ التَّصْدِيقُ - كَمَا فِي الأَمْثِلَةِ السَّالِفَةِ - فِي الْجُمَلِ الْفِعْلِيَّةِ، وَيَقِلُّ فِي الْجُمَلِ الاسْمِيَّةِ، نَحْو: أَزَيْدٌ مُسَافِرٌ؟.

(ب) **وَالتَّصَوُّرُ**: نَحْوَ: أَعَبْدُ اللهِ مُسَافِرٌ أَمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ؟. فَأَنْتَ هُنَا لَمْ تَسْأَلْ عَنِ الْحُكْمِ، وَلَكِنَّكَ لا تَعْرِفُ عَلَىٰ التَّعْيِينِ مَنْ يَكُونُ الْمُسَافِرُ.

وَيَجِبُ أَنْ تَأْتِيَ هَمْزَةُ التَّصَوُّرِ مَتْلُوَّةً بِالْمُفْرَدِ الْمَسْئُولِ عَنْهُ(١)، وَيُذْكَرُ لَهُ - فِي الْغَالِبِ - مُعَادِلٌ بَعْدَ (أَمْ) الْعَاطِفَةِ(٢)، فَتُسَمَّىٰ مُتَّصِلَةً(٣)(٤).

---

(١) الْمُفْرَدُ الْمَسْئُولُ عَنْهُ بِهَمْزَةِ التَّصَوُّرِ يَأْتِي - دَائِمًا - بَعْدَهَا مُبَاشَرَةً، سَوَاءٌ أَكَانَ:

أ - **مُسْنَدًا إِلَيْهِ**، نحو: أَأَنْتَ خَطَبْتَ أَمْ عَبْدُ اللهِ؟.

ب - **أَمْ مُسْنَدًا**، نَحْو: أَأَكْرَمْتَ عَبْدَ اللهِ أَمْ أَهَنْتَهُ؟، وَنَحْو: أَمُسَافِرٌ أَنْتَ أَمْ مُقِيمٌ؟. الْمَسْئُولُ عَنْهُ هو مَا يَلِي الهَمْزَةَ، وَهُوَ الْفِعْلُ (أَكْرَمْتَ) وَلَيْسَ عَبْد اللهِ، فَالْمُعَادِلُ لِلْفِعْلِ وَلَيسَ للاسْمِ.

ج - **أَمْ مَفْعُولاً**، نَحْو: أَعَلِيًّا أَكْرَمْتَ أَمْ مُحَمَّدًا؟.

د - **أَمْ حَالاً**، نَحْو: أَرَاكِبًا حَضَرْتَ أَمْ مَاشِيًا؟.

هـ - **أَمْ ظَرْفًا**، نَحْو: أَيَوْمَ الخميسِ قَدِمْتَ أَمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؟.

و - **أَمْ جَارًّا وَمَجْرُورًا**، نَحْو: أَفِي دَارِ عَلِيٍّ نَزَلْتَ أَمْ فِي دَارِ سَعِيدٍ؟.

(٢) يَمْتَنِعُ ذِكْرُ الْمُعَادِلِ بَعْدَ هَمْزَةِ التَّصْدِيقِ أَوْ هَلْ، فَإِنْ وَقَعَتْ (أَمْ) بَعْدَهُمَا، كَانَتْ مُنْقَطِعَةً لِلإِضْرَابِ كـ(بَلْ)، وَعِنْدَئِذٍ لابُدَّ مِنْ وُقُوعِ الْجُمْلَةِ بَعْدَهَا، فَإِنْ وَقَعَ بَعْدَهَا مُفْرَدٌ قُدِّرَ بِجُمْلَةٍ، نَحْو: أَجَاءَ زَيْدٌ؟ أَمْ عَمْرٌو، أَيْ: بَلْ جَاءَ عَمْرٌو.

(٣) أَيْ: أَنَّ مَا بَعْدَهَا يَكُونُ دَاخِلاً فِي حَيِّزِ الاسْتِفْهَامِ السَّابِقِ عَلَيْهَا.

(٤) **فَائِدَةٌ**: الهَمْزَةُ أَصْلُ أَدَوَاتِ الاسْتِفْهَامِ؛ وَلِهَذَا خُصَّتْ بِجَوَازِ حَذْفِهَا، سَوَاءٌ تَقَدَّمَتْ عَلَىٰ (أَمْ) كَقَوْلِ الْخَنْسَاءِ:

٢ - هَلْ: يُطْلَبُ بِهَا التَّصْدِيقُ فَقَطْ[١]، تَقُولُ: هَلْ سَافَرَ عَبْدُ اللهِ؟، وَلا تَقُول: هَلْ عَبْدُ اللهِ مُسَافِرٌ أَمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ؟.

وَالأَدَوَاتُ الآتِيَةُ كُلُّهَا لِلتَّصَوُّرِ، وَهِيَ:

٣ - مَا: مَوْضُوعَةٌ لِلاسْتِفْهَامِ عَنْ غَيْرِ الْعُقَلاءِ، وَيُطْلَبُ بِهَا:

(أ) شَرْحُ الاسْمِ بِلَفْظٍ مُرَادِفٍ، نَحْوَ: مَا الضَّيْغَمُ؟. فَيُجَابُ: الأَسَدُ.

(ب) أَوْ بَيَانُ حَقِيقَةِ الْمُسَمَّىٰ، نَحْو: مَا الْوَاجِبُ؟. فَيُجَابُ: مَا اسْتَحَقَّ فَاعِلُهُ الثَّوَابَ، وَتَارِكُهُ الْعِقَابَ.

(ج) أَوْ بَيَانُ صِفَتِهِ، نَحْوَ: مَا زَيْدٌ؟. فَيُجَابُ - مَثَلاً -: شَاعِرٌ.

٤ - مَنْ: يُطْلَبُ بِهَا تَعْيِينُ أَحَدِ الْعُقَلاءِ، نحو: مَنْ مُؤَلِّفُ كِتَابِ زَادِ الْمَعَادِ؟، مَنْ قَائِدُ مَعْرَكَةِ الْقَادِسِيَّةِ؟.

---

= قَـذًى بِعَـيْنَيْكِ أَمْ بِالْعَـيْنِ عُـوَّارُ؟ أَمْ ذَرَّفَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَـا الدَّارُ؟

أَيْ: أَقَذًى.

أَمْ لَمْ تَتَقَدَّمْهَا، كَقَوْلِ الْكُمَيْت:

طَرِبْتُ، وَمَا شَوْقًا إِلَىٰ الْبِيضِ أَطْرَبُ وَلا لَعِبًا مِنِّي، وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟

أَيْ: أَوَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟. وَمِنْهُ قَوْلُهُ - ﷺ - لِجِبْرِيلَ - كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ -: «وَإِنْ زَنَىٰ؟، وَإِنْ سَرَقَ؟». أَيْ: أَوَ إِنْ زَنَىٰ؟، أَوَ إِنْ سَرَقَ؟.

(١) «هَلْ: أَدَاةُ اسْتِفْهَامٍ، وَهِيَ لِطَلَبِ (التَّصْدِيقِ) فَحَسْبُ، وَتَدْخُلُ عَلَىٰ الْجُمْلَتَيْنِ: الْفِعْلِيَّةِ، وَالاسْمِيَّةِ، نَحْو: هَلْ سَافَرَ إِبْرَاهِيمُ؟، وَهَلْ إِبْرَاهِيمُ مُسَافِرٌ؟. إِذَا كَانَ الْمَطْلُوبُ التَّصْدِيقُ بِثُبُوتِ السَّفَرِ لإِبْرَاهِيمَ. وَلاخْتِصَاصِهِمَا بِطَلَبِ (التَّصْدِيقِ) امْتَنَعَ الْجَمْعُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ السُّؤَالِ عَنِ التَّصَوُّرِ، فَيَمْتَنِعُ أَنْ يُقَالَ: هَلْ إِبْرَاهِيمُ مُسَافِرٌ أَمْ خَالِدٌ؟ لأَنَّ (أَمْ) هُنَا وَقَعَ بَعْدَهَا مُفْرَدٌ؛ فَدَلَّ عَلَىٰ كَوْنِهَا مُتَّصِلَةً، وَالْمُتَّصِلَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ كَوْنِ السُّؤَالِ عَنِ التَّصَوُّرِ؛ لأَنَّهَا لِطَلَبِ تَعْيِينِ أَحَدِ الشَّيْئَيْنِ، حِينَ لا يُعْلَمُ مَنْ وَقَعَتْ مِنْهُ النِّسْبَةُ مِنْهُمَا بَعْدَ الْعِلْمِ بِأَصْلِ تِلْكَ النِّسْبَةِ، وَأَمَّا (هَلْ) فَهِيَ لِطَلَبِ أَصْلِ النِّسْبَةِ، فَمُقْتَضَاهَا جَهْلُ ذَلِكَ الأَصْلِ، إِذْ لا يُسْأَلُ عَنْ مَعْلُومٍ، وَمُقْتَضَىٰ (أَمْ) الْمُتَّصِلَةِ الْعِلْمُ بِهِ فَتَنَافَيَا، فَلا يُجْمَعُ بَيْنَهُمَا فِي تَرْكِيبٍ وَاحِدٍ». انظُرْ «مُعْجَم البلاغة العَرَبِيَّة» (ص٧٠٢).

٥ - مَتَىٰ: يُطْلَبُ بِهَا تَعْيِينُ الزَّمَانِ المَاضِي، نَحْو: مَتَىٰ دَخَلْنَا دَارَ الحَدِيثِ؟.
وَتُسْتَعْمَلُ - أَيْضًا - لِتَعْيِينِ الزَّمَانِ المُسْتَقْبَلِ، نَحْو: مَتَىٰ نَطْلُبُ الْعِلْمَ؟.

٦ - أيَّانَ: تُسْتَعْمَلُ لِتَعْيِينِ الحَالِ، وَلا تَكُونُ إلاَّ في مَوْضِعِ التَّهْوِيلِ وَالتَّفْخِيمِ كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ** ﴾ [القيامة: ٦]، فَقَد اسْتُعْمِلَتْ (أَيَّانَ) مَعَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِتَهْوِيلِ وَتَفْخِيمِ شَأْنِهِ.

٧ - كَيْفَ: تُسْتَعْمَلُ لِتَعْيِينِ الحَالِ، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ** ﴾ [النساء: ٤١].

٨ - أَيْنَ: تُسْتَعْمَلُ لِتَعْيِينِ المَكَانِ، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ** ﴾ [الأنعام: ٢٢].

٩ - كَمْ: تُسْتَعْمَلُ لِتَعْيِينِ الْعَدَدِ، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **كَمْ لَبِثْتُمْ** ﴾ [الكهف: ١٩].

١٠ - أنّى: تَأْتِي لِثَلاثَةِ مَعَانٍ، فَتُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَىٰ:

(أ) «كَيْفَ»، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا** ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

(ب) وَ«مِنْ أَيْنَ» كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا** ﴾ [آل عمران: ٣٧].

(ج) وَ«مَتَىٰ»، كَقَوْلِكَ: أَنَّىٰ يَأْتِي عَبْدُ اللهِ؟.

١١ - أي: يُطْلَبُ بِهَا تَعْيِينُ أَحَدِ المُتَشَارِكَيْنِ فِي أَمْرٍ يَعُمُّهُمَا، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنعام: ٨١]، وَهِيَ بِحَسَبِ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ، فَيُسْأَلُ بِهَا عَنْ:

( أ ) الزَّمَان، نَحْو: أَيُّ الأَيَّامِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟.

(ب) المَكَان، نَحْو: أَيُّ الْبِلادِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟.

(ج) الحَال، نَحْو: عَلَىٰ أَيِّ حَالٍ أَصْبَحْتَ؟.

( د ) الْعَدَد، نَحْو: أَيَّ عَشْرَةٍ تَأْخُذُ؟.

(هـ) الْعَاقِل، نَحْو: قَوْلِه -تعَالَىٰ-: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤].

( و ) غَيْرُ الْعَاقِل، نَحْو: قَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠].

## الأَغْرَاضُ الَّتِي تَخْرُجُ إِلَيْهَا أَدَوَاتُ الاسْتِفْهَامِ:

اعْلَمْ - أَخِي - أَنَّ الأَدَوَاتِ السَّابِقَةَ وُضِعَتْ لِلاسْتِفْهَامِ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَخْرُجُ عَنْ هَذَا الْوَضْعِ إِلَىٰ أَغْرَاضٍ، يُمْكِنُ أَنْ تُفْهَمَ مِنَ السِّيَاقِ لِغَرَضٍ بَلاغِيٍّ.

### وَأَهَمُّ هَذِهِ الأَغْرَاضِ:

١ - النَّفْيُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠](١).

٢ - الأَمْرُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١](٢).

٣ - التَّسْوِيَةُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

٤ - النَّهْيُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة: ١٣](٣).

---

(١) أيْ: مَا جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَان.

(٢) أيْ: انْتَهوا.

(٣) أيْ: لا تَخْشَوْهُمْ؛ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ، كَمَا أَنَّ الاسْتِفْهَامَ هُنَا لِلإِنْكَارِ التَّوْبِيخِيِّ - أَيْضًا -.

٥ - الإنْكَارُ(١): كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠].

٦ - التَّشْوِيقُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠].

٧ - الاسْتِئْنَاسُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾(٢) [طه: ١٧].

٨ - التَّقْرِيرُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾(٣) [الشرح: ١].

٩ - التَّهْوِيلُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿الْحَاقَّةُ ① مَا الْحَاقَّةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ - ٣].

١٠ - الاسْتِبْعَادُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ⑬ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ⑭﴾ [الدخان: ١٣، ١٤].

١١ - التَّعْظِيمُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾(٤) [البقرة: ٢٥٥].

١٢ - التَّهَكُّمُ وَالتَّحْقِيرُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١].

---

(١) الإِنْكَارُ إِذَا وَقَعَ فِي الإِثْبَاتِ يَجْعَلُهُ نَفْيًا، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إِبْرَاهِيمُ: ١٠]، أَيْ: لا شَكَّ فِيه، وَإِذَا وَقَعَ فِي النَّفْيِ يَجْعَلُهُ إِثْبَاتًا، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضُّحَىٰ: ٦]، أَيْ: قَدْ وَجَدْنَاكَ. وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ: أَنَّ إِنْكَارَ الإِثْبَاتِ وَالنَّفْيِ نَفْيٌ لَهُمَا، وَنَفْيُ الإِثْبَاتِ نَفْيٌ، وَنَفْيُ النَّفْيِ إِثْبَاتٌ.

(٢) الاسْتِفْهَامُ هُنَا لِلتَّقْرِيرِ - أَيْضًا - لِتَثْبِيتِ الحُجَّةِ عَلَىٰ مُوسَىٰ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِالْمُعْجِزَةِ بِالْعَصَا بَعْدَمَا أَقَرَّ وَاعْتَرَفَ بِحَقِيقَتِهَا، وَإِلَّا فَقَدْ عَلِمَ اللهُ مَا هِيَ فِي الأَزَلِ.

(٣) أَيْ: قَدْ شَرَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ؛ فَالاسْتِفْهَامُ إِذَا دَخَلَ عَلَىٰ النَّفْيِ قَرَّرَهُ.

(٤) الاسْتِفْهَامُ هُنَا - أَيْضًا - لِلإِنْكَارِ التَّقْرِيعِيِّ عَلَىٰ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعَ أَحَدًا مِنْهُمْ بِشَفَاعَةٍ، وَيُفِيدُ - أَيْضًا - التَّعْجِيزَ؛ فَإِنَّ الْغَرَضَ تَحَدِّي أَيِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ مَقَامِ الشَّفَاعَةِ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ.

١٣ - **التَّعَجُّبُ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿أَأَلِدُ وأَنَا عَجُوزٌ﴾ [هود: ٧٢].

١٤ - **الاسْتِبْطَاءُ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤].

١٥ - **التَّمَنِّي:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ﴾ [الأعراف: ٥٣].

١٦ - **التَّنْبِيهُ عَلَى الخَطَإِ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].

١٧ - **التَّنْبِيهُ عَلَى الْبَاطِلِ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ [الزخرف: ٤٠].

١٨ - **التَّنْبِيهُ عَلَى طَرِيقِ الضَّلَالِ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦][(١)].

١٩ - **الْوَعِيدُ وَالتَّخْوِيفُ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ١٦][(٢)].

٢٠ - **التَّكْثِيرُ:** كَقَوْلِ أَبِي الْعَلاءِ الْمَعَرِّيِّ:

صَاحِ[(٣)]، هَذِي قُبُورُنَا تَمْلأُ الرَّحْـ ـبَ[(٤)]، فَأَيْنَ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ؟[(٥)]

---

(١) وَيَدْخُلُ فيه الإِنْكَارُ التَّوْبِيخِيُّ.

(٢) وَيَدْخُلُ فيه الإِنْكَارُ التَّقْرِيرِيُّ، فَالأَغْرَاضُ قَدْ تَتَدَاخَلُ، فَقَدْ يَكُونُ التَّقْرِيرُ مَعَ التَّوْبِيخِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعَ التَّعَجُّبِ، وَهَكَذَا.

(٣) صَاحِ: أَصْلُهَا (صَاحِب) نُودِيَتْ بِحَرْفِ نِدَاءٍ مُقَدَّرٍ نِدَاءَ تَرْخِيمٍ بِحَذْفِ الْبَاءِ، وَتَرْخِيمُهَا شَاذٌّ؛ لأَنَّهَا لَيْسَتْ بِعَلَمٍ، وَلَكِنَّهَا لَمَّا كَثُرَ نِدَاؤُهَا، وَاسْتَفَاضَ تَدَاوُلُهَا، سَاغَ تَرْخِيمُهَا، إِذِ الإِنْسَانُ لا يَنْفَكُّ فِي سَفَرِهِ وَإِقَامَتِهِ مِنْ صَاحِبٍ يُعِينُهُ، فَيُنَادِيهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ.

(٤) الرَّحْبُ - بِالْفَتْحِ -: الْمَكَانُ الْمُتَّسِعُ.

(٥) وَيَدْخُلُ فِي التَّكْثِيرِ التَّعَجُّبُ.

## ٤ - التَّمَنِّي

**التَّمَنِّي:** هُوَ طَلَبُ حُصُول شَيْءٍ مَحْبُوب بِشَرْط أَنْ يَكُونَ مُسْتَحِيلاً، كَقَوْله - تَعَالَىٰ - ﴿ **يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأَنْعَام: ٢٧]، أَوْ مُمْكِنًا لا يُتَوَقَّعُ حُصُولُهُ (١)، كَقَوْلِه - تعَالَىٰ -: ﴿ **يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ** ﴾ [الْقَصَص: ٧٩].

**وَلِلتَّمَنِّي أَرْبَعُ صِيَغٍ:** وَاحِدَةٌ أَصْلِيَّةٌ، وَهِيَ: «لَيْتَ».

**وَثَلاثٌ غَيْرُ أَصْلِيَّةٍ (نَائِبَةٌ عَنْهَا)، وَيُتَمَنَّىٰ بِهَا لِغَرَضٍ بَلاغِيٍّ (٢)، وَهِيَ:**

١ - **هَلْ**: كَقَوْله - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا** ﴾ [الأَعْرَاف: ٥٣].

٢ - **لَوْ**: (٣) كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الشعراء: ١٠٢].

٣ - **لَعَلَّ**: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ** ﴿٣٦﴾ **أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ** ﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧].

---

(١) فَلا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: لَيْتَ غَدًا يَجِيءُ؛ لأَنَّ الْمُتَمَنَّي هُنَا مَحْتُومُ الْوُقُوعِ.

(٢) الْغَرَضُ الْبَلاغِيُّ فِي (هَلْ)، و(لَعَلَّ): إِبْرَازُ الْمُتَمَنَّىٰ - لِكَمَالِ الْعِنَايَةِ بِهِ وَالتَّشَوُّقِ إِلَيْهِ - فِي صُورَةِ الْمُسْتَفْهَمِ عَنْهُ الْمُمْكِنِ الْمَرْجُوِّ حُصُولُهُ، الَّذِي لا يُجْزَمُ بِانْتِفَائِه.
وَأَمَّا الْغَرَضُ فِي (لَوْ): فَالإِشْعَارُ بِعِزَّةِ الْمُتَمَنَّىٰ نَدْرَتِه؛ لأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ يُبْرِزُهُ فِي صُورَةِ الْمَمْنُوعِ الَّذِي لا يُوجَدُ، إِذْ أَنَّ (لَوْ) تَدُلُّ - بِأَصْلِ وَضْعِهَا - عَلَىٰ امْتِنَاعِ الشَّرْط.

(٣) هُنَا فَائِدَةٌ، وَهِيَ: أَنَّ الأَدَوَات: (هَلاَّ، وَأَلاَّ - أَصْلُهَا: هَلاَّ قُلِبَت الهَمْزَةُ هَاءً -، وَلَوْلا، وَلَوْمَا) - مُرَكَّبَةٌ مِنْ (هَلْ، وَلَوْ) مَعَ (لا، وَمَا)؛ لِتَدُلَّ عَلَىٰ التَّمَنِّي، وَيَزُولُ احْتِمَال الاسْتِفْهَام والشَّرْط، وَيَتَوَلَّدُ مِنَ التَّمَنِّي مَعْنَىٰ التَّنْدِيمِ وَالتَّوْبِيخِ فِي المَاضِي، كَقَوْلِه - تعَالَىٰ -: ﴿ **لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ** ﴾ [النُّورُ: ١٣]. وَمَعْنَىٰ التَّخْصِيصِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ** ﴾ [الحِجْرُ: ٧].

وَلا يُتَمَنَّىٰ بـ( هَلْ، ولَوْ، ولَعَلَّ ) إلاَّ فِي المَقْطُوعِ بِعَدَمِ وُقُوعِهِ؛ لِئَلاَّ تُحْمَلَ عَلَىٰ مَعَانِيهَا الأَصْلِيَّةِ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهَا لِلتَّمَنِّي نَصْبُ المُضَارِعِ بَعْدَ فَاءِ السَّبَبِيَّةِ فِي جَوَابِهِ.

**وَإِذَا كَانَ الأَمْرُ المَحْبُوبُ مِمَّا يُرْجَىٰ حُصُولُهُ كَانَ طَلَبُهُ تَرَجِّيًا، وَلَهُ أَدَاتَانِ:**

١ - **لَعَلَّ:** (١) كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا** ﴾ [الطلاق: ١].

٢ - **عَسَىٰ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ** ﴾ [المائدة: ٥٢].

وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ فِيهِ «لَيْتَ» لِغَرَضٍ بَلاغِيٍّ.

---

(١) الْغَرَضُ هُوَ: إِبْرَازُ المَرْجُوِّ فِي صُورَةِ المُسْتَحِيلِ مُبَالَغَةً فِي بُعْدِ نَيْلِهِ، كَقَوْلِ الْمُتَنَبِّي:

فَيَا لَيْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّتِي ... مِنَ الْبُعْدِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ المَصَائِبِ

وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ - أَيْضًا - لِلتَّنَدُّمِ، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾** ﴾ [الْفُرْقان: ٢٧، ٢٨].

## ٥ - النِّدَاءُ

### تَعْرِيفُهُ:

هُوَ طَلَبُ الإِقْبَالِ بِحَرْفٍ نَابَ مَنَابَ «أَدْعُو»(١) مَلْفُوظًا به، نَحْو: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [هُود: ٧٦]. أَوْ مُقَدَّرًا، نَحْو: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يُوسُف: ٢٩].

### وَأَدَوَاتُهُ ثَمَانٍ:

الهَمْزَة، وَأَيْ، وَيَا، وآ، وآيْ، وَأَيَا، وَهَيَا، وَوَا.

### أَقْسَامُهُ:

#### ( أ ) نِدَاءُ الْقَرِيبِ(٢) لَهُ أَدَاتَانِ:

١ - الهَمْزَةُ: كَقَوْلِ عَبْدِ الْقَيْسِ بْنِ خُفَّافٍ الْبُرْجُمِيِّ:

أَبُنَيَّ، إِنَّ أَبَاكَ كَارِبُ يَوْمِهِ(٣) فَإِذَا دُعِيتَ إِلَىٰ الْمَكَارِمِ فَاعْجَلِ

٢ - أَيْ(٤): نَحْو: أَيْ أَخِي، احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ.

---

(١) الْجُمْلَةُ فِي النِّدَاءِ تَتَكَوَّنُ مِنَ الْفِعْلِ وَفَاعِلِهِ الضَّمِيرُ الْمُسْتَتِرُ فِيهِ، نَابَ عَنْهُمَا حَرْفُ النِّدَاءِ، فَإِذَا قُلْتَ: «يَا عَبْدَ اللهِ»، وَأَرَدْتَ اسْتِخْرَاجَ الْمُسْنَدِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ، فَإِنَّ الْمُسْنَدَ هُوَ الْفِعْلُ (أَدْعُو) الَّذِي نَابَ عَنْهُ حَرْفُ النِّدَاءِ (يَا)، وَالْمُسْنَدُ إِلَيْهِ الْفَاعِلُ، وَهُوَ (أَنَا).

(٢) سَوَاءٌ أَكَانَ الْقُرْبُ فِي الْمَكَانِ الْحِسِّيِّ، نَحْو: أُبُنَيَّ، اتَّقِ اللهَ، أَمِ الْمَعْنَوِيِّ، نَحْو: أَرَبَّ الْكَوْنِ، مَا أَعْظَمَ قُدْرَتَكَ!، فَاللهُ - جَلَّ شَأْنُهُ - أَقْرَبُ إِلَىٰ الإِنْسَانِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ.
أَمَّا تَحْدِيدُ الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فَمَتْرُوكٌ لِلْعُرْفِ الشَّائِعِ، سَوَاءٌ أَكَانَا حِسِّيَّيْنِ أَمْ مَعْنَوِيَّيْنِ.

(٣) كَارِبُ يَوْمِهِ: أَيْ مُقَارِبُ يَوْمِهِ الَّذِي يَمُوتُ فِيهِ.

(٤) أَيْ: أَدَاةُ نِدَاءٍ لِلْقَرِيبِ عَلَىٰ خِلَافٍ بَيْنَ النُّحَاةِ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي «الْمُغْنِي» (١/ ١٧٢): «حَرْفٌ لِنِدَاءِ الْبَعِيدِ، أَوِ الْقَرِيبِ، أَوِ الْمُتَوَسِّطِ، عَلَىٰ خِلَافٍ فِي ذَلِكَ».

(ب) نِدَاءُ الْبَعِيدِ، وَلَهُ ستُّ أَدَوَاتٍ:

١ - يَا [١]: نَحْو: يَا حَاضِرًا فِي قَلْبِي.

٢ - أَيَا: كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَيَا جَبَلَيْ نَعْمَانَ [٢]، بِاللهِ خَلِّيَا نَسِيمَ الصَّبَا يَخْلُصْ إِلَيَّ نَسِيمُهَا

٣ - هَيَا: نَحْو: هَيَا بُنَيَّ، مَتَىٰ تَعُودُ؟.

٤ - آيْ: نَحْو: آيْ بُنَيَّ، هَلُمَّ إِلَيْنَا.

٥ - آ: نحو: آبُنَيَّ، هَلُمَّ إِلَيْنَا.

٦ - وَا: نحو: وابُنَيَّ، حَتَّامَ نَنْتَظِرُ عَوْدَتَكَ؟.

قَدْ يُنَزَّلُ الْبَعِيدُ مَنْزِلَةَ الْقَرِيبِ إِشَارَةً إِلَىٰ أَنَّهُ حَاضِرٌ فِي الذِّهْنِ، لا يَغِيبُ عَنِ الْبَالِ، فَكَأَنَّهُ حَاضِرُ الْجُثْمَانِ، لَيْسَ بِنَاءٍ عَنِ الْعِيَانِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَسُكَّانَ نَعْمَانِ الأَرَاكِ، تَيَقَّنُوا بِأَنَّكُمُ فِي رَبْعِ قَلْبِيَ سُكَّانُ

وَقَدْ يُعْكَسُ، فينزَّلُ الْقَرِيبُ مَنْزِلَةَ الْبَعِيدِ، إِشَارَةً إِلَىٰ:

١ - لِرِفْعَةِ رُتْبَتِهِ: نَحْو: يا أَللهُ. فَكَأَنَّ بُعْدَ الرُّتْبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ فِي الْعِظَمِ بُعْدٌ فِي الْمَكَانِ وَالْمَسَافَةِ.

---

(١) يَا: هِيَ أَكْثَرُ أَدَوَاتِ النِّدَاءِ اسْتِعْمَالاً؛ وَلِهَذَا قِيلَ: إِنَّها مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ نِدَاءِ الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ، وَلَكِنِ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهَا وُضِعَتْ لِنِدَاءِ الْبَعِيدِ.
قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ - كَمَا فِي «شَرْحِ الْمُفَصَّلِ» لابنِ يَعِيشَ (١/ ١١٩) -: «هِيَ لِنِدَاءِ الْبَعِيدِ، أَوْ (مَا) هُنَا سَاقِطَةٌ بِمَنْزِلَتِهِ مِنْ نَائِمٍ أَوْ سَاهٍ، وَإِذَا نُودِيَ مَنْ عَدَاهُمْ، فَلِحِرْصِ الْمُنَادِي عَلَىٰ إِقْبَالِ الْمَدْعُوِّ عَلَيْهِ، وَمُفَاطَنَتِهِ لِمَا يَدْعُوهُ، وَقَوْلُ الدَّاعِي: «يَا رَبِّ»، و«يَا أَللهُ»، اسْتِصْغَارٌ مِنْهُ لِنَفْسِهِ، وَهَضْمٌ لَهَا، وَاسْتِبْعَادٌ عَنْ مَظَانِّ الْقَبُولِ وَالاسْتِمَاعِ، وَإِظْهَارٌ لِلرَّغْبَةِ فِي الاسْتِجَابَةِ بِالْجُوَارِ».
(٢) نَعْمَان - بِالْفَتْحِ -: وَادٍ فِي طَرِيقِ الطَّائِفِ يَخْرُجُ إِلَىٰ عَرَفَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: نَعْمَانُ الأَرَاكِ.

٢ - أو انْحطَاط رُتْبَته: نَحْو: أَيَا هَذَا، تَأَدَّبْ. أَوْ: يَا كَسُولُ، اجْتَهِدْ. أَوْ: تَنَحَّ عَنِ الْكِرَامِ، يَا رَجُلُ. فَكَأَنَّ بُعْدَ دَرَجَتِهِ فِي الانْحِطَاطِ بُعْدٌ فِي المَسَافَةِ.

٣ - غَفْلَته وَشُرُود ذِهْنِه: كَقَوْلِ الْبَارُودِيِّ:

يَأَيُّهَا السَّادِرُ المُزْوَرُّ مِنْ صَلَفٍ مَهْلاً؛ فَإِنَّكَ بِالأَيَّامِ مُنْخَدِعُ

وَقَدْ يُنَادَىٰ الْقَرِيبُ بِمَا لِلْبَعِيدِ تَقْوِيَةً لِلْمَعْنَىٰ وَتَوْكِيدًا لَهُ، كَقَوْلِكَ لِمَنْ هُوَ مُصْغٍ إِلَيْكَ، مُقْبِلٌ عَلَىٰ حَدِيثِكَ: إِنَّ الأَمْرَ - يَا عَلِيُّ - هُوَ مَا فَصَّلْتُهُ لَكَ.

قَدْ يَخْرُجُ النِّدَاءُ عَنْ مَعْنَاهُ، فَيُرَادُ بِهِ مَعَانٍ أُخْرَىٰ، تُفْهَمُ مِنَ السِّيَاقِ بِمَعُونَةِ الْقَرَائِنِ، وَمِنْ أَهَمِّ ذَلِكَ:

١ - الزَّجْرُ وَاللَّوْمُ: كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَفُؤَادِي، مَتَىٰ المَتَابُ؟، أَلَمَّا تَصْحُ وَالشَّيْبُ فَوْقَ رَأْسِي أَلَمَّا؟

٢ - التَّحَسُّرُ وَالتَّوَجُّعُ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النَّبأ: ٤٠].

وَمِنَ التَّحَسُّرِ: قَوْلُ الشَّاعِرِ:

يَا دَارَ عَاتِكَةٍ، حُيِّيتِ مِنْ دَارِ! سَيَّرْتُ فِيكِ وَفِيمَنْ فِيكِ أَشْعَارِي

٣ - الإِغْرَاءُ: نَحْو: يَا مَظْلُومُ، تَكَلَّمْ. (تَقُولُهُ لِمَنْ أَقْبَلَ يَتَظَلَّمُ).

٤ - التَّحَيُّرُ وَالتَّضَجُّرُ: كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ:

أَلا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ، أَلا انْجَلِي بِصُبْحٍ، وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

وَقَوْلِ أَبِي النَّجْمِ الْعِجْلِيِّ:

يَا نَاقُ، سِيرِي عَنَقًا فَسِيحَا إِلَىٰ سُلَيْمَانَ فَنَسْتَرِيحَا

٥ - التَّعَجُّبُ: كَقَوْلِ كُلَيْبِ بْنِ رَبِيعَةَ التَّغْلَبِيِّ:

يَا لَكِ مِنْ قُبَّرَةٍ بِمَعْمَرِ! خَلاَ لَكِ الجَوّ؛ فَبِيضِي وَاصْفِرِي

٦ - الاسْتِغَاثَة: نَحْو: يَاللهِ لِلْيَتَامَىٰ.

٧ - النُّدْبَة: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزُّمَر: ٥٦].

# الْقَصْرُ

## تَعْرِيفُهُ:

تَخْصِيصُ أَمْرٍ بِآخَرَ بِطَرِيقٍ مَخْصُوصٍ.

## طُرُقُهُ الاصْطِلاحِيَّةُ:

١ - **النَّفْيُ وَالاسْتِثْنَاءُ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وهُنَا يَكُونُ الْمَقْصُورُ عَلَيْهِ مَا بَعْدَ أَدَاةِ الاسْتِثْنَاءِ.

٢ - **أَنَّمَا**(١): كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وَالْمَقْصُورُ عَلَيْهِ مَعَ (إِنَّمَا) يَكُونُ مُؤَخَّرًا وُجُوبًا.

٣ - **الْعَطْفُ بِـ(لا) بَعْدَ الإِثْبَاتِ:** نَحْوُ: مُحَمَّدٌ شَاعِرٌ لا كَاتِبٌ.

وَالْمَقْصُورُ عَلَيْهِ مَعَ (لا) الْعَاطِفَةِ هو الْوَاقِعُ قَبْلَهَا وَالْمُقَابِلُ لِمَا بَعْدَهَا.

٤ - **الْعَطْفُ بِـ(لَكِنْ) أَوْ (بَلْ) بَعْدَ النَّفْيِ:** نَحْوُ: مَا خَالِدٌ شَاعِرًا بَلْ مُحَمَّدٌ. وَنَحْوُ: ما مُحَمَّدٌ مُقِيمًا لَكِنْ مُسَافِرٌ.

وَالْمَقْصُورُ عَلَيْهِ مَعَ (بَلْ) أَوْ (لَكِنْ) الْعَاطِفَتَيْنِ هُوَ الْوَاقِعُ بَعْدَهُمَا.

٥ - **تَقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ**(٢): كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [يونس: ٨٥].

وَالْمَقْصُورُ عَلَيْهِ هُنَا هُوَ الْمُقَدَّمُ.

---

(١) لِلْقَصْرِ بِـ(إِنَّمَا) مَزِيَّةٌ عَلَى الْعَطْفِ؛ لأَنَّهَا تُفِيدُ الإِثْبَاتَ لِلشَّيْءِ وَالنَّفْيَ عَنْ غَيْرِهِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، بِخِلافِ الْعَطْفِ فَإِنَّهُ يُفْهِمُ مِنْهُ الإِثْبَاتَ أَوَّلاً، ثُمَّ النَّفْيَ ثَانِيًا، أَوْ عَكْسَهُ.

(٢) الْقَصْرُ بِالتَّقْدِيمِ لا يَكُونُ بِأَدَاةٍ مِنْ أَدَوَاتِ الْقَصْرِ، بَلْ مَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى الذَّوْقِ السَّلِيمِ.

### أَقْسَامُهُ بِاعْتِبَارِ طَرَفَيْهِ:

يَنْقَسِمُ الْقَصْرُ مِنْ حَيْثُ طَرَفَاهُ – وَهُمَا الْمَقْصُورُ وَالْمَقْصُورُ عَلَيْهِ – إِلَىٰ قِسْمَيْنِ:

١ – **قَصْرُ مَوْصُوفٍ عَلَىٰ صِفَةٍ:** كَقَوْلِه – تَعَالَىٰ – : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ** ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وَنَحْو: إِنَّمَا الْبُحْتُرِيُّ شَاعِرٌ.

٢ – **قَصْرُ صِفَةٍ عَلَىٰ مَوْصُوفٍ:** كَقَوْلِه – تَعَالَىٰ – : ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ** ﴾ [الأعْرَاف: ٥٤]، وَنَحْو: لا رَزَّاقَ إِلاَّ اللهُ. وَنَحْو: إِنَّمَا الشَّاعِرُ الْبُحْتُرِيُّ.

### أَقْسَامُهُ بِاعْتِبَارِ الحَقِيقَةِ وَالْوَاقِعِ:

١ – **حَقِيقِيٌّ:** إِذَا اخْتَصَّ الْمَقْصُورُ بِالْمَقْصُورِ عَلَيْهِ بِحَسَبِ الحَقِيقَةِ وَالْوَاقِعِ، وَلَمْ يَتَعَدَّهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ أَصْلاً، نَحْوُ: لا خَالِقَ إِلاَّ اللهُ.

٢ – **إِضَافِيٌّ:** إِنْ كَانَ الاخْتِصَاصُ بِالْمَقْصُورِ عَلَيْهِ بِالإِضَافَةِ (أَيْ: بِالنِّسْبَةِ) إِلَىٰ شَيْءٍ مُعَيَّنٍ، لا لِجَمِيعِ مَا عَدَاهُ، نَحْوُ: مَا خَالِدٌ إِلاَّ شُجَاعٌ (١).

### وَالْقَصْرُ الإِضَافِيُّ يَنْقَسِمُ بِاعْتِبَارِ حَالِ الْمُخَاطَبِ إِلَىٰ ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ:

١ – **قَصْرُ إِفْرَادٍ:** إِذَا اعْتَقَدَ الْمُخَاطَبُ الشِّرْكَةَ: كَقَوْلِه – تَعَالَىٰ – : ﴿ **إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ [النساء: ١٧١]. (رَدًّا عَلَىٰ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ).

٢ – **قَصْرُ قَلْبٍ:** إِذَا اعْتَقَدَ الْمُخَاطَبُ عَكْسَ الْحُكْمِ الَّذِي تُثْبِتُهُ بِالْقَصْرِ، فَتَقْلِب عَلَيْهِ اعْتِقَادَهُ، نَحْوُ: مَا مُسَافِرٌ إِلاَّ عَلِيٌّ. (رَدًّا عَلَىٰ مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ الْمُسَافِرَ خَالِدٌ لا عَلِيٌّ).

٣ – **قَصْرُ تَعْيِينٍ:** إِذَا كَانَ الْمُخَاطَبُ يَتَرَدَّدُ فِي الْحُكْمِ، نَحْوُ قَوْلِكَ: مَا عَلِيٌّ إِلاَّ مُسَافِرٌ. (رَدًّا عَلَىٰ مَنْ شَكَّ فِي السَّفَرِ أَوِ الإِقَامَةِ).

---

(١) فَخَالِدٌ مَقْصُورٌ عَلَىٰ صِفَةِ الشَّجَاعَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ صِفَةٍ أُخْرَىٰ مُعَيَّنَةٍ كَالْجُبْنِ – مَثَلاً –، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ أَنَّهُ لا يَتَعَدَّىٰ الشَّجَاعَةَ إِلَىٰ جَمِيعِ مَا عَدَاهَا مِنَ الصِّفَاتِ: كَالسَّمَاحَةِ، وَالْحِلْمِ، وَالْحَيَاءِ...؛ فَإِنَّ الْوَاقِعَ خِلافُ ذَلِكَ، وَيَشْهَدُ بِبُطْلانِهِ.

# الْوَصْلُ وَالْفَصْلُ(١)

## حَقِيقَةُ الْوَصْلِ:

عَطْفُ جُمْلَةٍ عَلَىٰ أُخْرَىٰ بـ( الوَاو )، كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ – : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [ البقرة : ١٥ ] .

## حَقِيقَةُ الْفَصْلِ:

تَرْكُ الْعَطْفِ، كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ – : ﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [ البقرة : ١٤ – ١٥ ] .

## مَوَاضِعُ الْوَصْلِ:

يَجِبُ وَصْلُ الْجُمْلَتَيْنِ فِي ثَلاثَةِ مَوَاضِعَ :

١ – إِذَا اتَّفَقَتِ الجُمْلَتَانِ خَبَرًا أَوْ إِنْشَاءً، وَقُصِدَ إِشْرَاكُهُمَا فِي الحُكْمِ الإِعْرَابِيِّ:
كَقَوْلِهِ –تَعَالَىٰ– : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [ البقرة: ٢٢٢ ] .

٢ – إِذَا اتَّفَقَتَا خَبَرًا أَوْ إِنْشَاءً، مَعَ الْمُنَاسَبَةِ التَّامَّةِ بَيْنَهُمَا، وَلا مُقْتَضِيَ لِلْفَصْلِ:
كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ – : ﴿ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [ الشُّورَىٰ : ١٥ ] .

---

( ١ ) أَيْ أَخِي، لاشَكَّ أَنَّ هَذَا الْفَصْلَ لَهُ شَأْنٌ عِنْدَ الْبُلَغَاءِ، بَلْ إِنَّهُمْ جَعَلُوهُ حَدًّا لِلْبَلاغَةِ، فَقَدْ سُئِلَ عَنْهَا بَعْضُ الْبُلَغَاءِ، فَقَالَ : « هِيَ مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ » .
وَخُلاصَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الصِّفَاتِ إِذَا كَانَتْ مُتَضَادَّةً أَوْ مُتَقَابِلَةً – سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ فِي الظَّاهِرِ أَمْ عَلَىٰ سَبِيلِ الحَقِيقَةِ – فَإِنَّكَ تَأْتِي بِحَرْفِ الْعَطْفِ، وَإِلاَّ فَلا دَاعِيَ لِهَذَا الحَرْفِ، وَكَذَلِكَ التَّوَابِعُ، لا يَجُوزُ أَنْ يَتَوَسَّطَهَا حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الْعَطْفِ، وَأَحْسَنُ الْعَطْفِ مَا كَانَ فِي كَلامٍ يُشْبِهُ التَّضَادَّ، وَالجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ إِذَا كَانَتْ حَالاً تَرَجَّحَ اقْتِرَانُهَا بِالْوَاوِ، إِلاَّ إِذَا كَانَ هُنَاكَ سَبَبٌ يُحَسِّنُ تَرْكَ هَذِهِ ( الْوَاوِ ) : كَتَقَدُّمِ الخَبَرِ، أَوْ تَقَدُّمِ حَالٍ مُفْرَدَةٍ، أَوْ أَدَاةٍ .

٣ - إذَا اخْتَلَفَتَا خَبَرًا وَإِنْشَاءً، وَكَانَ الْفَصْلُ مُوهِمًا خِلافَ الْمَقْصُودِ: كَقَوْلِكَ لِمَنْ سَأَلَكَ: هَلْ بَرِئَ زَيْدٌ مِنَ الْمَرَضِ؟: لا، وَشَفَاهُ اللهُ. فَتَرْكُ الْوَاوِ يُوهِمُ السَّامِعَ الدُّعَاءَ عَلَيْهِ، وَهَذَا خِلافُ الْمَقْصُودِ؛ لأَنَّ الْغَرَضَ الدُّعَاءُ لَهُ.

## مَوَاضِعُ الْفَصْلِ:

وَيَجِبُ فَصْلُ الْجُمْلَتَيْنِ فِي ثَلاثَةِ مَوَاضِعَ - أَيْضًا -:

### ١ - إذَا كَانَتِ الجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ عَيْنَ الأُولَى:

(أ) إِمَّا تَوْكِيدًا لَهَا: كَقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطَّارق: ١٧]. فَالْمَانِعُ مِنَ الْعَطْفِ هُنَا اتِّحَادُ الْجُمْلَتَيْنِ اتِّحَادًا تَامًّا، يَمْنَعُ عَطْفَ الشَّيْءِ عَلَى نَفْسِهِ.

(ب) وَإِمَّا بَيَانًا لَهَا: كَقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [طه: ١٢٠].

(ج) وَإِمَّا بَدَلاً مِنْهَا: كَقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣)﴾ [الشُّعَراء: ١٣٢، ١٣٣].

فَكُلُّ جُمْلَتَيْنِ فِي الأَمْثِلَةِ الثَّلاثَةِ السَّابِقَةِ يُقَالُ: إِنَّ بَيْنَهُمَا كَمَالَ الاتِّصَالِ.

### ٢ - إذَا كَانَتِ الجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ جَوَابًا عَنْ سُؤَالٍ نَاشِئٍ مِنَ الأُولَى:

كَقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يُوسُف: ٥٣]، فَالْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ شَدِيدَةُ الارْتِبَاطِ بِالْجُمْلَةِ الأُولَى؛ لأَنَّهَا جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ نَشَأَ مِنَ الأُولَى، كَأَنَّهُ قِيلَ: لِمَ لا تُبَرِّئِينَ؟، فَتُفْصَلُ عَنْهَا كَمَا يُفْصَلُ الْجَوَابُ عَنِ السُّؤَالِ، فَالْمَانِعُ مِنَ الْعَطْفِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وُجُودُ الرَّابِطَةِ الْقَوِيَّةِ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ، فَأَشْبَهَتْ حَالَةَ اتِّحَادِ الْجُمْلَتَيْنِ فِي الْمَوْضِعِ الأَوَّلِ؛ وَلِذَا يُقَالُ: إِنَّ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ شِبْهَ كَمَالِ الاتِّصَالِ.

### ٣ - إذَا كَانَتِ الجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ لا تَنْسَجِمُ مَعَ الأُولَى:

( أ ) لِعَدَمِ الْعلاقَة، نَحْو: الكِتَابُ فِي المَكْتَبَة، الْعُصْفُورُ فَوْقَ الشَّجَرَة.

(ب) أَوْ لاخْتِلافِهِمَا خَبَراً وَإِنْشَاءً، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ** ﴾ [ القصص: ٧٦ ] .

فَالمَانِعُ مِنَ الْعَطْفِ هُنَا هُوَ تَبَايُنُ الجُمْلَتَيْنِ؛ لأَنَّ الْعَطْفَ يَكُونُ لِلرَّبْطِ، وَلا رَبْطَ بَيْنَ جُمْلَتَيْنِ فِي شِدَّةِ التَّبَاعُدِ وَكَمَالِ الانْقِطَاعِ.

# الإيجازُ والإطْنَابُ والمُسَاوَاةُ

## ١ - الإيجَازُ:

حَقِيقَتُهُ هُوَ: إِجَاعَةُ اللَّفْظِ، وَإِشْبَاعُ المَعْنَىٰ مَعَ الإِبَانَةِ وَالإِفْصَاحِ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٥]، فَإِنَّ مَعْنَاهُ كَثِيرٌ، وَلَفْظَهُ يَسِيرٌ(١).

## أَقْسَامُ الإِيجَازِ:

( أ ) **إِيجَازُ قِصَرٍ**: وَهُوَ مَا كَانَ لَفْظُهُ قَصِيراً يَسِيراً، وَمَعْنَاهُ كَثِيراً دُونَ حَذْفٍ، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) ﴾ [الأَعْرَاف: ١٩٩].

---

(١) قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ مَعْنَاهَا: أَنَّ الإِنْسَانَ مَتَىٰ عَلِمَ أَنَّهُ إِنْ قَتَلَ يُقْتَلُ، امْتَنَعَ عَنِ الْقَتْلِ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ حَيَاتُهُ وَحَيَاةُ غَيْرِهِ.

وَهَذَا الْقَوْلُ يُفَضَّلُ مَا كَانَ يُعْتَبَرُ عِنْدَ الْعَرَبِ أَوْجَزَ كَلامٍ مِنْ هَذَا المَعْنَىٰ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: «الْقَتْلُ أَنْفَىٰ لِلْقَتْلِ» مِنْ وُجُوهٍ:

١ - أَنَّ قَوْلَهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ أَقَلُّ حُرُوفًا، إِذْ حُرُوفُهَا الْمَنْطُوقَةُ عَشْرَةٌ، وَحُرُوفُ «الْقَتْلُ أَنْفَىٰ لِلْقَتْلِ» أَرْبَعَةَ عَشَرَ حَرْفًا.

٢ - فِي الآيَةِ الْكَرِيمَةِ نَصٌّ عَلَىٰ المَطْلُوبِ وَهُوَ الحَيَاةُ.

٣ - مَا يُفِيدُهُ تَنْكِيرُ ﴿ حَيَاةٌ ﴾ مِنَ التَّعْظِيمِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ إِذَا قَتَلَ وَاحِدٌ شَخْصًا، قَتَلُوا الْقَاتِلَ وَعَصَبَتَهُ، فَلَمَّا شُرِعَ لَهُمُ القِصَاصُ الَّذِي هُوَ قَتْلُ الْقَاتِلِ فَقَطْ، مَنَعَهُمْ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ جَمَاعَةٍ بِوَاحِدٍ، فَكَانَ لأَوْلِيَاءِ الْقَاتِلِ بِهَذَا الْجِنْسِ مِنَ الحُكْمِ حَيَاةٌ عَظِيمَةٌ.

٤ - اطِّرَادُهُ وَعُمُومُهُ لأَفْرَادِهِ، إِذْ أَنَّ الاقْتِصَاصَ مُطْلَقًا سَبَبٌ لِلْحَيَاةِ، بِخِلافِ الْقَتْلِ فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ أَنْفَىٰ لِلْقَتْلِ كَالَّذِي عَلَىٰ وَجْهِ الْقِصَاصِ، وَقَدْ يَكُونُ أَدْعَىٰ كَالْقَتْلِ ظُلْمًا.

٥ - خُلُوُّهُ مِنَ التَّكْرَارِ، بِخِلافِ قَوْلِهِمْ فَإِنَّهُ فِيهِ تَكْرَارُ لَفْظِ الْقَتْلِ.

٦ - اشْتِمَالُهُ عَلَىٰ المُطَابَقَةِ، وَهِيَ الجَمْعُ بَيْنَ مَعْنَيَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ فِي الجُمْلَةِ، فَإِنَّ الْقِصَاصَ إِنَّمَا كَانَ مُقَابِلاً لِلْحَيَاةِ وَمُضَادًّا لَهَا بِاعْتِبَارِ أَنَّ فِيهِ قَتْلاً، وَالْقَتْلُ يَشْتَمِلُ عَلَىٰ المَوْتِ المُقَابِلِ لِلْحَيَاةِ. انْظُرْ «مُعْجَمَ الْبَلاغَةِ» (ص٥٥٦ - ٥٥٧)، وانظر قريبًا مِنْ هَذَا فِي «التَّلْخِيصِ فِي عُلُومِ الْبَلاغَةِ» لِلْبَرْقُوقِي (ص٢١٦).

فَهَذِهِ الآيَةُ – عَلَىٰ قِصَرِهَا وَتَقَارُبِ أَطْرَافِهَا – قَدْ جَمَعَتْ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ بِأَسْرِهَا(١).

وَقَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

وَهَذِهِ الآيَةُ – أَيْضًا عَلَىٰ قِصَرِهَا – جَمَعَتِ الطِّبَّ كُلَّهُ(٢).

وَمِنْ بَدِيعِ الإيجاز: قَوْلُه – تَعَالَىٰ –: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④﴾ [الإخلاص].

فَإِنَّهَا الْغَايَةُ فِي التَّنْزِيهِ، وَقَدْ تَضَمَّنَتِ الرَّدَّ عَلَىٰ أَرْبَعِينَ فِرْقَةً(٣).

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ – تَعَالَىٰ –: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [النَّمْل: ١٨].

فَفِي هَذِهِ الآيَةِ – عَلَىٰ قِصَرِهَا – أَحَدَ عَشَرَ جِنْسًا مِنَ الْكَلامِ: نَادَتْ، وَكَنَتْ، وَنَبَّهَتْ، وَسَمَّتْ، وَأَمَرَتْ، وَبَيَّنَتْ، وَحَذَّرَتْ، وَخَصَّتْ، وَعَمَّتْ، وَأَشَارَتْ، وَعَذَرَتْ(٤)(٥).

---

(١) قِيلَ لابْنِ عُيَيْنَةَ – كَمَا فِي «عَيْنِ الأَدَبِ والسِّيَاسَةِ» (ص١٣٢ – ١٣٣) –: «قَدِ اسْتَنْبَطْتَ مِنَ الْقُرْآنِ كُلَّ شَيْءٍ، فَأَيْنَ الْمُرُوءَةُ؟. فَقَالَ: فِي قَوْلِه – تَعَالَىٰ –: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ فَفِيهِ الْمُرُوءَةُ، وَحُسْنُ الآدَابِ، وَمَكَارِمُ الأَخْلاقِ، فَجَمَعَ فِي قَوْلِه – تَعَالَىٰ –: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ صِلَةَ الْقَاطِعِينَ، وَالْعَفْوَ عَنِ الْمُذْنِبِينَ، وَالرِّفْقَةَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَخْلاقِ الْمُطِيعِينَ، وَدَخَلَ فِي قَوْلِه: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ صِلَةُ الأَرْحَامِ، وَتَقْوَىٰ اللهِ فِي الْحَلالِ وَالْحَرَامِ، وَغَضُّ الأَبْصَارِ، والاسْتِعْدَادُ لِدَارِ الْقَرَارِ، وَدَخَلَ فِي قَوْلِه: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الْحَضُّ عَلَىٰ التَّخَلُّقِ بِالْحِلْمِ، وَالإِعْرَاضِ عَنْ أَهْلِ الظُّلْمِ، وَالتَّنَزُّهُ عَنْ مُنَازَلَةِ السُّفَهَاءِ، وَمُسَاوَاةِ الْجَهَلَةِ وَالأَغْبِيَاءِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الأَخْلاقِ الْحَمِيدَةِ، وَالأَفْعَالِ الرَّشِيدَةِ».

(٢) قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ – كَمَا فِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ (٢/ ١٨٦) –: «جَمَعَ اللهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الطِّبَّ كُلَّهُ».

(٣) أَفْرَدَ ذَلِكَ بِالتَّصْنِيفِ بَهَاءُ الدِّينِ بْنُ شَدَّادٍ.

(٤) فَالنِّدَاءُ «يَا»، وَالْكِنَايَةُ «أَيْ»، وَالتَّنْبِيهُ «هَا»، وَالتَّسْمِيَةُ «النَّمْل»، وَالأَمْر «ادْخُلُوا»، وَالْبَيَانُ «مَسَاكِنَكُمْ»، وَالتَّحْذِيرُ «لا يَحْطِمَنَّكُمْ»، وَالتَّخْصِيصُ «سُلَيْمَانُ»، وَالتَّعْمِيمُ «جُنُودُهُ»، وَالإِشَارَةُ «هُمْ»، وَالْعُذْرُ «لا يَشْعُرُونَ».

(٥) انْظُرْ «الإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ».

وَإِيجَازُ الْقِصَرِ هُوَ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الإِيجَازِ(١).

(ب) إِيجَازُ حَذْفٍ مَعَ قَرِينَةٍ تُعَيِّنُ الْمَحْذُوفَ:

كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يُوسُف: ٨٢]. وَالْمَقْصُودُ: أَهْلُ الْقَرْيَةِ.

وَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأَنْبِيَاء: ٩٦]. أَيْ: سَدُّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ.

وَلَهُ مَوَاضِعُ مُتَعَدِّدَةٌ، فَمِنْهَا:

١ - حَذْفُ الْمُبْتَدَأِ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ [القَارِعة: ١٠-١١]، أَيْ: هِيَ نَارٌ حَامِيَةٌ.

٢ - حَذْفُ الخَبَرِ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿لَوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١]، أَيْ: لَوْلا أَنْتُمْ حَاضِرُونَ.

٣ - حَذْفُ الْفَاعِلِ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾ [القيامة: ٢٦]، أَيْ: الرُّوح.

٤ - حَذْفُ الْمَفْعُولِ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ [الأعراف: ١٥٢]، أَيْ: إِلَهًا.

---

(١) قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ - رَحِمَهُ اللهُ - كَمَا فِي «المَثَلِ السَّائِرِ» (ص٢١٧): «وَهَذَا النَّوْعُ هُوَ أَعْلَىٰ طَبَقَاتِ الإِيجَازِ مَكَانًا، وَأَعْوَزُهَا إِمْكَانًا، وَإِذَا وُجِدَ فِي كَلامِ بَعْضِ الْبُلَغَاءِ، فَإِنَّمَا هُوَ شَاذًّا نَادِرًا، وَيَكْثُرُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -».

وَقَالَ الْجَاحِظُ فِي «الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ» (٢/١): «إِنَّهُ - أَيْ: الْقُرْآنَ - قَدْ يَدُلُّ بِالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ وَالْكَلِمَاتِ الْمُخْتَصَرَةِ عَلَىٰ مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ يَطُولُ شَرْحُهَا، وَإِذَا أَرَادَ الْمُتَكَلِّمُ الْعَادِيُّ التَّعْبِيرَ عَنِ الْمَعَانِي الَّتِي أَوْرَدَهَا الْقُرْآنُ، لَمْ يَصِلْ إِلَىٰ بُغْيَتِهِ إِلاَّ بِلَفْظٍ أَطْوَلَ وَأَقَلَّ دِلالَةً».

**٥ - حَذْفُ المُضَافِ إِلَيْهِ:** كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿ **لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ** ﴾ [الروم: ٤]، أَيْ: مِنْ قَبْلِ كُلِّ شَيْءٍ وَبَعْدَهُ.

**٦ - حَذْفُ الجَارِ وَالمَجْرُورِ:** كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿ **خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا** ﴾ [التَّوْبَة: ١٠٢]، أَيْ: عَمَلاً صَالِحًا بِسَيِّئٍ، وَآخَرَ سَيِّئًا بِصَالِحٍ.

**٧ - حَذْفُ المَوْصُوفِ:** كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿ **وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ** ﴾ [الصَّافَّات: ٤٨]، أَيْ: حُورٌ قَاصِرَاتٌ.

**٨ - حَذْفُ الصِّفَةِ:** كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿ **فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ** ﴾ [التوبة: ١٢٥]، أَيْ: مُضَافًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ.

**٩ - حَذْفُ الحَالِ:** كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿ **وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم** ﴾ [الرَّعْد: ٢٣-٢٤]، أَيْ: قَائِلِينَ: سَلامٌ عَلَيْكُمْ.

## ٢ - الإِطْنَابُ:

حَقِيقَتُهُ: هُوَ زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَلَىٰ المَعْنَىٰ لِفَائِدَةٍ. كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿ **رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** ﴾ [مَرْيَم: ٤]، أَيْ: كَبِرْتُ. فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الزِّيَادَةِ فَائِدَةٌ فَهُوَ تَطْوِيلٌ وَثَرْثَرَةٌ.

### أَقْسَامُ الإِطْنَابِ:

**١ - الإِيضَاحُ بَعْدَ الإِبْهَامِ:**

كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ** ﴾ [طه: ١٢٠]. فَأَنْتَ تَتَرَقَّبُ، مَا

---

(١) وَيُعَرِّفُ بَعْضُهُمُ الإِطْنَابَ بِأَنَّهُ: زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَلَىٰ المَعْنَىٰ لِفَائِدَةٍ جَدِيدَةٍ مِنْ غَيْرِ تَرْدِيدٍ. فَقَوْلُهُم: «لِفَائِدَةٍ» خَرَجَ مِنَ التَّطْوِيلِ وَهُوَ زِيَادَةٌ مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ، كَقَوْلِكَ: آتِيكَ الخَمِيسَ قَبْلَ يَوْمِ الجُمُعَةِ. وَقَوْلُهُمْ: «جَدِيدَةٌ» تَخْرُجُ عَنْهُ الأَلْفَاظُ المُتَرَادِفَةُ؛ لأَنَّهَا لَغْوِيَّةٌ وَلَيْسَتْ جَدِيدَةً. وَقَوْلُهُمْ: «مِنْ غَيْرِ تَرْدِيدٍ» يَحْتَرِزُ بِهِ مِنَ التَّوَاكِيدِ اللَّفْظِيَّةِ فِي مِثْلِ: «اضْرِبْ اضْرِبْ».

الَّذي وَسْوَسَ به الشَّيْطَانُ؟، إنَّ في ذَلكَ إجْمَالاً لابُدَّ منْ بَيَانه، فَبَيَّنَهُ – سُبْحَانَهُ – بقَوْله: ﴿ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠) ﴾ [طه: ١٢٠].

### ٢ - ذِكْرُ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ:

كَقَوْله – تَعَالَىٰ –: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فَلَقَدْ ذُكِرَتِ الْوُسْطَىٰ مَرَّتَيْنِ، فَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي قَوْله – تَعَالَىٰ –: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾، ثُمَّ ذُكِرَتْ مَرَّةً أُخْرَىٰ تَنْوِيهًا وَتَعْظِيمًا، كَأَنَّمَا هِيَ شَيْءٌ آخَرُ.

### ٣ - التَّكْرِيرُ وَالتَّوْكِيدُ لِمَعْنًى:

كَقَوْله – تَعَالَىٰ –: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) ﴾ [الشرح: ٥ – ٦]، أَوْ لِلْحَثِّ عَلَىٰ شُكْرِ نِعْمَةٍ مِنَ النِّعَمِ، كَمَا فِي قَوْله – سُبْحَانَهُ –: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣) ﴾ [الرَّحْمن: ١٣]، أَوْ لِطُولِ الْفَصْلِ، كَقَوْله – تَعَالَىٰ –: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧) ﴾ [الحج: ١٧]، فَكَرَّرَ ﴿ إِنَّ ﴾ لِطُولِ الْفَصْلِ.

### ٤ - التَّذْيِيلُ: (١)

كَقَوْله – تَعَالَىٰ –: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) ﴾ [الإسراء: ٨١]

ثُمَّ أَكَّدَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ بِقَوْله – سُبْحَانَهُ –: ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) ﴾ [الإسراء: ٨١].

---

(١) التَّذْيِيلُ: هُوَ تَعْقِيبُ الْجُمْلَةِ بِجُمْلَةٍ أُخْرَىٰ مُتَّفِقَةٌ مَعَهَا فِي الْمَعْنَىٰ تَأْكِيدًا لِلْجُمْلَةِ الأُولَىٰ، وَهُوَ قِسْمَانِ:
١ – جَارٍ مَجْرَىٰ الأَمْثَالِ لاسْتِقْلالِ مَعْنَاهُ عَمَّا قَبْلَهُ.
٢ – غَيْرُ جَارٍ مَجْرَىٰ الْمَثَلِ لِعَدَمِ اسْتِغْنَائِهِ عَمَّا قَبْلَهُ.

### ٥ - الاعْتِرَاضُ : (١)

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (٥٧) ﴾ [ النَّحل : ٥٧ ] فـ ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ جَاءَتْ مُعْتَرِضَةً .

### ٦ - زِيَادَةُ التَّرْغِيبِ فِي الْعَفْوِ :

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) ﴾ [ التَّغَابن : ١٤ ] .

### ٧ - اسْتِمَالَةُ المُخَاطَبِ:

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) ﴾ [ غافر : ٣٨-٣٩ ] .

### ٨ - الاحْتِرَاسُ : (٢)

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ [ الإنْسَان : ٨ ] ، أَيْ : مَعَ حُبِّهِمْ لِلْمَالِ فَهُمْ يُنْفِقُونَ مِنْهُ ، وَمِنَ الاحْتِرَاسِ قَوْلُ الأَعْرَابِيَّةِ لِرَجُلٍ : « أَذَلَّ اللهُ كُلَّ عَدُوٍّ لَكَ إِلاَّ نَفْسَكَ » .

### ٩ - التَّتْمِيمُ :

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ [ البقرة : ١٧٧ ] .

---

( ١ ) **الاعْتِرَاضُ :** هُوَ أَنْ يُؤْتَىٰ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ ، أَوْ بَيْنَ كَلَامَيْنِ مُتَّصِلَيْنِ فِي الْمَعْنَىٰ بِجُمْلَةٍ مُعْتَرِضَةٍ أَوْ أَكْثَرَ لا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الإِعْرَابِ غَيْرَ دَفْعِ الإِيهَامِ ، وَقَدْ يَكُونُ فِي آخِرِ الْكَلَامِ ، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [ آل عمران : ١٧٣ ] ، فَجُمْلَةُ : ﴿ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ مُعْتَرِضَةٌ .

( ٢ ) **الاحْتِرَاسُ :** هُوَ الْمُحَافَظَةُ عَلَى الْمَعْنَىٰ مِنْ كُلِّ مَا يُفْسِدُهُ وَيُغَيِّرُهُ .

فَقَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ مِنَ التَّتْمِيمِ فِي شَيْءٍ؛ لأَنَّهُ مِنْ تَمَامِ الآيَةِ الْكَرِيمَةِ؛ لأَنَّ الْمَعْنَىٰ انْتَهَىٰ عِنْدَ قَوْلِهِ – سُبْحَانَهُ – : ﴿ وَآتَى الْمَالَ ﴾ ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ .

## ٣ – المُسَاوَاةُ:

هِيَ تَأْدِيَةُ الْمَعْنَىٰ الْمُرَادُ بِعِبَارَةٍ مُسَاوِيَةٍ لَهُ، بِأَنْ تَكُونَ الْمَعَانِي بِقَدْرِ الأَلْفَاظِ، وَالأَلْفَاظُ بِقَدْرِ الْمَعَانِي .

كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ – : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٠].

فَأَنْتَ تَجِدُ اللَّفْظَ عَلَىٰ قَدْرِ الْمَعْنَىٰ، لا يَنقُصُ عَنْهُ وَلا يَزِيدُ .

وَقَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الرَّحْمَن: ٧٢]، أَيْ: مَحْبُوسَات عَلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ .

وَقَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [القلم: ٩] .

وَقَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر: ٤٤] .

---

(١) **المُسَاوَاةُ**: هِيَ الْمَذْهَبُ الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ «الإِيجَازِ»، و«الإِطْنَابِ»، وَالْمُعْتَبَرُ فِي «الْمُسَاوَاةِ» عُرْفُ أَوْسَاطِ النَّاسِ الَّذِينَ لَمْ يَرْتَقُوا إِلَىٰ مَرْتَبَةِ الْبَلاغَةِ، وَلَمْ يَنْحَطُّوا إِلَىٰ مَرْتَبَةِ الْفَهَاهَةِ.

# عِلْم البَيَان

# التَّشْبيهُ

**التَّشْبيهُ فِي اللُّغَةِ:** التَّمْثِيلُ.

وَحَقِيقَتُهُ: هُوَ إِلحَاقُ أَمْرٍ بِأَمْرٍ بِأَدَاةِ التَّشْبيهِ الجَامِعِ لَهَا.

## أَرْكَانُهُ:

للتَّشْبيهِ أَرْبَعَةُ أَرْكَانٍ هِيَ: المُشَبَّهُ، وَالمُشَبَّهُ بِهِ، وَيُسَمَّيَانِ طَرَفَي التَّشْبِيهِ، وَأَدَاةُ التَّشْبيهِ، وَوَجْهُ الشَّبَهِ.

كَقَوْلِكَ: عَبْدُ اللهِ كَالأَسَدِ فِي الشَّجَاعَةِ.

فَهَذَا المِثَالُ اشْتَمَلَ عَلَىٰ أَرْكَانِ التَّشْبِيهِ كُلِّهَا، فَالمُشَبَّهُ (عَبْدُ اللهِ)، وَالمُشَبَّهُ بِهِ (الأَسَد)، وَالأَدَاةُ (الْكَاف)، وَوَجْهُ الشَّبَهِ (الشَّجَاعَة).

## أَدَوَاتُ التَّشْبِيهِ:

أَدَوَاتُ التَّشْبيهِ هِيَ:

- إِمَّا اسْمٌ (مِثْلٌ وَمُمَاثِلٌ وَشَبَهٌ، وَمَا رَادَفَهَا).
- وَإِمَّا فِعْلٌ (يُشْبِهُ، وَيُمَاثِلُ، وَيُحَاكِي، وَيُضَارِعُ).
- وَإِمَّا حَرْفُ (الْكَاف، وَكَأَن).

## طَرَفَا التَّشْبِيهِ:

هُمَا المُشَبَّهُ وَالمُشَبَّهُ بِهِ، وَهُمَا الرُّكْنَانِ الأَسَاسِيَّانِ اللَّذَانِ لا يَحْتَمِلانِ السُّقُوطَ، فَلابُدَّ مِنْ ذِكْرِهِمَا مَعًا، إِذْ لَوْ حُذِفَ أَحَدُهُمَا لَمْ يُسَمَّ تَشْبِيهًا، أَمَّا الأَدَاةُ وَوَجْهُ

الشَّبَهِ فَكَثِيرٌ مَا يُحْذَفُ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُمَا، وَيَبْقَىٰ الْكَلامُ تَشْبِيهًا(١).

## وَجْهُ الشَّبَهِ:

هِيَ الصِّفَةُ الْمُشْتَرَكَةُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ أَقْوَىٰ وَأَظْهَرَ فِي الْمُشَبَّهِ بِهِ مِنْهُ فِي الْمُشَبَّهِ.

## أَقْسَامُ التَّشْبِيهِ بِاعْتِبَارِ أَدَاتِهِ:

١ - **التَّشْبِيهُ الْمُؤَكَّدُ:** وَهُوَ مَا حُذِفَتْ أَدَاتُهُ نَحْوُ:

عَبْدُ اللهِ أَسَدٌ فِي الشَّجَاعَةِ.

٢ - **التَّشْبِيهُ الْمُرْسَلُ:** هُوَ مَا ذُكِرَتْ فِيهِ الأَدَاةُ، نَحْوُ:

عَبْدُ اللهِ كَالأَسَدِ فِي الشَّجَاعَةِ.

٣ - **التَّشْبِيهُ الْبَلِيغُ:** وَهُوَ مَا حُذِفَتْ فِيهِ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ وَوَجْهُ الشَّبَهِ (٢)، نَحْوُ:

عَبْدُ اللهِ أَسَدٌ.

---

(١) طَرَفَا التَّشْبِيهِ (الْمُشَبَّهُ وَالْمُشَبَّهُ بِهِ)، يَنْقَسِمَانِ إِلَىٰ أَقْسَامٍ:

١ - حِسِّيَّانِ، أَيْ: مُدْرَكَانِ بِإِحْدَىٰ الْحَوَاسِ الْخَمْسِ، وَهِيَ: «الْبَصَرُ، وَالسَّمْعُ، والذَّوْقُ، واللَّمْسُ، وَالشَّمُّ»، نَحْوُ: عَبْدُ اللهِ كَالشَّمْسِ فِي الضِّيَاءِ.

٢ - عَقْلِيَّانِ، أَيْ: مُدْرَكَانِ بِالْعَقْلِ، نَحْوُ: الْجَهْلُ كَالْمَوْتِ.

٣ - إِمَّا الْمُشَبَّهُ حِسِّيٌّ وَالشَّبَهُ بِهِ عَقْلِيٌّ، نَحْوُ: طَبِيبُ السُّوءِ كَالْمَوْتِ.

٤ - إِمَّا الْمُشَبَّهُ عَقْلِيٌّ وَالْمُشَبَّهُ بِهِ حِسِّيٌّ، نَحْوُ: الْعِلْمُ كَالنُّورِ.

(٢) مِنَ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ الْمَصْدَرُ الْمُضَافُ الْمُبَيِّنُ لِلنَّوْعِ نَحْوُ: «رَاغَ رَوَغَانَ الثَّعْلَبِ»، وَمِنْهُ أَيْضًا: إِضَافَةُ الْمُشَبَّهِ بِهِ لِلْمُشَبَّهِ نَحْوُ: «لَبِسَ فُلانٌ ثَوْبَ الْعَافِيَةِ». انظُرْ «جَوَاهِرُ الْبَلاغَةِ» الْحَاشِيَةَ (ص ١٧٠).

# التَّشْبِيهُ التَّمْثِيلِي

**حَقِيقَتُهُ هُوَ:** أَنْ يَكُونَ وَجْهُ الشَّبَهِ فِيهِ صُورَةٌ مُنْتَزَعَةٌ مِنْ مُتَعَدِّدٍ.

كَقَوْلِه – تَعَالَىٰ –: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾**﴾ [البقرة: ١٧].

فَانْظُرْ، تَجِدْ أَنَّ وَجْهَ الشَّبَهِ فِيهِ صُورَةٌ مُنْتَزَعَةٌ مِنْ مُتَعَدِّدٍ، أَيْ أَنَّ حَالَ الْمُنَافِقِينَ فِي نِفَاقِهِمْ وَإِظْهَارِهِمْ خِلَافَ مَا يَسْتُرُونَهُ مِنْ كُفْرٍ، كَحَالِ مَنِ اسْتَوْقَدَ نَارًا لِيَسْتَضِيءَ بِهَا، ثُمَّ انْطَفَأَتْ فَلَمْ يُبْصِرْ بِهَا شَيْئًا.

وَغَيْرُ التَّمْثِيلِيِّ مَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ، نَحْوُ: عَبْدُ اللهِ كَالْقَمَرِ فِي الضِّيَاءِ.

وَهَذَا مِثَالٌ آخَرُ يُعِينُكَ عَلَىٰ فَهْمِ التَّمْثِيلِ وَتَذَوُّقِهِ.

قَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾ [الجمعة: ٥].

فَالْمُشَبَّهُ الْيَهُودُ، وَقَدْ كُلِّفُوا بِالتَّوْرَاةِ، وَالْقِيَامِ بِمَا فِيهَا مِنْ تَكَالِيفَ فِيهَا الْخَيْرُ لَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَنْهَا، وَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا، وَالْمُشَبَّهُ بِهِ الْحِمَارُ يَحْمِلُ الْأَسْفَارَ النَّفِيسَةَ.

وَوَجْهُ الشَّبَهِ صُورَةٌ مُنْتَزَعَةٌ مِنْ مُتَعَدِّدٍ، فَأَنْتَ تَرَىٰ فِي هَذَا الْمِثَالِ وَجْهُ الشَّبَهِ لَيْسَ مُفْرَدًا، بَلْ مُنْتَزَعٌ مِنْ عِدَّةِ أُمُورٍ.

# التَّشْبِيهُ الضِّمْنِيُّ

**حَقِيقَتُهُ:** هُوَ تَشْبِيهٌ لا يُوضَحُ فِيِّ الْمُشَبَّهُ وَالْمُشَبَّهُ بِهِ فِي صُورَةٍ مِنْ صُورِ التَّشْبِيهِ الْمَعْرُوفَةِ، بَلْ يُلْمَحَانِ فِي التَّرْكِيبِ.

**كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ:**

لا تُنكِرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَىٰ ... السَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي

يُرِيدُ أَبُو تَمَّامٍ أَنْ يَقُولَ لِمَنْ يُخَاطِبُهَا: لا تُنْكِرِي خُلُوَّ الرَّجُلِ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَىٰ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ غَرِيبًا؛ لأَنَّ قِمَمَ الجِبَالِ وَهِيَ أَعْلَىٰ الأَمَاكِنِ لا يَسْتَقِرُّ فِيهَا مَاءُ السَّيْلِ، فَالْكَلامُ يُوحِي بِتَشْبِيهٍ ضِمْنِيٍّ، وَلَوْ صَرَّحَ لَهُ لَقَالَ مَثَلاً: إِنَّ الرَّجُلَ الْمَحْرُومَ الْغِنَىٰ يُشْبِهُ قِمَّةَ الجَبَلِ، وَقَدْ خَلَتْ مِنْ مَاءِ السَّيْلِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ صَرَاحَةً، وَإِنَّمَا أَتَىٰ بِجُمْلَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ وَضَمَّنَهَا هَذَا الْمَعْنَىٰ فِي صُورَةِ بُرْهَانٍ.

**وَقَالَ - أَيْضًا -:**

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

لَوْلا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ ... مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عُرْفِ الْفُودِ

فَأَنْتَ تَجِدَ الشَّاعِرَ قَدْ فَصَّلَ الْمَعْنَىٰ فِي الْبَيْتِ الأَوَّلِ أَعْظَمَ تَفْصِيلٍ، وَفِي الْبَيْتِ الثَّانِي، ذَكَرَ أَنَّ الحَسُودَ سَبَبٌ فِي نَشْرِ الْفَضِيلَةِ الْمُغَيَّبَةِ أَلا تَرَىٰ هَذِهِ النَّارَ الَّتِي تَأْكُلُ الأَخْضَرَ وَالْيَابِسَ فِي كُلِّ مَا حَوْلَهُ.

وَلَوْ صَرَّحَ لَقَالَ مَثَلاً: أَنَّ الرَّجُلَ الحَاسِدَ يُشْبِهُ النَّارَ.

لَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ صَرَاحَةً، وَإِنَّمَا أَتَىٰ بِجُمْلَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ وَضَمَّنَهَا هَذَا المَعْنَىٰ، فَأَنْتَ تُدْرِكُ أَنَّ هَذَا التَّشْبِيهَ لَمْ يَأْتِ عَلَىٰ صُورَةٍ مِنَ الصُّوَرِ الَّتِي عَرَفْتَهَا مِنْ قَبْلُ، وَلَكِنَّكَ تَلْمَحُ بِكُلِّ وُضُوحٍ أَنَّ هُنَاكَ تَشْبِيهًا رَائِعًا يَعْمَلُ فِي النَّفْسِ عَمَلَ السِّحْرِ.

## التَّشْبِيهُ المَقْلُوبُ

حَقِيقَتُهُ: هُوَ جَعْلُ الْمُشَبَّه مُشَبَّهًا بِهِ بِادِّعَاءِ أَنَّ وَجْهَ الشَّبَهِ فِيهِ أَقْوَىٰ وَأَظْهَرُ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

الْوَرْدُ يَحْكِي خَدَّهُ وَالرُّمْحُ يُشْبِهُ قَدَّهُ

فَهَذَان ( تَشْبِيهَانِ مَقْلُوبَان ) أَصْلُهُمَا: خَدُّهُ يَحْكِي الْوَرْدَ، وَقَدُّهُ يُشْبِهُ الرُّمْحَ، فَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْعَادَةَ فِي الْبَلاغَة عَلَىٰ تَشْبِيهِ الأَدْنَىٰ بالأَعْلَىٰ، فَإِذَا جَاءَ الأَمْرُ عَلَىٰ خلاف ذَلكَ فَهُوَ التَّشْبِيهُ المَعْكُوسُ أَوِ المَقْلُوب طَلَبًا لِلْمُبَالَغَة بِادِّعَاءِ أَنَّ وَجْهَ الشَّبَه فِي الْمُشَبَّه أَقْوَىٰ منْهُ فِي الْمُشَبَّه بِه.

وَهَذَا مَوْضِعٌ منْ علْمِ الْبَيَان حَسَنًا لِمَوْقعٍ لَطِيفِ المَأْخَذِ، فَأَنْتَ تَقُولُ فِي النُّجُومِ كَأَنَّهَا المِصْبَاحُ. ثُمَّ تَقُولُ فِي حَالَةٍ أُخْرَىٰ فِي المصْبَاحِ: كَأَنَّهَا نُجُومٌ.

وَفِي ذَلكَ فِي كَلامِ الْعَرَبِ كَثِيرٌ، فَهُمْ يُشَبِّهُونَ السُّيُوفَ عِنْدَ الانْتِضَاءِ بِالْبُرُوقِ، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيُشَبِّهُونَ الْبَرْقَ بِالسُّيُوف الْمُنْتَضَاة.

وَهُنَا شَرْطٌ لابُدَّ منْهُ فِي اسْتعْمَال التَّشْبِيه المَقْلُوب، أَلاَّ يَرِدُ إِلاَّ فِيمَا جَرَىٰ عَلَيْه الْعُرْفُ، وَالإِلْفُ لَدَىٰ الْعَرَب، وَذَلكَ حَتَّىٰ تَظْهَرَ بِوُضُوحٍ صُورَةَ الْقَلْبِ، فَإِذَا لَمْ يَتَحَقَّقْ هَذَا الشَّرْطُ كَانَ الْقَلْبُ مُبَالَغًا، بَلْ قَبِيحًا.

# بلاغة التَّشْبيه

## بَلاغَةُ التَّشْبيه كثيرةٌ، فمنْها:

### ١ - تَزْيينُ المُشَبَّه أَوْ تَقْبيحهُ:

كَقَوْلِ ابْنِ الرُّوميِّ:

تَقُولُ: هَذَا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ ... وَإِذَا ذَمَمْتَ فَقُلْ: قِيءُ الزَّنَابِيرِ
مَدْحٌ وَذَمٌّ وَمَا غَيَّرْتَ مِنْ صِفَةٍ ... سِحْرُ الْبَيَانِ يُرَي الظَّلْمَاءَ كَالنُّورِ

### ٢ - بيانُ إمْكَانِه إذَا كَانَ غريبًا لا يُمْكنُ فَهْمُهُ وتَصوُّرُه إلاَّ بالمثال:

كَقَوْلِ الْبُحْتُرِيِّ:

دَنَوْتَ تَوَاضُعًا وَعَلَوْتَ مَجْدًا ... فَشَأْنُكَ انْحِدَارٌ وَارْتِفَاعُ
كَذَلِكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أَنْ تُسَامِي ... وَيَدْنُو الضَّوْءُ مِنْهَا وَالشُّعَاعُ

### ٣ - بَيانُ حَالِه إذا كَانَ غَيْرَ مَعْرُوفِ الصِّفَة:

كَقَوْلِ النَّابِغَةِ يَمْدَحُ النُّعْمَانَ:

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ ... إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

### ٤ - تَقْريرُ حَالِه في نَفْسِ السَّامعِ بِإبْرَازِهَا فيمَا هُوَ فيه أَظْهَرُ وأَقْوَىٰ:

كَقَوْلِكَ لِوَلَدِكَ الَّذي يَتَمَنَّىٰ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا وَهُوَ لا يَسْعَىٰ لِلْعِلْمِ:

تُرِيدِني لُقْيَانَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً ... وَلاَبُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبَرِ النَّحْلِ

### ٥ – بَيَانُ مِقْدَار حَالِي الْمُشَبَّه:

أَيْ مِقْدَارِ حَالِهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ، وَالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ – إِذَا كَانَ مَعْرُوفَ الصِّفَةِ قَبْلَ التَّشْبِيهِ مَعْرِفَةً إِجْمَالِيَّةً كَقَوْلِ الأَعْشَىٰ:

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ لا رَيْثٌ وَلا عَجَلُ

### ٦ – تَشْوِيهُ الْمُشَبَّه وَذَمِّه لِيُكْرَهَ وَيُرْغَبَ عَنْهُ:

كَقَوْلِ الْمُتَنَبِّي فِي الهِجَاءِ:

وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فَكَأَنَّهُ قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطُمُ

وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَعْرَابِيٍّ فِي ذَمِّ امْرَأَتِهِ:

وَتَفْتَحُ – لا كَانَتْ – فَمًا لَوْ رَأَيْتَهُ تَوَهَّمْتَهُ بَابًا مِنَ النَّارِ يُفْتَحُ

### وَخُلاصَةُ فَوَائِدِ التَّشْبِيهِ:

إِمَّا التَّنْفِيرُ مِنَ الْمُشَبَّهِ أَوْ تَحْسِينُهُ، أَوْ بَيَانُ إِمْكَانِهِ، أَوْ بَيَانُ مِقْدَارِهِ، أَوْ تَقْرِيرُ الحَالِ بِضَرْبِ المِثَالِ.

# الْكِنَايَةُ

**الكِنَايَةُ لُغَةً:** أَنْ تَتَكَلَّمَ بِالشَّيْءِ وَتُرِيدُ غَيْرَهُ.

**وَفِي الاصْطِلاحِ:** بِأَنْ تُرِيدَ المَعْنَىٰ وَتُعَبِّرَ عَنْهُ بِغَيْرِ لَفْظِهِ.

## أَقْسَامُ الْكِنَايَةِ:

### ١ - كِنَايَةٌ عَنْ صِفَةٍ: (١)

**كَقَوْلِ الخَنْسَاءِ فِي رِثَاءِ أَخِيهَا صَخْرٍ:**

طَوِيلُ النِّجَادِ، رَفِيعُ الْعِمَادِ كَثِيرُ الرَّمَادِ إِذَا مَا شَتَا

**فَهَذِهِ ثَلاثُ كِنَايَاتٍ عَنْ ثَلاثِ صِفَاتٍ:**

الأُولَىٰ - كِنَايَةٌ عَنِ الطُّولِ، وَهِيَ: طَوِيلُ النِّجَادِ.

الثَّانِيَةُ - كِنَايَةٌ عَنِ السُّؤْدَدِ وَالرِّيَاسَةِ، وَهِيَ: رَفِيعُ الْعِمَادِ.

وَالثَّالِثَةُ - عَنِ الْكَرَمِ وَهِيَ: كَثِيرُ الرَّمَادِ.

### ٢ - كِنَايَةٌ عَنْ مَوْصُوفٍ: (٢)

كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الزُّخْرُف: ١٨].

---

(١) ضَابِطُ الْكِنَايَةِ عَنِ الصِّفَةِ أَنْ تَذْكُرَ المَوْصُوفَ وَتَنْسِبَ لَهُ صِفَةً، وَلَكِنَّكَ لا تُرِيدُ هَذِهِ الصِّفَةَ، إِنَّمَا تُرِيدُ لازِمَهَا، فَفِي قَوْلِكَ: «فُلانٌ كَثِيرُ الرَّمَادِ»، ذَكَرْتَ لِلْمَوْصُوفِ، وَهُوَ فُلانٌ، وَذَكَرْتَ لِصِفَاتِهِ، وَهِيَ كَثْرَةَ الرَّمَادِ، وَلَكِنَّكَ لَمْ تُرِدْ هَذِهِ الصِّفَةَ نَفْسَهَا، بَلْ أَرَدْتَ صِفَةً لازِمَةً لَهَا وَهِيَ الْكَرَمُ؛ لأَنَّ كَثْرَةَ الرَّمَادِ تَنْشَأُ مِنْ كَثْرَةِ النَّارِ، وَهَذِهِ تَنْشَأُ مِنْ كَثْرَةِ الحَطَبِ، وَهِيَ تَنْشَأُ عَنْ كَثْرَةِ الطَّبْخِ، وَذَلِكَ نَتِيجَةَ كَثْرَةِ الضُّيُوفِ، وَالْكَرَمُ لازِمٌ لِذَلِكَ.

(٢) ضَابِطُ الْكِنَايَةِ عَنِ المَوْصُوفِ أَنْ تَذْكُرَ الصِّفَةَ وَالنِّسْبَةَ، وَلا تَذْكُرَ المَوْصُوفَ المَكْنِيَ عَنْهُ، وَلِلْعِلْمِ أَنَّ الصِّفَةَ فِي الْقِسْمِ الأَوَّلِ كَانَتْ كِنَايَةً عَنْ صِفَةٍ أُخْرَىٰ هِيَ الْكَرَمُ، وَأَمَّا الصِّفَةُ فِي هَذَا الْقِسْمِ فَإِنَّ الْغَرَضَ مِنْ ذِكْرِهَا أَنْ تَتَوَصَّلَ إِلَىٰ المَوْصُوفِ المَحْذُوفِ المَكْنِيِّ عَنْهُ.

فَفِي الآيَةِ الْكَرِيمَةِ كِنَايَةٌ، فَاللَّفْظُ المكَنَّىٰ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ وَأَمَّا الْمُكَنَّىٰ عَنْهُ فَهُوَ الْفَسَادُ، أَلا تَرَىٰ أَنَّ الَّذِي كَنَّىٰ بِهِ عَنِ النِّسَاءِ لَيْسَ فِي الحَقِيقَةِ إِلاَّ صِفَةَ لَهُنَّ، وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَىٰ الصِّفَةِ وَهِيَ التَّنْشِئَةُ فِي الحِلْيَةِ وَجَدْتَهَا مُخْتَصَّةً بِالنِّسَاءِ.

### ٣ - كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةٍ:

كَقَوْلِكَ:

فُلانٌ المَجْدُ بَيْنَ ثَوْبَيْهِ وَالْكَرَمُ مِلْءَ بُرْدَيْهِ

فَأَنْتَ تَرَىٰ أَنَّ الصِّفَةَ وَالمَوْصُوف مَذْكُورَتَانِ مُفصلاً نَسَبًا، هَذِهِ الصِّفَةُ لِصَاحِبِهَا إِنَّمَا نَسَبَهَا لِشَيْءٍ آخَرَ (البُرْدَيْنِ وَالثَّوْبَيْنِ)، وَفِي ذَلِكَ كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ المَجْدِ وَالْكَرَمِ إِلَىٰ المَمْدُوحِ.

### وَتَنْقَسِمُ كِنَايَةُ النِّسْبَةِ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ:

### الأَوَّلُ - مَا كَانَتِ الْكِنَايَةُ فِيهِ إِثْبَاتًا:

كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

لا يَنْزِلُ المَجْدُ إِلاَّ فِي مَنَازِلِنَا كَالنَّوْمِ لَيْسَ لَهُ مَأْوَىً سِوَىٰ المُقَلِ

فَتَأَمَّلْ تَجِدْ فِي الشَّرْطِ الأَوَّلِ كِنَايَةً يُرَادُ بِهَا نِسْبَة، وَهِيَ: إِثْبَاتُ المَجْدِ لَهُمْ، فَقَدْ قَصَرَ نُزُولَ المَجْدِ عَلَىٰ مَنَازِلِهِمْ، إِنَّمَا هُوَ لإِثْبَاتِ المَجْدِ لَهُمْ.

### الثَّانِي - مَا كَانَتِ الْكِنَايَةُ فِيهِ نَفْيًا:

كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

يَبِيتُ بِمنجاةٍ مِنَ اللَّوْمِ بَيْتُهَا إِذَا مَا بُيُوتٌ بِالمَلامَةِ حُلَّتِ

فَأَنْتَ تَجِد أَنَّ فِي الْبَيْتِ وَصْفٌ لِلْمَرْأَةِ بِالْعِفَّةِ، وَنَفْي المَلامِ عَنْهَا، وَلَمْ يُصَرِّحْ بِهَذَا، بَلْ نَفَىٰ نِسْبَةَ اللَّوْمِ عَنْ بَيْتِهَا.

## مِنْ فَوَائِدِ الْكِنَايَةِ:

### ١ - الاحترازُ مِنْ بَشَاعَةِ الأَلْفَاظِ:

كَمَا فِي الْكِنَايَاتِ عَنِ الْجِمَاعِ بِالإِفْضَاءِ، وَالْغَشَيَانِ، وَاللَّمْسِ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ **وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ [النِّسَاء: ٢١].

وَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا** ﴾ [الأَعْرَاف: ١٨٩].

### ٢ - تَهْذِيبُ النُّفُوسِ لِتَتَعَلَّمَ الأَدَبَ:

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ** ﴾ [المَائِدَة: ٧٥].

وَالْكِنَايَةُ - أَخِي - كَمَا عَرَفْتَ بِأَنْ تُرِيدَ المَعْنَىٰ تُعَبِّر عَنْهُ بِغَيْرِ لَفْظِه، وَمَاذَ يَنْتُجُ عَنِ الأَكْلِ، إِنَّهُ التَّغَوُّطُ، وَلَكِن الْقُرْآنَ الْكَرِيم عَبَّرَ بِالأَكْلِ عَمَّا بَعْدَهُ، فَمَا أَبْدَعَ هَذَا الأُسْلُوب.

### ٣ - التَّحَسُّرُ:

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ** ﴾ [الْكَهْف: ٤٢].

فَهَذِه كِنَايَةٌ عَنِ النَّدَمِ؛ لأَنَّ النَّادِمَ يَفْعَلُ ذَلِكَ عَادَةً.

### ٤ - الإِيجَازُ:

كَقَوْلِه - ﷺ -: «**رُوَيْدُكَ سَوْقُكَ بِالْقَوَارِيرِ**»، يُرِيدُ بِذَلِكَ النِّسَاء، فَكَنَّىٰ عَنْهُنَّ بِالْقَوَارِيرِ بِأَلْطَفِ عِبَارَةٍ وَأَوْجَزِ إِشَارَةٍ.

٥ - تستغني عن التصريح بالتلميح:

كَقَوْلِ إِحْدَىٰ النِّسَاءُ لِعَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أُقَيِّدُ جَمَلِي؟. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لا، أَرَادَت المَرْأَةُ أَنْ تَصْنَعَ لِزَوْجِهَا شَيْئًا يَمْنَعُهُ مِنْ غَيْرِهَا، أَيْ تَرْبِطُهُ عَنْ أَنْ يَأْتِي غَيْرَهَا، فَظَاهِرُ هَذَا اللَّفْظِ هُوَ تَقَيُّدُ الجَمَلِ، وبَاطِنُهُ مَا أَرَادَتْهُ المَرْأَةُ وفَهِمَتْهُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - .

وَمِنْ خِلالِ مَا سَبَقَ يَتَبَيَّنُ لَكَ أَنَّ الْكِنَايَةَ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الْبَلاغَةِ، وَغَايَةٌ لا يَصِلُ إِلَيْهَا إِلاَّ مَنْ لَطُفَ طَبْعُهُ وَصَفَتْ قَرِيحَتُهُ، وَالسِّرُّ فِي بَلاغَتِهَا أَنَّهَا فِي صُورَةٍ يَسِيرَةٍ تُعْطِيكَ الْحَقِيقَةَ مَصْحُوبَةً بِدَلِيلِهَا، وَالْقَضِيَّةَ فِي طَيِّهَا بُرْهَانَهَا، كَقَوْلِ الْبُحْتُرِيِّ فِي الْمَدِيحِ:

يَغُضُّونَ فَضْلَ اللَّحْظِ مِنْ حَيْثُ مَابَدَا ... لَهُمْ مِمْنْ مَهِيبٍ فِي الصُّدُورِ مُحَبَّبِ

فَإِنْ كَنَّىٰ عَنْ إِكْبَارِ النَّاسِ لِلْمَمْدُوحِ وَهَيْبَتِهِمْ إِيَّاهُ بِغَضِّ الأَبْصَارِ الَّذِي هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ بُرْهَانٌ عَلَىٰ الْهَيْبَةِ وَالإِجْلالِ، وَتَظْهَرُ هَذِهِ الْخَاصَّةُ جَلِيلَةٌ عَنِ الْكِنَايَاتِ عَنِ الصِّفَةِ وَالنِّسْبَةِ (١).

وَمِنْ أَسْبَابِ بَلاغَةِ الْكِنَايَةِ: أَنَّهَا تَضَعُ لَكَ الْمَعَانِي فِي صُورَةِ الْمَحْسُوسَاتِ، ولا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ خَاصَّةُ الْفُنُونِ، فَإِنَّ الْمُصَوِّرَ إِذَا رَسَمَ لَكَ صُورَةً لِلأَصْلِ بَهَرَكَ وَجَعَلَكَ تَرَىٰ مَا كُنْتَ تَعْجَزُ عَنِ التَّعْبِيرِ عَنْهُ وَاضِحًا مَلْمُوسًا، فَمِثْلُ: «كَثِيرُ الرَّمَادِ» فِي الْكِنَايَةِ عَنِ الْكَرَمِ، وَ«رَسُولُ الشَّرِّ» فِي الْكِنَايَةِ عَنِ الْمِزَاحِ.

وَقَوْلُ الْبُحْتُرِيِّ:

أَوَمَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَىٰ رَحْلَهُ ... فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

---

(١) انظر «الْبلاغة الوَاضِحَة» (ص١٣١، ١٣٢).

فِي الْكِنَايَةِ عَنْ نِسْبَةِ الشَّرَفِ إِلَىٰ آلِ طَلْحَةَ، كُلُّ أُولَئِكَ يُبْرِزُ لَكَ الْمَعَانِي فِي صُورَةٍ تُشَاهِدُهَا وَتَرْتَاحُ نَفْسُكَ إِلَيْهَا.

وَمِنْ خَوَاصِ الْكِنَايَةِ أَنَّهَا تُمَكِّنُكَ مِنْ أَنْ تَشْفِيَ غُلَّتَكَ مِنْ خَصْمِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَجْعَلَ لَهُ إِلَيْكَ سَبِيلاً، وَدُونَ أَنْ تَخْدِشَ وَجْهَ الأَدَبِ، وَهَذَا النَّوْعُ يُسَمَّىٰ بِالتَّعْرِيضِ، وَمِثَالُهُ: قَوْلُ الْمُتَنَبِّي فِي قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا كَافُورًا، وَيُعَرِّضُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ:

رَحَلْتُ فَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ شَادِنٍ ... عَلَيَّ وَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ ضَيْغَمِ

وَمَا لِرَبَّةِ الْقُرْطِ الْمَلِيحِ مَكَانَةٌ ... بِأَجْزَعَ مِنْ رَبِّ الْحُسَامِ الْمُعَمَّمِ

فَلَوْ كَانَ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعٍ ... تَمَدَّرْتُ وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمَّمِ

رَمَىٰ وَاتَّقَىٰ رَمْيِي وَمِنْ دُونِ مَا اتَّقَىٰ ... هَوَىٰ كَاسِرٌ كَفِّي وَقَوْسِي وَأَسْهُمِي

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ ... وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

فَإِنَّهُ كَنَّىٰ عَنْ سَيْفِ الدَّوْلَةِ أَوَّلاً بِالْحَبِيبِ الْمُعَمَّمِ، ثُمَّ وَصَفَهُ بِالْغَدْرِ الَّذِي يَدَّعِي أَنَّهُ مِنْ شِيمَةِ النِّسَاءِ، ثُمَّ لامَهُ عَلَىٰ مُبَادَأَتِهِ بِالْعُدْوَانِ، ثُمَّ رَمَاهُ بِالْجُبْنِ؛ لأَنَّهُ يَرْمِي وَيَتَّقِي الرَّمْيَ بِالاسْتِتَارِ خَلْفَ غَيْرِهِ، عَلَىٰ أَنَّ الْمُتَنَبِّي لا يُجَازِيهِ عَلَىٰ الشَّرِّ بِمِثْلِهِ؛ لأَنَّهُ لا يَزَالُ يَحْمِلُ لَهُ بَيْنَ جَوَانِحِهِ هَوًى قَدِيمًا يَكْسِرُ كَفَّهُ وَقَوْسَهُ وَأَسْهُمَهُ إِذَا حَاوَلَ النِّضَالَ، ثُمَّ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ سَيِّئُ الظَّنِّ بِأَصْدِقَائِهِ؛ لأَنَّهُ سَيِّئُ الْفِعْلِ كَثِيرُ الأَوْهَامِ وَالظُّنُونِ، حَتَّىٰ لا يَظُنَّ أَنَّ النَّاسَ جَمِيعًا مِثْلَهُ فِي سُوءِ الْفِعْلِ، وَضَعْفِ الْوَفَاءِ.

فَانْظُرْ كَيْفَ نَالَ الْمُتَنَبِّي مِنْ سَيْفِ الدَّوْلَةِ هَذَا النَّيْلَ كُلَّهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذْكُرَ مِنِ اسْمِهِ حَرْفًا.

هَذَا وَمِنْ أَوْضَحِ مِيزَاتِ الْكِنَايَةِ التَّعْبِيرُ عَنِ الْقَبِيحِ بِمَا تُسِيغُ الآذَانُ سَمَاعَهُ، وَأَمْثِلَةُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَكَلامِ الْعَرَبِ، فَقَدْ كَانُوا لا يُعَبِّرونَ عَمَّا لا يَحْسُنُ ذِكْرُهُ إِلاَّ بِالْكِنَايَةِ، وَكَانُوا لِشِدَّةِ نَخْوَتِهِمْ يُكْنُونَ عَنِ الْمَرْأَةِ بِالْبَيْضَةِ وَالشَّاةِ.

## وَمِنْ بَدَائِعِ الْكِنَايَةِ قَوْلُ بَعْضِ الْعَرَبِ:

أَلا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ ... لا مَا عَدَا يَنْعَتُهُ بَائِعُهُ

فَإِنَّهُ كَنَىٰ بِالنَّخْلَةِ عَنِ الْمَرْأَةِ الَّتِي يُحِبُّهَا.

وَلَعَلَّ هَذَا الْمِقْدَارُ كَافٍ فِي بَيَانِ خَصَائِصِ الْكِنَايَةِ وَإِظْهَارِ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ بَلاغَةٍ وَجَمَالٍ.

# عِلْم البَدِيع

# عِلْمُ الْبَدِيعِ

**الْبَدِيعُ لُغَةً:** الْمُخْتَرَعُ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ.

**وَاصْطِلاحًا:** هُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ الْوَجْدَةُ الَّتِي وُضِعَتْ لِتَزْيِينِ الْكَلامِ وَتَنْمِيقِهِ، وَتُزِيدُهُ حُسْنًا وَحَلاوَةً وَطَلاوَةً وَإِشْرَاقًا، وَكَمَا أَنَّ تَحْسِينَ الْكَلامِ بِعِلْمَيِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ ذَاتِيٌّ، وَبِعِلْمِ الْبَدِيعِ شَكْلِيٌّ، فَهُوَ يَكْسُو الْكَلامَ بِهَذَا رَوْنَقًا وَنَضَارَةً بَعْدَ مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَىٰ حَالِ السَّامِعِينَ وَوُضُوحِ الْمُرَادِ.

وَوُجُوهُ تَحْسِينُ الْكَلامِ الَّتِي يَبْحَثُ فِيهَا عِلْمُ الْبَدِيعِ قِسْمَانِ: قِسْمٌ يَرْجِعُ إِلَىٰ الْمَعْنَىٰ، وَقِسْمٌ يَرْجِعُ إِلَىٰ اللَّفْظِ.

فَهُوَ عِلْمُ الْمُحَسِّنَاتِ اللَّفْظِيَّةِ وَالْمُحَسِّنَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ.

# الْمُحَسِّنَاتُ اللَّفْظِيَّةُ(١)

## الْجِنَاسُ

**حَقِيقَتُهُ:** هُوَ تَشَابُهُ اللَّفْظَانِ فِي النُّطْقِ، وَيَخْتَلِفَانِ فِي الْمَعْنَىٰ.

**وَهُوَ نَوْعَانِ:**

١ – جِنَاسٌ تَامٌّ.

٢ – جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

٣ – جِنَاسُ الاشْتِقَاقِ.

٤ – الْجِنَاسُ الْمُصَحَّفُ.

### ١ - الْجِنَاسُ التَّامُّ:

وَهُوَ أَنْ يَتَّفِقَ اللَّفْظَانِ فِي أَرْبَعَةِ أُمُورٍ:

١ – الْحُرُوفِ

٢ – الشَّكْلِ.

٣ – الْعَدَدِ.

٤ – التَّرْتِيبِ.

كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الرُّوم: ٥٥].

فَقَدْ ذُكِرَتِ السَّاعَةُ مَرَّتَيْنِ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا مَعْنًى، فَالسَّاعَةُ الأُولَىٰ الْقِيَامَةُ، وَالثَّانِيَةُ: الْجُزْءُ مِنَ الزَّمَنِ.

---

(١) الْمُحَسِّنَاتُ اللَّفْظِيَّةُ: لا تَقَعُ مَوْقِعَها، إلاَّ إذَا طَلَبَهَا الْمَعْنَىٰ، وَمِنْ هَا هُنَا كَانَ أَحْلَىٰ تَجْنِيسٍ تَسْمَعُهُ وَأَحْلاهُ وَأَحَقُّ بِالْحُسْنِ وَأَوْلاه مَا وَقَعَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ إِلَىٰ اجْتِلابِهِ وَتَأَهُّلٍ لِطَلَبِهِ؛ لأَنَّ الْمَعْنَىٰ لا تَدِينُ لِلأَلْفَاظِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ، وَلا تَنْقَادُ لَهَا فِي كُلِّ حِينٍ.

## ٢ - الْجِنَاسُ النَّاقِصُ:

هُوَ مَا اخْتُلِفَ لَفْظًا فِي وَاحِدٍ مِنْ أَرْبَعَةِ أُمُورٍ:

**١ - عَدَدُ الْحُرُوفِ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿**وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾**﴾ [القيامة: ٢٩-٣٠].

فَعَدَدُ حُرُوفِ الْمَسَاقِ زَائِدٌ عَلَىٰ عَدَدِ حُرُوفِ كَلِمَةِ السَّاقِ.

**٢ - أَوْ نَوْعُهَا:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾**﴾ [البلد: ٩ - ١٠]، فَقَدِ اخْتَلَفَ اللَّفْظَانِ ﴿**تَقْهَرْ - تَنْهَرْ**﴾ فِي حَرْفَيِ الْقَافِ وَالنُّونِ.

**٣ - أَوْ شَكْلُهَا:** كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَهَلَّا نَهَاكَ نُهَاكَ عَنْ لَوْمِ امْرِئٍ ... لَمْ يُلْقَ غَيْرَ مُنَعَّمٍ بِشَقَاءِ

وَ«نَهَاكَ» الْأُولَىٰ مَفْتُوحَةُ النُّونِ وَهِيَ فِعْلٌ، وَالثَّانِيَةُ مَضْمُومَةٌ، وَهِيَ بِمَعْنَىٰ الْعَقْلِ.

**٤ - أَوْ تَرْتِيبُهَا:** كَقَوْلِ ابْنِ رَوَاحَةَ:

وَتَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا ... بِالْبُرْدِ كَالْبَدْرِ جَلَّىٰ نُورَهُ الظُّلَمَا

وَالشَّاهِدُ مِنْهُ «الْبُرْدُ - كَالْبَدْرِ».

## ٣ - جِنَاسُ الِاشْتِقَاقِ:

وَمِنَ الْجِنَاسِ جِنَاسُ الِاشْتِقَاقِ، كَقَوْلِهِ - ﷺ -: «**غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ، وَعُصَيَّةُ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**»(١).

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥١٣)، وَمُسْلِمٌ (٦٧٩).

## ٤ - الْجناسُ الْمُصَحَّفُ:

وَمِنَ الْجِنَاسِ – أَيْضًا – (الْجِنَاسُ الْمُصَحَّفِ)، وَهُوَ أَنْ يَتَحَدَّد اللَّفْظَانِ فِي الرَّسْمِ وَالشَّكْلِ وَالْعَدَدِ وَالتَّرْتِيبِ وَاخْتَلَفَا فِي النّقطِ فَقَطْ.

كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ(٨٠) ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٧٩، ٨٠].

وَقَوْلِهِ – ﷺ –: «بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا»[١].

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٣٢).

# السَّجْعُ

**السَّجْعُ حَقِيقَتُهُ هُوَ:** أَنْ تَتَّفِقَ الْفَاصِلَتَانِ فِي الْحَرْفِ الأَخِيرِ، وَالْفَاصِلَةُ فِي النَّثْرِ كَالْقَافِيَةِ فِي الشِّعْرِ(١).

وَمَوْطِنُ السَّجْعِ النَّثْرُ، وَقَدْ يَكُونُ فِي الشِّعْرِ، كَقَوْلِ الْمُتَنَبِّي:

فَنَحْنُ فِي جَذَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ ... وَالْبَرُّ فِي شُغُلٍ وَالْبَحْرُ فِي خَجَلٍ

**وَيُسَمَّى السَّجْعُ فِي الشِّعْرِ تَرْصِيعًا، وَيَنْقَسِمُ السَّجْعُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:**

**١ - الْمُطَرَّفُ:** وَهُوَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ الْفَاصِلَتَانِ أَوِ الْفَوَاصِلِ وَزْنًا وَاتَّفَقَتْ رويًا، وَذَلِكَ بِأَنْ يَرِدَ فِي أَجْزَاءِ الْكَلَامِ سَجَعَاتٌ غَيْرَ مَوْزُونَةٍ عَرُوضِيًّا، وَبِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ رَوِيهَا روي الْقَافِيَةِ، كَقَوْلِ أَحَدِ الْبُلَغَاءِ: «الْحُرُّ إِذَا وَعَدَ وَفَّى، وَإِذَا أَعَانَ كَفَى، وَإِذَا مَلَكَ عَفَا».

**٢ - الْمُرَصَّعُ:** هُوَ مَا اتَّفَقَتْ إِحْدَى الْفَقْرَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرُهَا فِي الْوَزْنِ وَالتَّقْفِيَةِ، كَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ: «فَهُوَ يَطْبَعُ الأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهِ وَيَقْرَعُ الأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهِ».

---

(١) لا يَحْسُنُ السَّجْعُ إِلاَّ إِذَا كَانَ رَصِينَ التَّرْكِيبِ، سَلِيمًا مِنَ التَّكَلُّفِ، خَالِيًا مِنَ التَّكْرَارِ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ، وَأَمَّا السَّجْعُ الطَّوِيلُ الْمُتَكَلَّفُ فَبَارِدٌ ثَقِيلٌ مَرْفُوضٌ كَلَيْلِ الصُّدُودِ الَّذِي قِيلَ فِيهِ:

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعْتُهُ بِصُدُودِ ... وَفِرَاقٍ مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعُ

مُوحِشٍ كَالثَّقِيلِ تَقْذِي الْعَيْـ ... ـنَ وَتَأْبَى حَدِيثُهُ الأَسْمَاعُ

وَفِي هَذَا يَقُولُ الشَّافِعِيُّ: وَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَجَعَلَ يَسْجَعُ فِي كَلَامِهِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ: يَا أَعْرَابِيُّ، مَا تَدْعُونَ الْبَلَاغَةَ فِيكُمْ؟. قَالَ: خِلَافَ مَا كُنْتَ فِيهِ الْيَوْمَ، وَأَفْضَلُ السَّجْعِ مَا تَسَاوَتْ فِقَرُهُ، وَلَا بَأْسَ أَنْ تَطُولَ الْفِقْرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى الأُولَى، أَمَّا الْعَكْسُ فَلَا يَحْسُنُ، وَالأَسْجَاعُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى تَسْكِينِ فَوَاصِلِهَا كَالْوَقْفِ، وَلَا يَصِحُّ وَصْلُهَا، وَلَا تَحْرِيكُهَا، بَلْ يَذْهَبُ ذَلِكَ بِجَمَالِهَا وَحُسْنِ إِيقَاعِهَا. انْظُرْ «تَيْسِيرَ الْبَلَاغَةِ» (ص ١٤٦).

٣ - الْمُتَوَازِي: وَهُوَ مَا اتَّفَقَ فِيهِ الْفَقْرَتَانِ فِي الْكَلِمَتَيْنِ الأَخِيرَتَيْنِ، كَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ: «أَلْجَأَنِي حُكْمُ دَهْرٍ قَاسِطٍ إِلَىٰ أَنْ أَنْتَجِعَ أَرْضَ وَاسِطٍ».

وَقَوْلِهِ: «وَأَوْدَىٰ بِي النَّاطِقُ وَالصَّامِتُ، وَرَثَىٰ لِي الْحَاسِدُ وَالشَّامِتُ».

٤ - الْمَشْطُورُ: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ سَطْرٍ مِنَ الْبَيْتِ قَافِيَتَانِ مُغَايِرَتَانِ بِقَافِيَةِ الشَّطْرِ الثَّانِي، وَهَذَا الْقِسْمُ خَاصٌّ بِالشِّعْرِ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ:

تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللهِ مُنْتَقِمٍ ... لِلهِ مُرْتَغِبٌ فِي اللهِ مُرْتَقِبُ

فَالشَّطْرُ الأَوَّلُ كَمَا تَرَىٰ سَجْعُهُ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ قَافِيَةِ الْمِيمِ، وَالشَّطْرُ الثَّانِي سَجْعُهُ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ قَافِيَةِ الْبَاءِ.

## أَشْرَفُ السَّجْعِ:

١ - **مَا تَسَاوَتْ فَقَرَاتُهُ**: أَحْسَنُ السَّجْعِ وَأَشْرَفُهُ وَأَعْلاهُ مَنْزِلَةً مَا تَسَاوَتْ فَقَرَاتُهُ فِي عَدَدِ الْكَلِمَاتِ، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾**﴾ [الضُّحَىٰ: ٩-١٠][1].

٢ - **مَا طَالَتِ الْفَقْرَةُ الثَّانِيَةُ أَكْثَرَ مِنَ الأُولَىٰ طُولاً لا يُخْرِجُهُ عَنِ الاعْتِدَالِ كَثِيرًا لِئَلَّا يَبْعُدَ عَلَى السَّامِعِ وُجُودَ الْقَافِيَةِ فَتَذْهَبُ اللَّذَّةُ وَتَنْتَفِي الْحَلاوَةُ** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾**﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٠].

---

(١) تَنْبِيهٌ مُهِمٌّ: يَرَىٰ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ وَمِنْهُمُ الْبَاقِلانِيُّ وَابْنُ الأَثِيرِ كَرَاهَةَ إِطْلاقِ السَّجْعِ عَلَىٰ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ لأَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْكَلامِ يَعْتَمِدُ الصَّنْعَةَ وَقَلَّمَا يَخْلُو مِنَ التَّكَلُّفِ وَالتَّعَسُّفِ، إِلَىٰ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ سَجْعِ الْحَمَامِ وَهُوَ هَدِيرُهُ، وَإِنَّمَا يُقَالُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ فَوَاصِلُ أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾. انْظُرْ: «عُلُومَ الْبَلاغَةِ» (ص٤٢٢).

**ثُمَّ مَا طَالَتْ فَقْرَتُهُ الثَّالِثَة**، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢)**﴾ [الحَاقَّةُ: ٣٠ - ٣٢].

وَلا يَحْسُنُ أَنْ تَكُونَ الْفَقْرَةُ الثَّانِيَةُ أَقْصَرُ مِنَ الأُولَىٰ؛ لأَنَّ السَّجْعَ إِذَا اسْتَوْفَىٰ أَمَدَّهُ فِي الأُولَىٰ بِطُولِهَا وَجَاءَتِ الثَّانِيَةُ أَقْصَرَ مِنْهَا، كَانَ كَالشَّيْءِ الْمَبْتُورِ الَّذِي لا يَنْتَهِي إِلَىٰ غَايَةٍ وَلا تَقِفُ عِنْدَهُ نِهَايَةٌ.

# الْمُوَازَنَةُ

الْمُوَازَنَةُ حَقِيقَتُهَا: هِيَ تَسَاوِي الْفَوَاصِلُ فِي الْوَزْنِ وَالْجَرْسِ دُونَ الْحَرْفِ الأَخِيرِ، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية: ١٥-١٦][١].

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾ [الصافات: ١١٧-١١٨][٢].

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ [مريم: ١١٧-١١٨][٣].

## وَمِنَ الْمُوَازَنَةِ فِي الشِّعْرِ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ:

فَأَحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْعَمًا ... وَأَقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا

## وَقَالَ الآخَرُ:

أَفَادَ فَسَادَ وَقَادَ فَزَادَ ... وَسَادَ فَجَادَ وَعَادَ فَأَفْضَلَ[٤]

---

(١) «مصْفُوفَةٌ، ومَبْثُوثَةٌ»: مُتَسَاوِيَانِ فِي الْوَزْنِ لا فِي التَّقْفِيَةِ؛ لأَنَّ الأَوَّلَ عَلَىٰ الْفَاءِ وَالثَّانِي عَلَىٰ التَّاءِ، وَلا عِبْرَةَ لِتَاءِ التَّأْنِيثِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي عِلْمِ الْقَوَافِي.

(٢) «الْمُسْتَبِينُ وَالْمُسْتَقِيمُ» مُوَازَنَةٌ لأَنَّهُمَا تَسَاوَيَا فِي الْوَزْنِ دُونَ التَّقْفِيَةِ.

(٣) الْمُوَازَنَةُ هُنَا بَيْنَ «عِزًّا - ضِدًّا»، وبَيْنَ: «أَزًّا - عَدًّا» فَقَدْ جَاءَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ عَلَىٰ وَزْنِ وَاحِدٍ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ أَحْرُفُ التَّقْفِيَةِ أَوِ الْمَقَاطِعِ وَأَمْثَالُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

(٤) قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ فِي الْمُوَازَنَةِ: هِيَ أَنْ تَكُونَ أَلْفَاظُ الْفَوَاصِلِ فِي الْكَلامِ الْمَنْقُولِ مُتَسَاوِيَةً فِي الْوَزْنِ، وأَنْ يَكُونَ صَدْرُ الْبَيْتِ الشِّعْرِيِّ وَعَجُزُهُ مُتَسَاوِي الأَلْفَاظِ وَزْنًا، وَلِلْكَلامِ بِذَلِكَ حَلاوَةٌ وَرَوْنَقًا، وَسَبَبُهُ الاعْتِدَالُ؛ لأَنَّهُ مَطْلُوبٌ فِي جَمِيعِ الأَشْيَاءِ، وَإِذَا كَانَتْ مَقَاطِعُ الْكَلامِ مُعْتَدِلَةً وَقَعَتْ فِي النَّفْسِ مَوْقِعَ

## التَّوْرِيَةُ

**لُغَةً:** السَّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ، قَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ**﴾ [الأَعْرَافُ: ٢٦]، أَيْ: يَسْتُرُهَا.

**وَاصْطِلاحًا:** أَنْ يَذْكُرَ الْمُتَكَلِّمُ لَفْظًا لَهُ مَعْنَيَانِ أَحَدُهُمَا قَرِيبٌ، وَدَلالَةُ اللَّفْظِ عَلَيْهِ ظَاهِرَةٌ، وَالآخَرُ بَعِيدٌ وَدَلالَةُ اللَّفْظَةِ عَلَيْهِ خَفِيَّةٌ.

وَهَذَا الَّذِي يُرِيدُهُ إِلاَّ أَنَّهُ يَسْتُرُهُ وَيُغَطِّيهِ بِالْقَرِيبِ الْمُتَبَادَرِ مِنْ لَفْظِهِ وَتُسَمَّىٰ التَّوْرِيَةُ «إِيهَامًا»(١).

**كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:**

أَصُونُ أَدِيمَ وَجْهِي عَنْ أُنَاسٍ ... لِقَاءُ الْمَوْتِ عِنْدَهُمُ الأَدِيبُ
وَرُبَّ شِعْرٍ عِنْدَهُمُ بَغِيضٌ ... وَلَوْ وَافَىٰ بِهِ لَهُمُ حَبِيبُ

فَأَنْتَ تَجِدُ أَنَّ كَلِمَةَ (حَبِيبٍ) لَهَا مَعْنَيَانِ: أَحَدُهُمَا الْمَحْبُوبُ، وَهَذَا الْمَعْنَىٰ الْقَرِيبُ الَّذِي يَتَبَادَرُ إِلَىٰ الذِّهْنِ بِسَبَبِ التَّمْهِيدِ لَهُ بِكَلِمَةِ «بَغِيضٍ»،

= الاسْتِحْسَانِ، وَهَذَا لا مِرَاءَ فِيهِ لِوُضُوحِهِ، وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْكَلامِ أَخُو السَّجْعِ فِي الْمُعَادَلَةِ دُونَ الْمُمَاثَلَةِ؛ لأَنَّ فِي السَّجْعِ اعْتِدَالاً وَزِيَادَةً عَلَىٰ الاعْتِدَالِ، هِيَ تُمَاثِلُ الْفَوَاصِلَ لِوُرُودِهَا عَلَىٰ حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَأَمَّا الْمُوَازَنَةُ فَفِيهَا الاعْتِدَالُ الْمُوحَدُ وَلا تَمَاثُلَ فِي فَوَاصِلِهَا، فَيُقَالُ: إِذَنْ كُلُّ سَجْعٍ مُوَازَنَةٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مُوَازَنَةٍ سَجْعًا.

(١) فَنُّ التَّوْرِيَةِ بَرَعَ فِيهِ شُعَرَاءُ مِصْرَ وَالشَّامِ فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ وَالثَّامِنِ مِنَ الْهِجْرَةِ وَأَتَوْا فِيهِ بِالْعَجِيبِ الرَّائِعِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَىٰ صَفَاءِ الطَّبْعِ وَالْقُدْرَةِ عَلَىٰ اللَّعِبِ بِأَسَالِيبِ الْكَلامِ، كَمَا قَالَ عَلِيٌّ الْجَارِمُ، وَقَالَ زَكِيُّ الدِّينِ بْنُ أَبِي الإِصْبَعِ، كَمَا فِي كِتَابِهِ «تَحْرِيرُ التَّحْبِيرِ»: «التَّوْرِيَةُ، وَتُسَمَّىٰ التَّوْجِيهُ، هِيَ أَنْ يَكُونَ الْكَلامُ يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ، فَيَسْتَعْمِلُ الْمُتَكَلِّمُ أَحَدَ احْتِمَالَيْهَا وَيُهْمِلُ الآخَرَ، وَمُرَادُهُ مَا أَهْمَلَهُ لا مَا اسْتَعْمَلَهُ».

وَالثَّانِي: اسْمُ أَبِي تَمَّام الشَّاعِرُ، وَهُوَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ، وَهَذَا الْمَعْنَىٰ بَعِيدٌ، وَقَدْ أَرَادَهُ الشَّاعِرُ، وَلَكِنَّهُ تَلَطَّفَ فَوَرَّىٰ عَنْهُ، وَسَتَرَهُ بِالْمَعْنَىٰ الْقَرِيبِ.

**الْمِثَالُ الثَّانِي:**

كَانَ أَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- كَثِيرُ الأَسْفَارِ مَعْرُوفًا، فَلَمَّا هَاجَرَ مَعَ رَسُول الله -صلى الله عليه وسلم- جَعَلَ مَنْ يَعْرِفُهُ يَسْأَلُهُ: مَنْ هَذَا مَعَكَ؟، فَيُجِيبُ: «**هَادٍ يَهْدِينِي الطَّرِيق**»[١].

فَيَحْسَبُونَهُ دَلِيلاً يُرَافِقُهُ؛ كَيْ لا يَضِلَّ الطَّرِيقَ، وَهُوَ يُرِيدُ الْمَعْنَىٰ الْبَعِيدَ ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الشُّورَىٰ: ٥٢]، فَفِي كُلٍّ مِنْ كَلِمَة «هَادٍ»، وَ«الطَّرِيق» تَوْرِيَةٌ وَأَلْغَازٌ.

**وَمِنَ التَّوْرِيَةِ:** قَوْلُ بَدْرِ الدِّينِ الحمالي، وقَدْ طَلَبَ نَوَالاً مِنْ غَيْرِهِ لَكِنْ بِأُسْلُوبٍ جَمِيلٍ:

جَدِّدُوا لِنَسْجَعَ بِالْمَدِيـ ـحِ عَلَىٰ عُلاكُمْ سَرْمَدَاً
فَالطَّيْرُ أَحْسَنُ مَا تَغْـ ـرِدُ عِنْدَمَا يَقَعُ النَّدَىٰ[٢]

فَالتَّوْرِيَةُ هُنَا فِي كَلِمَة «النَّدَىٰ» فَمَعْنَاهَا الْقَرِيبُ الظَّاهِرُ غَيْر الْمُرَاد هُوَ مَا يَسْقُطُ آخِرُ اللَّيْلِ مِنْ بَلَلٍ وَمَطَرٍ خَفِيفٍ، يَدُلُّكَ التَّمْهِيدُ لَهُ بِذِكْرِ الطَّيْرِ وَالتَّغْرِيد وَالْوُقُوع، وَمَعْنَاهَا الْبَعِيدُ هُوَ الْجُودُ وَهَذَا هُوَ الَّذِي أَرَادَهُ الشَّاعِرُ.

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩١١).

(٢) مِنْ مَعَانِي النَّدَىٰ: الجُودُ، وَمَا يَسْقُطُ آخِرَ اللَّيْلِ مِنْ بَلَلٍ وَمَطَرٍ خَفِيفٍ.

# الالتفاتُ

**حقيقةُ الالتفات:** هُوَ أَنْ يُحَوَّل اتِّجاهُ التَّعْبِيرِ مِنْ أُسْلُوبِ التَّكَلُّمِ أَوِ الْخِطَابِ أَوِ الْغَيْبَةِ إِلَىٰ أُسْلُوبٍ آخَرَ(١).

كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿ **وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** (٢٢) ﴾ [يس: ٢٢].

فَأَنْتَ تَرَىٰ أَنَّ أُسْلُوبَ التَّكَلُّمِ كَانَ يَقْتَضِيهِ أَنْ يَقُولَ: «وَإِلَيْهِ أَرْجِعُ»، لِيَكُونَ الْكُلُّ بِنَسَقٍ وَاحِدٍ: نَسَقُ الْمُتَكَلِّمِ لَكِنَّهُ بَعْدَمَا تَحَدَّثَ مِنْ نَفْسِهِ التَفَتَ إِلَىٰ قَوْمِهِ فَخَاطَبَهُمْ مُحَذِّرًا ﴿ **وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾.

**أَقْسَامُ الالْتِفَاتِ:**

١ – **انْصِرَافٌ عَنِ التَّكَلُّمِ إِلَىٰ الخِطَابِ:** كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿ **وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** (٢٢) ﴾ [يس: ٢٢].

٢ – **انْصِرَافٌ عَنِ التَّكَلُّمِ إِلَىٰ الْغَيْبَةِ:** كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** (١) **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** (٢) ﴾ [الْكَوْثَرُ: ١ – ٢].

٣ – **انْصِرَافٌ عَنِ الْخِطَابِ إِلَىٰ التَّكَلُّمِ كَعِتَابِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ:** كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿ **يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي** (٢٤) ﴾ [الْفَجْرُ: ٢٤].

٤ – **انْصِرَافٌ عَنِ الْخِطَابِ إِلَىٰ الْغَيْبَةِ:** كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم** ﴾ [يُونُس: ٢٢]، بَدَلَ مِنْ «بِكُمْ».

---

(١) وَيُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ الالْتِفَاتُ فِي جُمْلَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ لا فِي جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

٥ - انْصِرَافٌ عَنِ الْغَيْبَةِ إِلَىٰ الْخِطَابِ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة]، فَذَكَرَ إِيَّاكَ بَدَلاً عَنْ «إِيَّاهُ».

٦ -انْصِرَافٌ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَىٰ التَّكَلُّمِ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾ [فَاطِر: ٩]، بَدَلاً مِنْ «فَسَاقَهُ».

## مِنْ فَوَائِدِ الالْتِفَاتِ:

فَوَائِدُ الالْتِفَاتِ كَثِيرَةٌ، فَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْكَلامَ إِذَا نُقِلَ مِنْ أُسْلُوبٍ لآخَرَ كَانَ أَبْعَثَ لِنَشَاطِ السَّامِعِ وَأَدْعَىٰ إِلَىٰ إِصْغَائِه وَجَذْبِ انْتِبَاهِه؛ لأَنَّ النَّغَمَ الْوَاحِدَ مَمْلُولٌ، كَالْحَدِيثِ الْمُعَادِ، وَقَدِيمًا قَالُوا: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [الْبَقَرَة: ٦١]، لَكِنْ لِلالْتِفَاتِ مَوَاقِعُ لَطِيفَةٌ وَاعْتِبَارَاتٌ شَرِيفَةٌ جَدِيدَةٌ بِالْبَحْثِ عَنْهَا وَالالْتِفَاتِ إِلَيْهَا، فَمِنْهَا:

١ - قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - فِي شَأْنِ الإِعْرَاضِ عَنِ الأَعْمَىٰ، وَالتَّشَاغُلِ بِزُعَمَاءِ قُرَيْشٍ، لِيَقْبَلُوا الإِيمَانَ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦)﴾ [عَبَس: ١- ٦].

هُنَا الالْتِفَاتُ مِنْ أُسْلُوبِ الْغَيْبَةِ ﴿عَبَسَ﴾ إِلَىٰ الْخِطَابِ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾، ﴿فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ﴾، وَلَوْلا الالْتِفَاتُ لَقِيلَ: «وَمَا يُدْرِيهِ».

تَأَمَّلْ تَجِدْ أَنَّ تَنْشِيطَ السَّامِعِ قَدْ أَخَذَ مَكَانَهُ إِلَىٰ جَنَابِ سِرٍّ يَكْمُنُ فِي لُطْفِ الرَّبِّ الْكَرِيمِ بِالرَّسُولِ الْعَظِيمِ - ﷺ - فِي مَوْضُوعِ عِتَابٍ، لَوْ فَاجَأَهُ بِهِ مِنَ الأَوَّلِ بِأُسْلُوبِ الْخِطَابِ لانْصَدَعَ فُؤَادُهُ؛ لأَنَّ الرَّسُولَ - ﷺ - أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِاللهِ، وَأَشَدُّ الْخَلْقِ خَشْيَةً للهِ، فَكَانَ بَدْءُ الْعِتَابِ فِي صُورَةِ الْحِكَايَةِ عَنْ شَخْصٍ غَائِبٍ.

وَمَا كَانَ الْخطَابُ بِالْعتَابِ إلاَّ بَعْدَ هَذَا التَّعْرِيضِ الْكَرِيمِ وَالإِيقَاظِ اللَّطِيفِ.

٢ - قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَى - فِي قَبُولِ الْفِدَاءِ عَنْ أَسْرَى بَدْرٍ: ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا** ﴾ [الأَنْفَالُ: ٦٧].

تَجِدُ هُنَا الْتِفَاتًا مِنَ الْغَيْبَةِ ﴿ **لِنَبِيٍّ** ﴾ لأَنَّ الاسْمَ الظَّاهِرَ فِي حُكْمِ الْحِكَايَةِ عَنِ الْغَائِبِ، وَالْتَفَتَ عَنْهُ إِلَىٰ الْخطَابِ ﴿ **تُرِيدُونَ** ﴾ وَلَمْ يُصَدِّرِ الْعتَابُ بِالْخطَابِ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَىٰ الْخِطَابِ جَمَعَهُ مَعَ غَيْرِهِ ﴿ **تُرِيدُونَ** ﴾ لِيُخَفِّفَ وَقْعَ الْمُؤَاخَذَةِ.

٣ - قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - مُعَاتِبًا نَبِيَّهُ - ﷺ -: ﴿ **عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ** ﴾ [التَّوْبَةُ: ٤٣].

تَأَمَّلْ، هُنَا لا تَجِدُ الْتِفَاتًا، بَلْ تَجِدُ صِيغَةَ الْخِطَابِ بِالْعِتَابِ مِنَ الْبَدْءِ، لَكِنَّهُ مَسْبُوقٌ بِالْعَفْوِ، وَمَقْرُونٌ بِالْمُلاطَفَةِ فِي صُورَةِ الاسْتِفْهَامِ.

٤ - قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - فِي رُكُوبِ الْبَحْرِ: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم** ﴾ [يُونُس: ٢٢، ٢٣].

تَأَمَّلْ بَلاغَةَ الالْتِفَاتِ هُنَا وَجَمَالَ الأُسْلُوبِ، خَاطَبَهُمْ أَوَّلَ رُكُوبِ الْفُلْكِ ﴿ **كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ** ﴾؛ لأَنَّهُمْ لَمْ يَبْعُدُوا، فَلَمَّا أَقْلَعَتْ بِهِمُ الْفُلْكُ وَابْتَعَدَتْ فِي الْبَحْرِ الْتَفَتَ عَنْهُمْ مُتَحَدِّثًا بِضَمِيرِ الْغَائِبِ ﴿ **وَجَرَيْنَ بِهِم** ﴾، ﴿ **وَفَرِحُوا** ﴾، ﴿ **وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ** ﴾، ﴿ **وَظَنُّوا** ﴾، ﴿ **دَعَوُا** ﴾، ثُمَّ لَمَّا أَنْجَاهُمْ مِنَ الْبَحْرِ، وَوَطَأَتْ أَقْدَامَهُمُ الْبَرَّ، ﴿ **إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** ﴾، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ ثَانِيًا وَخَاطَبَهُمْ بِعُقُوبَةِ جُرْمِهِمْ ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم** ﴾[1].

---

(١) انْظُرْ «تَيْسِير الْبَلاغَة» (ص١٥٩)، بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

# الْمُشَاكَلَةُ

**الْمُشَاكَلَةُ:** هِيَ فِي اللُّغَةِ الْمُمَاثَلَةُ.

**وَاصْطِلاحًا:** ذِكْرُ الشَّيْءِ بِلَفْظِ غَيْرِهِ؛ لِوُقُوعِهِ فِي صُحْبَتِهِ، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا** ﴾ [الشُّورَىٰ: ٤٠].

فَأَنْتَ تَرَىٰ أَنَّ اللَّفْظَ يُشَاكِلُ اللَّفْظَ الَّذِي قَبْلَهُ، وَلَكِنِ الْمَعْنَىٰ مُخْتَلِفٌ، فَإِنَّ السَّيِّئَةَ الثَّانِيَةَ لَيْسَتْ بِسَيِّئَةٍ، وَإِنَّمَا هِيَ مَجَازَةٌ عَلَىٰ السَّيِّئَةِ بِمِثْلِهَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ.

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ** ﴾ [الْبَقَرَة: ١٩٤]، أَيْ: فَعَاقِبُوهُ بِمِثْلِ فِعْلِهِ، وَلَا تَتَجَاوَزُوا الْمُمَاثَلَةَ فِي الْعُقُوبَةِ.

وَمِثْلُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرٌ[(١)]، وَكَذَلِكَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، كَقَوْلِ عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ:

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

---

(١) أُحِبُّ أَنْ أُنَبِّهَ إِلَىٰ خَطَأٍ يَقَعُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْبَلَاغِيِّينَ، إِذْ يَذْكُرُونَ آيَةَ الْمَكْرِ أَوِ الْمُخَادَعَةِ أَوِ الاسْتِهْزَاءِ فِي بَابِ الْمُشَاكَلَةِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللهَ لَا يُوصَفُ بِالْمَكْرِ أَوِ الْمُخَادَعَةِ أَوِ الاسْتِهْزَاءِ وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلَهَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ لِلْمُشَاكَلَةِ لَا أَقَلَّ وَلَا أَكْثَرَ، وَهَذَا فِيهِ تَعْطِيلُ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ وَأَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ.

فَهُمْ قَالُوا فِي تَفْسِيرِ الْمَكْرِ أَيْ: أَخَذَهُمْ بِمَكْرِهِمْ، فَجَعَلَ لَفْظَةَ (مَكْر) مَوْضِعَ أَخْذِهِمْ لِأَجْلِ الْمُشَاكَلَةِ لِأَنَّ اللهَ لَا يُوصَفُ بِالْمَكْرِ، وَهَذَا تَفْسِيرٌ بِاللَّازِمِ، وَلَابُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ صِفَةِ الْمَكْرِ لِلهِ، فَإِنَّ الْمَكْرَ عَلَىٰ مَنْ يَمْكُرُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ الْفِعْلِيَّةِ الَّتِي لَا يُوصَفُ بِهَا وَصْفًا مُطْلَقًا، وَهِيَ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النَّمْل: ٥٠].

وَقَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٤].

وَفِي «سنن التِّرْمِذِيِّ» (٣٨١٦)، وأَبِي دَاوُدَ (١٥١٠)، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُد» (١٣٣٧)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ – ﷺ – يَدْعُو: «رَبِّ أَعِنِّي، وَلا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي، وَلا تَمْكُرْ عَلَيَّ».

وَهَذَا إِثْبَاتُ المَكْرِ عَلَىٰ الحَقِيقَةِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ فِي «التَّدْمُرِيَّةِ» (ص٢٦): «وَهَكَذَا وَصَفَ نَفْسَهُ (يَعْنِي: اللهَ) بِالمَكْرِ وَالْكَيْدِ، كَمَا وَصَفَ عَبْدَهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطَّارق: ١٥، ١٦]، وَلَيْسَ المَكْرُ كَالمَكْرِ، وَلا الْكَيْدُ كَالكَيْدِ».

وَسُئِلَ الْعَلامَّةُ بْنُ عُثَيْمِين – رَحِمَهُ اللهُ – كَمَا فِي «المَجْمُوعِ الثَّمِينِ» (٢/ ٦٥)، هَلْ يُوصَفُ اللهُ بِالمَكْرِ؟ وَهَلْ يُسَمَّىٰ بِهِ؟ فَأَجَابَ: «لا يُوصَفُ اللهُ – تَعَالَىٰ – بِالمَكْرِ إِلاَّ مُقَيَّدًا، فَلا يُوصَفُ اللهُ – تَعَالَىٰ – بِهِ وَصْفًا مُطْلَقًا؛ قَالَ اللهُ – تَعَالَىٰ –: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩]، فَفِي هَذِهِ الآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ للهِ مَكْرًا، وَالمَكْرُ هُوَ التَّوَصُّلُ إِلَىٰ إِيقَاعِ الخَصْمِ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُ، وَمِنْهُ جَاءَ فِي الحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ «الحَرْبُ خُدْعَةٌ»، فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يُوصَفُ اللهُ بِالمَكْرِ مَعَ أَنَّ ظَاهِرَهُ أَنَّهُ مَذْمُومٌ؟ قِيلَ: إِنَّ المَكْرَ فِي مَحَلِّهِ مَحْمُودٌ يَدُلُّ عَلَىٰ قُوَّةِ المَاكِرِ، وَأَنَّهُ غَلَبَ خَصْمَهُ، وَلِذَلِكَ لا يُوصَفُ اللهُ بِهِ عَلَىٰ الإِطْلاقِ، فَلا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ إِنَّ اللهَ مَاكِرٌ!، وَإِنَّمَا تَذْكُرُ هَذِهِ الصِّفَةَ فِي مَقَامٍ يَكُونُ مَدْحًا؛ مِثْلَ قَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾. وَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النَّمْلُ: ٥٠]، وَمِثْلَ قَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾، وَلا تُنْفَىٰ عَنْهُ هَذِهِ الصِّفَةُ عَلَىٰ الإِطْلاقِ، بَلْ إِنَّهَا فِي المَقَامِ الَّتِي تَكُونُ مَدْحًا يُوصَفُ بِهَا، وَفِي المَقَامِ الَّتِي لا تَكُونُ مَدْحًا لا يُوصَفُ بِهَا، وَكَذَلِكَ لا يُسَمَّىٰ اللهُ بِهِ؛ فَلا يُقَالُ: إِنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ المَاكِرَ. وَالمَكْرُ مِنَ الصِّفَاتِ الفِعْلِيَّةِ؛ لأَنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَةِ اللهِ – سُبْحَانَهُ –» اهـ.

٢ – وَمِنْ أَخْطَاءِ بَعْضِ الْبَلاغِيِّينَ – أَيْضًا – أَنَّهُمْ قَالُوا فِي قَوْلِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ هُوَ أَنَّ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – سَمَّىٰ العِقَابَ بِاسْمِ الذَّنْبِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ ﴿خَادِعُهُمْ﴾ لِلْمُشَاكَلَةِ اللَّفْظِيَّةِ، فَإِنَّ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – لا يُوصَفُ بِالخِدَاعِ.

وَالَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ أَنَّ الخِدَاعَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – الْفِعْلِيَّةِ الثَّابِتَةِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَكِنَّهُ لا يُوصَفُ بِهَا عَلَىٰ الإِطْلاقِ إِنَّمَا يُوصَفُ بِهَا حِينَ تَكُونُ مَدْحًا.

وَالدَّلِيلُ مِنَ الكِتَابِ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النِّسَاء: ١٤٢].

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: جَاءَ فِي صَحِيحِ ابْنِ مَاجَةَ (٢٠٢٦) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «إِرْوَاءِ

= الْغَلِيلِ» (٢١١٧) مِنْ حَدِيثِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ - رضي الله عنه - أَنَّ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ كَانَتْ عِنْدَهُ، فَقَالَتْ لَهُ وَهِيَ حَامِلٌ: طَيِّبْ نَفْسِي بِتَطْلِيقَةٍ. فَطَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَرَجَعَ وَقَدْ وَضَعَتْ، فَقَالَ: مَا لَهَا خَدَعَتْنِي خَدَعَهَا اللَّهُ؟! ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ - ﷺ -، فَقَالَ: «سَبَقَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، اخْطُبْهَا إِلَى نَفْسِهَا».

وَسُئِلَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَمَا فِي «الْمَجْمُوعِ الثَّمِينِ» (٢/ ٦٦): هَلْ يُوصَفُ اللَّهُ بِالْخِيَانَةِ وَالْخِدَاعِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾؟ فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: «أَمَّا الْخِيَانَةُ فَلَا يُوصَفُ اللَّهُ بِهَا أَبَدًا؛ لِأَنَّهَا ذَمٌّ بِكُلِّ حَالٍ؛ إِذْ إِنَّهَا مَكْرٌ فِي مَوْضِعِ الِائْتِمَانِ، وَهُوَ مَذْمُومٌ؛ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأَنْفَالُ: ٧١]، وَلَمْ يَقُلْ: فَخَانَهُمْ، وَأَمَّا الْخِدَاعُ؛ فَهُوَ كَالْمَكْرِ، يُوصَفُ اللَّهُ بِهِ حِينَ يَكُونُ مَدْحًا، وَلَا يُوصَفُ بِهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِطْلَاقِ؛ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النِّسَاءُ: ١٤٢].

٣ - وَمِنْ أَخْطَاءِ بَعْضِ الْبَلَاغِيِّينَ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المَائِدَة: ١١٦]. أَنَّهَا بِمَعْنَى: تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا عِنْدَكَ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ لَا يُسْتَعْمَلُ فِي حَقِّهِ لَفْظُ النَّفْسِ إِلَّا أَنَّهَا اسْتُعْمِلَتْ هُنَا مُشَاكَلَةً لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ لَفْظِ النَّفْسِ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُثْبِتُونَ النَّفْسَ لِلَّهِ - تَعَالَى -، وَنَفْسُهُ هِيَ ذَاتُهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهِيَ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

الدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المَائِدَة: ١١٦].

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأَنْعام: ٥٤].

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ [طَهَ: ٤١].

الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ:

جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٧٤٠٥)، وَمُسْلِم (٢٦٧٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «يَقُولُ اللَّهُ - تَعَالَى -: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ؛ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي...» وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٤٨٦) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ - رضي الله عنها -: «... وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٢٥٧٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: «إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي...». =

أي: فَنُجَازِيهِ عَلَىٰ جَهْلِهِ، فَجَعَلَ لَفْظَةَ «نَجْهَلُ» مَوْضِعَ فَنُجَازِيهِ لأَجْلِ الْمُشَارَكَةِ.

### وَمِنْ طَرِيفِ الْمُشَاكَلَةِ قَوْلُ أَبِي تَمَّام:

وَالدَّهْرُ أَلأَمُ مَنْ شَرِقْتَ بِلَوْمِهِ ... إِلاَّ إِذَا أَشْرَقْتَهُ بِكَرِيمِ

فَجَعَلَ لَفْظَةَ أَشْرَقْتَهُ بِكَرِيمٍ مَوْضِعَ انْتَصَرْتُ عَلَيْهِ بِكَرِيمٍ لِلْمُشَارَكَةِ.

### وَمِنَ الْمُشَاكَلَةِ اللَّفْظِيَّةِ قَوْلُ أَحَدِهِمْ:

قَالُوا: اقْتَرِحْ شَيْئًا نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ ... قُلْتُ: اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصًا

أَرَادَ «خِيطُوا» فَذَكَرَهُ بِلَفْظِ «اطْبُخُوا» لِلْمُشَاكَلَةِ اللَّفْظِيَّةِ.

وَمِنْ طَرِيفِ مَا يُذْكَرُ: أَنَّ ضَيْفًا نَزَلَ عَلَىٰ آخَرَ مِنْ أَرْبَابِ الْمُجُونِ، فَظَلَّ يُسْمِعُهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْغِنَاءِ مَا شَاءَ، مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ دُونَ أَنْ يُقَدِّمَ لَهُ شَيْئًا مِنْ طَعَامٍ، وَأَخِيرًا وَلَمَّا قَتَلَهُ الْجُوعُ، قَالَ لَهُ الْمُضِيفُ: أَيُّ نَغَمٍ تُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ؟.

قَالَ: أُحِبُّ نَغَمَ الْمَقْلِيِّ!.

فَالْمَقْلِيُّ لا نَغَمَ لَهُ، وَإِنَّمَا جَاءَ الضَّيْفُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ لِلْمُشَاكَلَةِ.

---

= قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَةَ – رَحِمَهُ اللهُ – فِي «الْفَتَاوَىٰ» (١٤/١٩٦) عَنْ نَفْسِ اللهِ: «وَنَفْسُهُ هِيَ ذَاتُهُ الْمُقَدَّسَةُ».

وَقَالَ الْقَاسِمِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ – فِي تَفْسِيرِهِ: «وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ»؛ أَيْ: ذَاتُهُ الْمُقَدَّسَةُ».

# الطِّبَاقُ

## الطِّبَاقُ حَقِيقَتُهُ:

هُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ الشَّيْءِ وَضِدَّهُ فِي الْكَلَامِ.

وَقَدْ يَكُونَانِ اسْمَيْنِ، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ** ﴾ [الحَدِيد: ٣].

وَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ** ﴾ [الْكَهْف: ١٨].

وَقَدْ يَكُونَانِ فِعْلَيْنِ، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى** ﴾ [النَّجْمُ: ٤٣].

أَوْ حَرْفَيْنِ كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٢٨].

## وَيَنْقَسِمُ الطِّبَاقُ قِسْمَيْنِ:

١ - **طِبَاقُ الْمُوَافَقَةِ:** وَهُوَ أَنْ يَجْتَمِعَ الضِّدَّانِ مَعَ اتِّحَادِ التَّعْبِيرِ سَلْبًا أَوْ إِيجَابًا وَمِثَالُهُ قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ** ﴾ [الأَنْعَام: ١٢٢]، وَقَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى** ﴾ [طَهَ: ٧٤].

٢ - **طِبَاقُ الْمُخَالَفَةِ:** وَهُوَ أَنْ يَجْتَمِعَ الضِّدَّانِ مَعَ الاخْتِلَافِ بَيْنَهُمَا سَلْبًا وَإِيجَابًا، بِأَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا مُوجِبًا وَالآخَرُ مَنْفِيًا، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ** ﴾ [النِّسَاءُ: ١٠٨]، وَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ** ﴾ [المَائِدَةُ: ٤٤].

# الْمُقَابَلَةُ

**الْمُقَابَلَةُ:** هِيَ إِيرَادُ الْكَلامِ، ثُمَّ الْمُقَابَلَةُ بِمِثْلِهِ فِي الْمَعْنَىٰ وَاللَّفْظِ عَلَىٰ جِهَةِ الْمُوَافَقَةِ أَوِ الْمُخَالَفَةِ.

كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا** ﴾ [النَّمْلُ: ٥٢]، فَخَوَاءُ بُيُوتِهِمْ وَخَرَابُهَا بِالْعَذَابِ مُقَابَلَةٌ لِظُلْمِهِمْ.

وَقَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ** ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٧٥].

فَفِي الآيَةِ الْكَرِيمَةِ مُقَابَلَةٌ بَيْنَ الضَّلالَةِ وَالْهُدَىٰ، وَبَيْنَ الْعَذَابِ وَالْمَغْفِرَةِ.

وَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [التَّوْبَةُ: ٨٢].

فَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ الضَّحِكِ وَالْبُكَاءِ، وَالْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ مُقَابَلَةً لِسُوءِ عَمَلِهِمْ.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَإِنَّ الْمُقَابَلَةَ مِنْ دَقِيقِ الْمَسْلَكِ، لا يَسْلُكُهُ إِلاَّ خَبِيرٌ بِأَسَالِيبِ الْكَلامِ، وَإِلاَّ كَانَ تَكَلُّفًا مَمْقُوتًا، وَقَدْ بَلَغَ أَبُو الطَّيِّبِ فِيهِ الْغَايَةَ بِقَوْلِهِ:

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي ... وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي

فَقَدْ طَابَقَ بَيْنَ أَزُورُ وَأَنْثَنِي، وَبَيْنَ سَوَادٍ وَبَيَاضٍ، وَبَيْنَ اللَّيْلِ وَالصُّبْحِ، وَبَيْنَ يَشْفَعُ وَيُغْرِي، وَبَيْنَ لِي وَبِي.

وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ زَيْدُونَ:

سِرَّانِ فِي خَاطِرِ الظَّلْمَاءِ يَكْتُمُنَا ... حَتَّىٰ يَكَادُ لِسَانُ الصُّبْحِ يَفْشِينَا

فَقَدْ طَابَقَ بَيْنَ الظَّلْمَاءِ وَالصُّبْحِ وَبَيْنَ يَكْتُمُنَا وَيَغْشِينَا(١).

---

(١) تَنْبِيهٌ:

بَعْضُ الْبَلاغِيِّينَ وَقَعُوا فِي أَخْطَاءٍ عَقَدِيَّةٍ فِي بَابِ الْمُقَابَلَةِ فَفِي قَوْلِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النَّمْلُ: ٥٠]. قَالُوا: الْمَكْرُ مِنَ اللهِ الْعَذَابُ، جَعَلَهُ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – مُقَابَلَةً لِمَكْرِهِمْ بِأَنْبِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ، وَهَذَا تَفْسِيرٌ لِلصِّفَةِ يُلازِمُهَا، وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي حَاشِيَةٍ عَلَىٰ الْمُشَاكَلَةِ أَنَّ الْمَكْرَ مِنَ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ لِلهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –.

وَمِنْ أَخْطَاءِ بَعْضِ الْبَلاغِيِّينَ – أَيْضًا – فِي بَابِ الْمُقَابَلَةِ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي قَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التَّوْبَةُ: ٦٧]، إِنَّ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – لَا يُوصَفُ بِالنِّسْيَانِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ – سُبْحَانَهُ – ذَلِكَ مُقَابَلَةً لِنِسْيَانِهِمْ، وَهَذَا – أَيْضًا – مِنْ تَفْسِيرِ الصِّفَةِ بِلازِمِهَا، فَإِنَّ النِّسْيَانَ (الَّذِي هُوَ بِمَعْنَىٰ التَّرْكِ) صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ ثَابِتَةٌ لِلهِ – عَزَّ وَجَلَّ – بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لأَدِلَّةٍ مِنْهَا:

قَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأَعْرَافُ: ٥١].

وَقَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التَّوْبَةُ: ٦٧].

وَقَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ [السَّجْدَةُ: ١٤].

وَقَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الجَاثِيَةُ: ٣٤].

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٢٩٦٨) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – فِي رُؤْيَةِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَفِيهِ قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: «**إِنَّ اللهَ يَلْقَىٰ الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ** – أَيْ: اللهُ – **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي...**».

قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الرَّدِّ عَلَىٰ الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ» (ص٢١): «أَمَّا قَوْلُهُ: «**فَالْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا**»؛ يَقُولُ: نَتْرُكُكُمْ فِي النَّارِ؛ «**كَمَا نَسِيتُمْ**» كَمَا تَرَكْتُمُ الْعَمَلَ لِلِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا» اهـ.

وَقَالَ ابْنُ فَارِسٍ فِي «مُجْمَلِ اللُّغَةِ» (ص٨٦٦): «النِّسْيَانُ: التَّرْكُ، قَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾» اهـ.

وَسُئِلَ الْعَلاَّمَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَىٰ» (٣/ ٥٤ – ٥٦ رقم ٣٥٤)، السُّؤَالَ الآتِي: «هَلْ يُوصَفُ اللهُ – تَعَالَىٰ – بِالنِّسْيَانِ؟. فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: لِلنِّسْيَانِ مَعْنَيَانِ:

أَحَدُهُمَا: الذُّهُولُ عَنْ شَيْءٍ مَعْلُومٍ؛ مِثْلَ قَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٨٦]. وَضَرَبَ مَجْمُوعَةً مِنَ الأَمْثِلَةِ لِذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: «وَعَلَىٰ هَذَا فَلَا يَجُوزُ وَصْفُ اللهِ بِالنِّسْيَانِ بِهَذَا الْمَعْنَىٰ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ.

وَالْمَعْنَى الثَّانِي لِلنِّسْيَانِ: التَّرْكُ عَنْ عِلْمٍ وَعَمْدٍ؛ مِثْلَ قَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا

عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]، وَمِثْل قَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥]، عَلَىٰ أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ، وَمِثْل قَوْلِه - ﷺ - فِي أَقْسَامِ الْخَيْلِ: «وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وَتَعَفُّفًا، وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي رِقَابِهَا وَظُهُورِهَا؛ فَهِيَ لَهُ كَذَلِكَ سِتْرٌ».

وَهَذَا الْمَعْنَىٰ مِنَ النِّسْيَانِ ثَابِتٌ للهِ - عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ اللهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ [السَّجْدَة: ١٤]، وقَالَ اللهُ فِي الْمُنَافِقِينَ: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التَّوْبَة: ٦٧].

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٢٩٦٨) فِي كِتَابِ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - ؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟. (فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ): أَنَّ اللهَ - تَعَالَىٰ - يَلْقَىٰ الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي».

وَتَرْكُهُ - سُبْحَانَهُ - لِلشَّيْءِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِه الْفِعْلِيَّة الوَاقِعَة بِمَشِيئَتِه التَّابِعَة لِحِكْمَتِه؛ قَالَ اللهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الْبَقَرَة: ١٧]، وَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الْكَهْف: ٩٩]، وَقَالَ: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الْعَنْكَبُوت: ٣٥].

وَالنُّصُوصُ فِي ثُبُوتِ التَّرْكِ وَغَيْرِه مِنْ أَفْعَالِه الْمُتَعَلِّقَة بِمَشِيئَتِه كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ، وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَىٰ كَمَالِ قُدْرَتِه وَسُلْطَانِه.

وَقِيَامُ هَذِه الأَفْعَال بِه - سُبْحَانَهُ - لا يُمَاثِلُ قِيَامَهَا بِالْمَخْلُوقِينَ، وَإِنْ شَارَكَهُ فِي أَصْلِ الْمَعْنَىٰ؛ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّة» اهـ.

# حُسْنُ التَّعْلِيلِ

## حُسْنُ التَّعْلِيلِ:

أَنْ يُنْكِرَ الأَدِيبُ عِلَّةَ الشَّيْءِ الْمَعْرُوفَةَ، وَيَأْتِي بِعِلَّةٍ أُخْرَىٰ طَرِيفَةٍ مِنَ ابْتِكَارِهِ، لَهَا اعْتِبَارٌ لَطِيفٌ وَمُشْتَمِلَةٌ عَلَىٰ دِقَّةِ النَّظَرِ بِحَيْثُ تُنَاسِبُ الْغَرَضَ الَّذِي يَرْمِي إِلَيْهِ.

## كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

قَدْ يَشِيبُ الْفَتَىٰ وَلَيْسَ عَجِيبًا ... أَنْ يُرَىٰ النُّورُ فِي الْقَضِيبِ الرَّطِيبِ

فَكَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الشَّيْبَ أَسْبَابُهُ مَعْلُومَةٌ عِلَلُهُ، وَلَكِنَّنَا نَجِدُ الشَّاعِرَ قَدْ عَلَّلَهُ بِغَيْرِ كُنْهِهِ، وَهَذَا يُسَمَّىٰ حُسْنَ التَّعْلِيلِ.

وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ مَا عَلَّلَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ زِلْزَالاً حَدَثَ فِي مِصْرَ، فَقَالَ:

مَا زُلْزِلَتْ مِصْرُ مِنْ سُوءٍ أُرِيدَ بِهَا ... لَكِنَّهَا رَقَصَتْ مِنْ عَدْلِهِ طَرَبًا

فَجَعَلَ الزِّلْزَالَ نَاشِئًا عَنْ عَدْلِ مَمْدُوحِهِ.

## وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فِي الرِّثَاءِ:

وَمَا كُلْفَةُ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ قَدِيمَةٌ ... وَلَكِنَّهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّطْمِ

يَقْصِدُ أَنَّ الْحُزْنَ عَلَىٰ الْمَرْثِيِّ شَمَلَ كَثِيرًا مِنْ مَظَاهِرِ الْكَوْنِ، فَهُوَ لِذَلِكَ يَدَّعِي أَنَّ كَلَفَةَ الْبَدْرِ – وَهِيَ مَا يَظْهَرُ عَلَىٰ وَجْهِهِ مِنْ كُدْرَةٍ – لَيْسَتْ نَاشِئَةً عَنْ سَبَبٍ طَبِيعِيٍّ، وَإِنَّمَا هِيَ حَادِثَةٌ مِنْ أَثَرِ اللَّطْمِ عَلَىٰ فِرَاقِ الْمَرْثِيِّ.

**وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:**

أَمَّـا ذُكَـاءُ فَلَمْ تَصْـفَـرّ إِذَا جَنَحَتْ ... إِلاَّ لِفُـرْقَـةِ ذَاكَ الْـمَنْظَرِ الْـحَـسَنِ

يَقْصِدُ أَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَصْفَرّ عِنْدَ الْجُنُوحِ إِلَىٰ الْـمَغِيبِ لِلسَّبَبِ الْـمَعْرُوفِ، وَلَكِنَّهَا اصْفَرَّتْ مَخَافَةَ أَنْ تُفَارِقَ وَجْهَ الْـمَمْدُوحِ.

**وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:**

مَـا قِـصَّـةُ الْغَـيْـثِ عَنْ مِـصْـرَ وَتُرْبَتِـهَـا ... طَبْـعًـا وَلَكِنْ تَعَـدَّاكُـمْ مِنَ الْـخَـجَلِ

وَلا جَـرَىٰ النِّـيـلُ إِلاَّ وَهُوَ مُـعْـتَـرِفٌ ... بِسَـبْـقِكُمْ فَلِذَا يَجْـرِي عَلَىٰ مَـهَلِ

## تَأْكِيدُ الْمَدْحِ بِمَا يُشْبِهُ الذَّمَّ وَعَكْسُهُ

## أَيْ تَأْكِيدُ الذَّمِّ بِمَا يُشْبِهُ الْمَدْحَ

### أَوَّلاً - تَأْكِيدُ الْمَدْحِ بِمَا يُشْبِهُ الذَّمَّ:

**وَلَهُ أُسْلُوبَانِ:**

**الأُسْلُوبُ الأَوَّلُ** - أَنْ يَذْكُرَ صِفَةَ ذَمٍّ مَنْفِيَّة، ثُمَّ يَأْتِي بِأَدَاةِ الاسْتِثْنَاءِ، فَيَتَوَهَّمُ السَّامِعُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَثْنِي مِنْ هَذَا الْمَنْفِيِّ شَيْئًا يَذُمُّ بِهِ الْمَمْدُوحَ.

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - حَاكِيًا عَنْ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ: ﴿ **وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا** ﴾ [الأَعْرَافُ: ١٢٦].

وَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا** ﴾ [الْوَاقِعَةُ: ٢٥، ٢٦].

فَفِي هَذَا الأُسْلُوبِ نَنْفِي عَيْبًا ثُمَّ نَسْتَثْنِي شَيْئًا إِلاَّ أَنَّ هَذَا الْمُسْتَثْنَىٰ عِنْدَ التَّأَمُّلِ نَجِدُهُ مَدْحًا آخَرَ.

**انْظُرْ إِلَىٰ قَوْلِ الذُّبْيَانِيِّ:**

وَلا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

فَقَدْ نَفَىٰ الْعَيْبَ كَمَا رَأَيْتَ بِقَوْلِه: (وَلا عَيْبَ فِيهِمْ) ثُمَّ جَاءَ بِأَدَاةِ الاسْتِثْنَاءِ، فَتَوَهَّمَ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُثْبِتَ عَيْبًا، وَلَكِنْ هَذَا الَّذِي اسْتَثْنَاهُ لَمْ يَكُنْ سِوَىٰ مَدْحٍ عَلَىٰ مَدْحٍ.

الأُسْلُوبُ الثَّانِي – أَنْ يَذْكُرَ الْمُتَكَلِّمُ صِفَةَ مَدْحٍ، ثُمَّ يَسْتَثْنِي مِنْهَا صِفَةً، فَيُظَنُّ أَنَّ الْمُسْتَثْنَىٰ مَذْمُومٌ، وَلَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ يَكُونُ مَدْحًا عَلَىٰ مَدْحٍ.

**كَقَوْلِ الذُّبْيَانِيِّ – أَيْضًا –:**

فَتًى كَمُلَتْ أَخْلاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ ... جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي عَلَىٰ الْمَالِ بَاقِيًا

**وَقَوْلِ الآخَرِ:**

وَعُودٌ كَأَزْهَارِ الرِّيَاضِ نَضَارَةٌ ... وَلَكِنَّهَا يَوْمَ الْهَيَاجِ صُخُورُ

## ثَانِيًا – تَأْكِيدُ الذَّمِّ بِمَا يُشْبِهُ الْمَدْحَ:

**وَلَهُ أُسْلُوبَانِ:**

**الأَوَّلُ** – أَنْ يَنْفِيَ صِفَةَ خَيْرٍ ثُمَّ يَأْتِي بِأَدَاةِ اسْتِثْنَاءٍ فَيَتَوَهَّمَ أَنَّهُ يُرِيدُ مَدْحًا، نَحْوُ: فُلانٌ لا خَيْرَ فِيهِ إِلاَّ أَنَّهُ يَتَصَدَّقُ بِمَا يَسْرِقُ.

**الثَّانِي** – أَنْ يُثْبِتَ صِفَةَ ذَمٍّ ثُمَّ يَأْتِي بِأَدَاةِ الاسْتِثْنَاءِ فَيُتَوَهَّمُ أَنَّهُ يُرِيدُ مَدْحًا إِلاَّ أَنَّ الْمُسْتَثْنَىٰ يَكُونُ ذَمًّا.

نَحْوُ: لا جَمَالَ فِي الْخُطْبَةِ إِلاَّ أَنَّهَا طَوِيلَةٌ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ.

وَنَحْوُ: فُلانٌ حَسُودٌ إِلاَّ أَنَّهُ نَمَّامٌ.

## الأُسْلُوبُ الْحَكِيمُ

أَيْ أَخِي، انْظُرْ أَوَّلاً إِلَىٰ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ إِنَّهُ يَدُلُّ عَلَىٰ الْحِكْمَةِ فِي مُخَاطَبَةِ النَّاسِ، وَحَقِيقَتُهُ هُوَ أَنْ تُحَدِّثَ الْمُخَاطَبَ بِغَيْرِ مَا يَتَوَقَّعُ بِحَمْلِ كَلامِهِ عَلَىٰ خِلافِ مُرَادِهِ؛ تَنْبِيهًا عَلَىٰ أَنَّ الأَوْلَىٰ أَنْ يَكُونَ خِلافَ الْمُرَادِ تَوْجِيهًا وَتَنْبِيهًا.

فَانْظُرْ إِلَىٰ قَوْلِ الرَّبِّ - جَلَّ جَلالُهُ -: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا** ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٨٩].

فَأَنْتَ تَرَىٰ أَنَّ سُؤَالَ الصَّحَابَةِ عَنْ عِلَّةِ تَغَيُّرِ الْهِلالِ، فَكَأَنَّهُمْ قَالُوا: «مَا بَالُ هِلالٍ يَبْدُو صَغِيرًا ثُمَّ يَكْبَرُ ثُمَّ يَعُودُ كَمَا بَدَأَ؟».

وَلَكِنَّ رَبَّنَا - جَلَّ فِي عُلاهُ - أَخْبَرَهُمْ عَنِ الْحِكْمَةِ لا عَنِ الْعِلَّةِ فَقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ **قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** ﴾ وَهَذِهِ الإِجَابَةُ - كَمَا تَعْلَمُ - لَيْسَتْ عَنْ سَبَبِ تَغَيُّرِ الْهِلالِ، بَلْ عَنِ الْحِكْمَةِ مِنْهُ، وَهَذَا هُوَ الأُسْلُوبُ الْحَكِيمُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ حَرِيٌّ بِكُمْ أَنْ تَسْأَلُوا عَمَّا أَنْتُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ تَمَامُ الآيَةِ: ﴿ **وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا** ﴾.

أَيْ أَنَّ مِثْلَهُمْ فِي السُّؤَالِ كَمِثْلِ مَنْ يَتْرُكُ بَابَ الْبَيْتِ وَيَدْخُلُ مِنْ ظَهْرِهِ.

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢١٥].

فَقَدْ سَأَلُوا عَمَّا يُنْفِقُونَ، وَلَكِنَّ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – أَجَابَهُمْ عَنْ سُؤَالٍ آخَرَ، وَهُوَ لِمَنْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ النَّفَقَةُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ حَرِيٌّ بِكُمْ أَنْ تَسْأَلُوا سُؤالاً مُفِيداً أَنْتُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ، وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

وَهَذَا الَّذِي تَقَدَّمَ هُوَ حَوْلَ تَجَاهُلِ سُؤَالِ الْمُخَاطَبِ وَإِجَابَتِهِ عَنْ سُؤَالٍ آخَرَ لا مَشَقَّةَ فِيهِ وَلا حَرَجَ، بَلْ نَافِعًا مُفِيداً.

وَهُنَاكَ نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ وَهُوَ: أَنْ نَحْمِلَ كَلامَهُ عَلَىٰ غَيْرِ مَا كَانَ يَقْصِدُهُ وَيُرِيدُهُ، وَفِي هَذَا تَوْجِيهٌ لِلْمُخَاطَبِ إِلَىٰ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ وَتَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ هِمَّتُهُ.

وَهَذَا قَرِيبٌ مِنَ النَّوْعِ الأَوَّلِ إِلاَّ أَنَّ الأَوَّلَ كَانَ نَاشِئًا عَنِ سُؤَالٍ.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ هَذَا النَّوْعِ مَا جَرَىٰ بَيْنَ الْقَبَعْثَرِيِّ وَالْحَجَّاجِ، فَإِنَّهُ لَمَّا ذُكِرَ الْحَجَّاجُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ فِي بُسْتَانٍ قَالَ: «اللَّهُمَّ سَوِّدْ وَجْهَهُ، وَاقْطَعْ عُنُقَهُ، وَاسْقِنِي مِنْ دَمِهِ». فَوُشِيَ بِهِ إِلَىٰ الْحَجَّاجِ، فَلَمَّا مَثُلَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ الْعِنَبَ. فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ مُتَوَعِّدًا: «لأَحْمِلَنَّكَ عَلَىٰ الأَدْهَمِ» يُرِيدُ الْقَيْدَ الْحَدِيدِيَّ الأَسْوَدَ، فَقَالَ الْقَبَعْثَرِيُّ: «مِثْلُ الأَمِيرِ يَحْمِلُ عَلَىٰ الأَدْهَمِ وَالأَشْهَبِ» يَعْنِي الْفَرَسَ الأَسْوَدَ، وَالْفَرَسَ الأَبْيَضَ، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: أَرَدْتُ الْحَدِيدَ. فَقَالَ الْقَبَعْثَرِيُّ: لأَنْ يَكُونَ حَدِيد أَخْيَرُ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَلِيداً، وَمُرَادُهُ تَخْطِئَةَ الْحَجَّاجِ بِأَنَّ الأَلْيَقَ بِهِ الْوَعْدُ لا الْوَعِيدِ.

**وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ حَجَّاجٍ الْبَغْدَادِيِّ:**

قَالَ ثَقُلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مِرَارًا ... قُلْتُ ثَقَلْتَ كَاهِلِي بِالأَيَادِي

قَالَ طَوَّلْتُ قُلْتُ أَوَلَيْتُ طُولاً ... قَالَ أَبْرَمْتُ قُلْتُ: حَبْلُ وِدَادِي

فَتَأَمَّلْ كَيْفَ وَقَىٰ أَخَاهُ الذِّلَّةَ وأَذْهَبَ عَنْهُ الحَرَجَ، فَهُوَ قَالَ لَهُ: لَقَدْ أَثْقَلْتُ عَلَيْكَ كَثْرَةَ مَا أَسْأَلُ، ولَكِنَّهُ يَرُدُّ عَلَيْهِ بِمَعْنًى آخَر، إِذْ قَالَ لَهُ: بَلْ أَنْتَ أَثْقَلْتَ كَاهِلِي بِالنِّعَمِ. وَقَالَ لَهُ - أَيْضًا -: لَقَدْ طَوَّلْتُ عَلَيْكَ بِأَخْذِي وَقْتَكَ، فَكَانَ الْجَوَابُ: أَوْلَيْتَ طُولاً، أَيْ: نِعَمًا، وقَالَ لَهُ: أَبْرَمْتُ، أَيْ: جَعَلْتُكَ تَسْأَمُ كَثْرَةَ زِيَارَتِي لَكَ، فَقَالَ لَه: إِنَّمَا أَبْرَمْتَ حَبْلَ مَوَدَةٍ وَعَهْدَ صَفَاءٍ، أَيْ: أَنَّ زِيارَتَهُ الْمُتَكَرِّرَةَ قَدْ جَدَّدَتْ عَهْدَ مَوَدَّةٍ، وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ الأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ.

### وَأَجْمَلُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَتَتْ تَشْتَكِي عِنْدِي مُزَاوَلَةَ الْقِرَىٰ ... وَقَدْ رَأَتِ الضِّيفَانَ يَنْحَوْنَ مَنْزِلِي

فَقُلْتُ كَأَنِّي مَا سَمِعْتُ كَلامَهَا ... هُمُ الضَّيْفُ جِدِّي فِي قِرَاهِم وَعَجِّلِي

فَأَنْتَ تَرَىٰ أَنَّ الزَّوْجَ عِنْدَمَا رَأَىٰ زَوْجَتَهُ قَدْ فَتَحَتْ بَابًا لا يُغْلَقُ إِلاَّ بَعْدَ أَخْذٍ وَرَدٍّ عَمَدَ إِلَىٰ الأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ فِي صَرْفِهِ فَشَغَلَهَا بِمَا هُوَ أَنْفَعُ لَهُ وَلَهَا.

### وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَحِبَّتِي حِينَ مَالُوا عَنْ مُوَاصَلَتِي ... تَحَيَّلُوا يَدَّعُونَ الذَّنْبَ مِنْ قِبَلِي

قَالُوا: تَنَاسَيْتَ؟ قُلْتُ: الرُّوحَ بَعْدَكُمُ ... قَالُوا: جَفَوْتَ، فَقُلْتُ: النَّوْمَ فِي مُقَلِي

# الْمُبَالَغَةُ

**الْمُبَالَغَةُ**: أَنْ يَدَّعِي لِوَصْفٍ بُلُوغَه فِي الشِّدَّةِ حَدًّا مُسْتَحِيلاً أَوْ مُسْتَبْعَداً، فَإِنَّ الْمَعْنَىٰ إِذَا زَادَ عَنْ حَدِّهِ سُمِّيَ مُبَالَغَةً.

وَمِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ أَنْ تُبَالِغَ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ، كَمَا مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَخْتَصِرَ وَتُوجِزَ، وَذَلِكَ لِتَوَسُّعِهَا فِي الْكَلَامِ وَاقْتِدَارِهَا عَلَيْهِ، وَلِكُلٍّ مِنْ ذَلِكَ مَوْضِعٌ.

**وَتَنْقَسِمُ الْمُبَالَغَةُ قِسْمَيْنِ:**

**الْقِسْمُ الأَوَّلُ** - الْمُبَالَغَةُ فِي اللَّفْظِ، وَهِيَ تَجْرِي مَجْرَىٰ التَّأْكِيدِ، كَقَوْلِنَا: «رَأَيْتُ عَبْدَ اللهِ نَفْسَهُ عَيْنَهُ»، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ بِعَيْنِهِ، فَتُؤَكِّدُ عَبْدَ اللهِ بِالنَّفْسِ، فَقَوْلُكَ رَأَيْتُ عَبْدَ اللهِ، قَدْ أَغْنَاكَ عَنْ ذِكْرِ النَّفْسِ وَالْعَيْنِ.

**وَمِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي** - الْمُبَالَغَةُ فِي الْمَعْنَىٰ فَإِخْرَاجُ الْقَوْلِ عَلَىٰ أَبْلَغِ غَايَاتِ مَعَانِيهِ، كَقَوْلِ الرَّبِّ - جَلَّ جَلَالُهُ -: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾ [الْمَائِدَةُ: ٦٤][1].

**الْمُبَالَغَةُ الْمَقْبُولَةُ:**

مِنَ الْمُبَالَغَةِ الْمَقْبُولَةِ أَنْ يَذْكُرَ الشَّاعِرُ حَالاً مِنَ الأَحْوَالِ فِي شِعْرٍ، لَوْ وَقَفَ عَلَيْهِ لأَجْزَأَهُ ذَلِكَ فِي الْغَرَضِ، فَيَزِيدُ فِي الْمَعْنَىٰ مَا يَكُونُ أَبْلَغَ كَقَوْلِ عُمَيْرِ بْنِ الأَيْهَمِ:

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا ... وَنُتْبِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَالا

---

(١) قَالَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي كِتَابِهِ «الصِّنَاعَتَيْنِ» (ص٣٦٧): «وَمِنَ الْمُبَالَغَةِ نَوْعٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنْ يَذْكُرَ الْمُتَكَلِّمُ حَالاً لَوْ وَقَفَ عَلَيْهَا أَجْزَأَتْهُ فِي غَرَضِهِ مِنْهَا، فَيُجَاوِزُ ذَلِكَ حَتَّىٰ يَزِيدَ فِي الْمَعْنَىٰ زِيَادَةً تُؤَكِّدُهُ وَيَلْحَقُ بِهِ لاحِقَةً تُؤَيِّدُهُ».

فَإِكْرَامُهُمْ لِلْجَارِ مَا دَامَ فِيهِمْ مِنَ الأَخْلاقِ الْجَمِيلَةِ الْمَوْصُوفَةِ، وَإِتْبَاعُهُمْ إِيَّاهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ كَانَ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي الْجَمِيلِ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْحَكَمِ الْخضريِّ:

وَأَقْبَحُ مِنْ قِرْدٍ وَأَبْخَلُ بِالْقِرَى ... مِنَ الْكَلْبِ أَمْسَى وَهُوَ غَرْثَانُ أَعْجَفُ

فَقَدْ كَانَ يَكْفِي أَنْ يَقُولَ هَذَا الْمَهْجُو أَبْخَلَ مِنَ الْكَلْبِ.

لَكِنَّهُ بَالَغَ فَقَالَ: «وَهُوَ غَرْثَانُ أَعْجَفُ».

**وَمِنَ الْمُبَالَغَةِ الْمَقْبُولَةِ:** الْمُبَالَغَةُ الْبَلِيغَةُ، وَهِيَ فِي أَنْ تَبْلُغَ بِالْمَعْنَى أَقْصَى غَايَاتِهِ وَأَبْعَدَ نِهَايَاتِهِ، وَلا تَقْتَصِرَ فِي الْعِبَارَةِ عَنْهُ عَلَى أَدْنَى مَنَازِلِهِ وَأَقْرَبِ مَرَاتِبِهِ.

كَقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿ **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى** ﴾ [الْحَجّ: ٢].

فَأَنْتَ تَرَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ السِّيَاقُ هَكَذَا «تَذْهَلُ كُلُّ امْرَأَةٍ عَنْ وَلَدِهَا» لَكَانَ بَيَانًا حَسَنًا وَبَلاغَتُهُ كَامِلَةٌ، وَإِنَّمَا خَصَّ الْمُرْضِعَةَ لِلْمُبَالَغَةِ؛ لأَنَّ الْمُرْضِعَ أَشْفَقُ عَلَى وَلَدِهَا؛ لِمَعْرِفَتِهَا بِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَأَشْغَفُ بِهِ لِقُرْبِهِ مِنْهَا وَلُزُومِهَا لَهُ، لا يُفَارِقُهَا لَيْلاً وَلا نَهَارًا.

وَعَلَى حَسْبِ الْقُرْبِ تَكُونُ الْمَحَبَّةِ وَالإِلْفِ.

وَهَذَا وَصْفٌ فِي غَايَةِ الْبَلاغَةِ وَالإِعْجَازِ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْعَظِيمَ فِيهِ مِنَ الْهَوْلِ الشَّدِيدِ وَالْكَرْبِ الْعَظِيمِ.

وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿ **كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً** ﴾ [النُّورُ: ٣٩]، وَلَوْ قَالَ: ﴿ **كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ** ﴾ فَقَطْ لَكَانَ بَلاغَةً عَالِيَةً، وَلَكِنَّهُ لَمَّا أَرَادَ الْمُبَالَغَةَ ذَكَرَ ﴿ **الظَّمْآنُ** ﴾ لأَنَّ حَاجَتَهُ إِلَى الْمَاءِ أَشَدّ، فَكَانَ قِمَّةً فِي الإِيجَازِ وَالإِعْجَازِ.

## التَّذْيِيلُ

**التَّذْيِيلُ:** هُوَ تَعْقِيبٌ بِجُمْلَةٍ أُخْرَىٰ تَشْتَمِلُ عَلَىٰ مَعْنَاهَا بَعْدَ إِتْمَامِ الكَلامِ؛ لإِفَادَةِ التَّوْكِيدَ.

كَقَوْلِه ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ [التَّوْبَةُ: ١١١]، ولَمَّا كَانَ أَوَّلُ الآيَةِ جَارِيًا مَجْرَىٰ الْعَقْدِ، نَاسَبَ تَذْيِيلُهَا بِمَا يَدُلُّ عَلَىٰ وَفَاءِ الْعَهْدِ.

### وَيَنْقَسِمُ التَّذْيِيلُ إِلَىٰ ضَرْبَيْنِ:

١ ـ **الضَّرْبُ الأَوَّلُ** ـ هُوَ مَا يَخْرُجُ مَخْرَجَ الْمَثَلِ بِأَنْ يَقْصِدَ بِالْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ حُكْمٌ كُلِّيٌّ مُنْفَصِلٌ عَمَّا قَبْلَهُ جَارٍ مَجْرَىٰ الأَمْثَالِ فِي الاسْتِقْلالِ وَكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ كَقَوْلِه ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) ﴾ [الإِسْرَاءُ: ٨١].

٢ ـ **الضَّرْبُ الثَّانِي** ـ هُوَ مَا لَمْ يَخْرُجْ مَخْرَجَ الْمَثَلِ، بَلْ يَتَوَقَّفُ عَلَىٰ مَا قَبْلَهُ، كَقَوْلِه ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) ﴾ [سَبَأ: ١٧].

فَقَوْلُهُ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ [الأَنْبِيَاءُ: ٣٤]، فَقَدْ ذَيَّلَهَا بِتَذْيِيلَيْنِ كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُحَقِّقٌ لِفَائِدَتِهَا، وَدَالٌّ عَلَىٰ مَضْمُونِهَا:

الأَوَّلُ – ﴿ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾.

وَالثَّانِي – قَوْلُهُ – تَعَالَىٰ –: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [الأَنْبِيَاءُ: ٣٥]، فَهَذَا تَوْكِيدٌ لِقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾.

## فَوَائِدُ التَّذْيِيلِ:

فَوَائِدُ التَّذْيِيلِ جَمَّةٌ عَظِيمَةٌ تَزِيدُ الْمَعْنَىٰ وُضُوحًا.

قَالَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ: وَلِلتَّذْيِيلِ فِي الْكَلَامِ مَوْقِعٌ جَلِيلٌ، وَمَكَانٌ شَرِيفٌ خَطِيرٌ؛ لأَنَّ الْمَعْنَىٰ يَزْدَادُ بِهِ انْشِرَاحًا، وَالْمَقْصِدُ اتِّضَاحًا.

**وَمِنْ فَوَائِدِهِ – أَيْضًا –: تَوْكِيدُ مَنْطُوقِهِ،** كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإِسْرَاءُ: ٨١].

**وَمِنْ فَوَائِدِهِ: تَأْكِيدُ مَفْهُومِهِ،** كَقَوْلِ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيِّ:

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لا تَلُمْهُ ... عَلَىٰ شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ

فَالْجُمْلَةُ الأُولَىٰ تَدُلُّ بِمَفْهُومِهِ عَلَىٰ نَفْيِ الْكَامِلِ مِنَ الرِّجَالِ، وَقَدْ أَكَّدَ بِالثَّانِيَةِ، وَالاسْتِفْهَامُ فِيهَا لِلإِنْكَارِ، أَيْ لَيْسَ فِي الرِّجَالِ مَرْضِيٌّ الْخِصَالِ.

# افْتِتَاحُ الْكَلَامِ

قَدْ قِيلَ: إِنَّهُ يَنبَغِي لِلْمُتَكَلِّمِ أَنْ يَتَأَنَّقَ فِي ثَلاثَةِ مَوَاضِعَ:

الابْتِدَاءِ، وَالتَّخَلُّصِ، وَالْخِتَامِ.

## أَوَّلاً - حُسْنُ الابْتِدَاءِ:

هُوَ أَنْ يَتَلاءَمَ مَعَ الْمَقْصُودِ، وَيُلَوِّحَ مِنَ الأَوَّلِ بِالْمَوْضُوعِ، وَيُعْرَفُ حُسْنُ الابْتِدَاءِ بـ«بَرَاعَةِ الاسْتِهْلالِ».

وَهُوَ مِنْ أَرَقِّ فُنُونِ الْبَلاغَةِ وَأَرْشَقِهَا، وَحَدُّهُ: أَنْ يَبْتَدِئَ الْمُتَكَلِّمَ كَلامَهُ بِمَا يُشِيرُ إِلَىٰ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ، بَلْ إِشَارَةٍ لَطِيفَةٍ، وَإِيمَاءَةٍ بَعِيدَةٍ أَوْ قَرِيبَةٍ.

وَمَا سُمِّيَ هَذَا النَّوْعُ (بَرَاعَةُ الاسْتِهْلالِ) إِلاَّ لأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ يُفْهِمُ غَرَضَهُ مِنْ كَلامِهِ عِنْدَ ابْتِدَاءِ رَفْعِ صَوْتِهِ، وَرَفْعُ الصَّوْتِ فِي اللُّغَةِ: الاسْتِهْلالُ، يُقَالُ: اسْتَهَلَّ الْمَوْلُودُ صَارِخًا: إِذَا رَفَعَ صَوْتَهُ عِنْدَ الْوِلادَةِ، وَأَهَلَّ الْحَجِيجُ: إِذَا رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ، وَسُمِّيَ الْهِلالُ هِلالاً؛ لأَنَّ النَّاسَ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ.

وَالابْتِدَاءُ أَوَّلُ مَا يَقَعُ فِي السَّمْعِ مِنْ كَلامِكَ، وَالْمَقْطَعُ آخِرُ مَا يَبْقَىٰ فِي النَّفْسِ مِنْ قَوْلِكَ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمُتَكَلِّمُ مُتَأَنِّقًا فِيهِمَا، وَإِذَا كَانَ الابْتِدَاءُ حَسَنًا بَدِيعًا وَمَلِيحًا رَشِيقًا كَانَ دَاعِيًا إِلَىٰ الاسْتِمَاعِ لِمَا يَجِيءُ بَعْدَهُ مِنَ الْكَلامِ؛ وَلِهَذَا الْمَعْنَىٰ يَقُولُ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ الٓمٓ ﴾، ﴿ حمٓ ﴾، ﴿ صٓ ﴾، ﴿ حمٓ ﴾، ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾، فَيَقْرَعُ أَسْمَاعَهُمْ بِشَيْءٍ بَدِيعٍ لَيْسَ لَهُمْ بِمِثْلِهِ عَهْدٌ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ دَاعِيَةً إِلَىٰ الاسْتِمَاعِ لِمَا بَعْدَهُ.

(١) «مُعْجَمُ الْبَلاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ» (ص٧٣).

وَلِهَذَا جَعَلَ أَكْثَرَ الابْتِدَاءَاتِ بِالْحَمْدِ للهِ؛ لأَنَّ النُّفُوسَ تَتَشَوَّقُ لِلثَّنَاءِ عَلَىٰ اللهِ(١).

وَمَحَلُّ حُسْنِ الابْتِدَاءِ: الْخُطَبُ وَالرَّسَائِلِ.

وَفِي الشِّعْرِ شَرَطُوا أَنْ يَكُونَ مَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ دَالاً عَلَىٰ مَا بُنِيَتْ عَلَيْهِ، مُشْعِرًا بِغَرَضِ النَّاظِمِ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ، بَلْ بِإِشَارَةٍ لَطِيفَةٍ، تَعْذُبُ حَلاوَتَهَا فِي الذَّوْقِ السَّلِيمِ، وَيُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَىٰ قَصْدِهِ مِنْ: عُتْبٍ، أَوْ عُذْرٍ، أَوْ تَنَصُّلٍ، أَوْ تَهْنِئَةٍ، أَوْ مَدْحٍ، أَوْ هِجَاءٍ... وَنَحْوِهِ، وَكَذَلِكَ فِي النَّثْرِ.

### وَمِنْ أَمْثِلَتِهِ فِي الشِّعْرِ: قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ:

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

فَقَدِ اسْتَهَلَّ قَصِيدَتَهُ بِذِكْرِ السَّيْفِ، وَفِيهِ إِيمَاءَةٌ قَرِيبَةٌ جِدًّا إِلَىٰ الْمَوْضُوعِ الَّذِي نُظِمَتِ الْقَصِيدَةُ بِصَدَدِهِ.

وَمِمَّا وَقَعَ مِنْ بَرَاعَةِ الاسْتِهْلالِ الَّتِي تُشْعِرُ بِغَرَضِ النَّاظِمِ وَقَصْدِهِ بَرَاعَةُ قَصِيدَةِ الْفَقِيهِ نَجْمُ الدِّينِ عُمَارَةَ الْيَمَنِيِّ، حَيْثُ يَقُولُ:

إِذَا لَمْ يُسَالِمْكَ الزَّمَانُ فَحَارِبْ ... وَبَاعِدْ إِذَا لَمْ تَنْتَفِعْ بِالأَقَارِبِ

فَإِشَارَتُهُ مِنَ الْعُتْبِ وَالشَّكْوَىٰ لا تَخْفَىٰ عَلَىٰ أَهْلِ الذَّوْقِ فِي هَذِهِ الْبَرَاعَةِ، وَيُفْهَمُ مِنْهَا أَنَّ بَقِيَّةَ الْقَصِيدَةِ تُعْرِبُ عَنْ ذَلِكَ.

### وَقَالَ بَعْضُهُمْ يُهَنِّئُ بِمَوْلُودٍ:

بُشْرَىٰ فَقَدْ أَنْجَزَ الإِقْبَالُ مَا وَعَدَا ... وَكَوْكَبُ الْمَجْدِ فِي أُفُقِ الْعُلا صَعِدَا

---

(١) المَرْجِعُ السَّابِقُ (ص١٦٥).

(٢) انْظُرْ «خَزَانَةَ الأَدَبِ» (ص٨).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي التَّهْنِئَةِ بِالشِّفَاءِ:

الْمَجْدُ عُوفِيَ إِذْ عُوفِيتَ وَالْكَرَمُ وَزَالَ عَنْكَ إِلَىٰ أَعْدَائِكَ الأَلَمُ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي الرِّثَاءِ:

حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارِ مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ قَرَارِ

وَلَمَّا فَرَغَ الْمُعْتَصِمُ مِنْ بِنَاءِ قَصْرِهِ، غَنَّاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيُّ:

يَا دَارُ، غَيَّرَكِ الْبَلَىٰ وَمَحَاكِ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاكِ؟

فَقِيلَ: إِنَّ الْمُعْتَصِمَ تَطَيَّرَ مِنْ ذَلِكَ، وَهَدَمَ الْقَصْرَ. فَكَانَ هَذَا الابْتِدَاءُ الْقَبِيحُ سَبَبَ التَّشَاؤُمِ وَالْخَرَابِ(١).

وَقَدِ اشْتُهِرَ أَبُو الطَّيِّبِ بِبَرَاعَةِ مَطَالِعِهِ، وَمِنْ رَوَائِعِهَا قَوْلُهُ:

أَتَرَاهَا لِكَثْرَةِ الْعُشَّاقِ تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَآقِي

فَقَدْ أَلْمَحَ إِلَىٰ مَوْضُوعِ قَصِيدَتِهِ – وَهُوَ الْغَزَلُ – بِرَشَاقَةٍ، زَادَهَا ابْتِكَارُ الْمَعْنَىٰ فِي حِسْبَانِ الدَّمْعِ خِلْقَةً فِي الْمَآقِي – حُسْنًا وَجَمَالاً.

---

(١) قَالَ بَدَوِي طَبَانَة فِي كِتَابِهِ «مُعْجَمُ الْبَلَاغَةِ» (ص١٦٤): «يَنْبَغِي لِلشَّاعِرِ أَنْ يَتَحَرَّزَ فِي أَشْعَارِهِ وَمُفْتَتَحِ أَقْوَالِهِ مِمَّا يُتَطَيَّرُ مِنْهُ وَيُسْتَجْفَىٰ مِنَ الْكَلَامِ، وَالْمُخَاطَبَةِ، وَالْبُكَاءِ، وَوَصْفِ إِقْفَارِ الدِّيَارِ، وَتَشْتِيتِ الآلَافِ، وَنَعْيِ الشَّبَابِ، وَذَمِّ الزَّمَانِ، وَلَاسِيَّمَا فِي الْقَصَائِدِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي الْمَرَاثِي وَوَصْفِ الْخُطُوبِ الْحَادِثَةِ؛ فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَانَ مُؤَسَّسًا عَلَىٰ هَذَا الْمِثَالِ، تَطَيَّرَ مِنْهُ سَامِعُهُ». ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ الْفَضْلَ ابْنَ يَحْيَىٰ بْنِ بَرْمَكَ أَنْكَرَ عَلَىٰ أَبِي نُوَاسٍ ابْتِدَاءَهُ:

أَرْبَعِ الْبِلَىٰ، إِنَّ الْخُشُوعَ لَبَادِي عَلَيْكَ، وَإِنِّي لَمْ أَخُنْكَ وِدَادِي

قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ:

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا فُقِدْتُمْ بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ رَائِحِينَ وَغَادِ

وَسَمِعَهُ – اسْتَحْكَمَ تَطَيُّرُهُ، وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَمْضِ أُسْبُوعٌ حَتَّىٰ نُكِبُوا.

## ثانيًا - حُسْنُ التَّخَلُّص:

كَثِيراً مَا يَسْرُدُ النَّاظِمُ - أَوِ النَّاثِرُ - كَلامَهُ فِي مَقْصِدٍ مِنَ الْمَقَاصِدِ غَيْرَ قَاصِدٍ إِلَيْهِ بِانْفِرَادِهِ، وَلَكِنَّهُ سَبَبٌ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فِيهِ إِلَىٰ كَلامٍ هُوَ الْمَقْصُودُ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأَوَّلِ عُلْقَةٌ وَمُنَاسَبَةٌ، وَهَذَا نَحْوُ أَنْ يَكُونَ الشَّاعِرُ مُسْتَطْلِعًا لِقَصِيدَتِهِ بِالْغَزَلِ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْهُ، خَرَجَ إِلَىٰ الْمَدْحِ عَلَىٰ مَخْرَجٍ مُنَاسِبٍ لِلأَوَّلِ، بِحَيْثُ يَكُونُ الْكَلامُ آخِذًا بَعْضُهُ بِرِقَابِ بَعْضٍ، كَأَنَّهُ أُفْرِغَ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ[١].

وَهَذَا الْخُرُوجُ الْمُتَأَنِّقُ فِيهِ الْمُتَكَلِّمُ يُسَمَّىٰ: «حُسْنَ التَّخَلُّصِ».

عَرَّفَهُ الْبَلاغِيُّونَ بِأَنَّهُ: الانْتِقَالُ مِمَّا ابْتُدِئَ بِهِ الْكَلامُ: مِنْ تَشْبِيبٍ[٢]، أَوْ ذِكْرٍ لِلدِّيَارِ، أَوْ وَصْفٍ لِلْخَمْرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ - إِلَىٰ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ مِنْهُ الْكَلامُ، مَعَ رِعَايَةِ الْمُلاءَمَةِ بَيْنَ مَا ابْتُدِئَ بِهِ وَمَا انْتُقِلَ إِلَيْهِ؛ لأَنَّ الْمُخَاطَبَ يَكُونُ مُتَرَقِّبًا لِهَذَا الانْتِقَالِ، فَإِذَا مَا جَاءَ حَسَنًا، قَدْ رُوعِيَ فِيهِ التَّلاؤُمُ، حَرَّكَ مِنْ نَشَاطِهِ، وَكَانَ أَدْعَىٰ لِلإِصْغَاءِ وَالْمُتَابَعَةِ، وَإِنْ جَاءَ بِخِلافِ ذَلِكَ أَدَّىٰ إِلَىٰ النُّفُورِ وَالإِعْرَاضِ.

وَالتَّخَلُّصُ فِي النَّثْرِ أَسْهَلُ مِنْهُ فِي النَّظْمِ؛ لأَنَّ النَّاظِمَ يُرَاعِي الْقَافِيَةَ وَالْوَزْنَ.

وَأَوْلَىٰ الشِّعْرِ بِأَنْ يُسَمَّىٰ تَخَلُّصًا مَا تَخَلَّصَ فِيهِ الشَّاعِرُ مِنْ مَعْنًى إِلَىٰ مَعْنًى، ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ الأَوَّلِ، وَأَخَذَ فِي غَيْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ مَا كَانَ فِيهِ، كَقَوْلِ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيُّ فِي قَصِيدَةٍ يَعْتَذِرُ بِهَا إِلَىٰ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ:

وَكَفْكَفْتُ[٣] مِنِّي عَبْرَةً[٤]، فَرَدَدْتُهَا ... إِلَىٰ النَّحْرِ[٥]، مِنْهَا مُسْتَهِلٌّ[٦] وَدَامِعُ

---

(١) انظُرْ «مُعْجَم الْبَلاغَة» (ص٢٠٥).
(٢) التَّشْبِيبُ: التَّغَزُّلُ بِالنِّسَاءِ.
(٣) كَفْكَفْتُ: دَفَعْتُ وَصَرَفْتُ.
(٤) الْعَبْرَةُ: كَالدَّمْعَةِ زِنَةً وَمَعْنًى، وَالْجَمْعُ عَبَرَاتٌ، وَعَبَرٌ - بِزِنَةِ عِنَبٍ -.
(٥) النَّحْرُ: الصَّدْرُ وَزْنًا وَمَعْنًى، وَالْجَمْعُ نُحُورٌ.
(٦) مُسْتَهِلٌّ: رَافِعٌ صَوْتِي بِالْبُكَاءِ.

عَلَىٰ حِينِ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصِّبَا(١) وَقُلْتُ: أَلَمَّا أَصْحُ(٢) وَالشَّيْبُ وَازِعُ؟(٣)

**ثُمَّ تَخَلَّصَ إِلَىٰ الاعْتِذَارِ، فَقَالَ:**

وَلَكِنَّ هَمًّا دُونَ ذَلِكَ شَاغِلٌ مَكَانَ الشُّغَافِ تَبْتَغِيهِ الأَصَابِعُ

وَعِيدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ أَتَانِي، وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ

**ثُمَّ وَصَفَ حَالَهُ عِنْدَمَا سَمِعَ تَوَعُّدَهُ، فَقَالَ:**

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرَتْنِي(٤) ضَئِيلَةٌ(٥) مِنَ الرُّقْشِ(٦)، فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ(٧)

يُسَهَّدُ(٨) مِنْ لَيْلِ التِّمَامِ(٩) سَلِيمُهَا(١٠) لِحَلْيِ(١١) النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ(١٢)

---

(١) الصِّبَا – بِالْكَسْرِ – : الْمَيْلُ إِلَىٰ هَوَىٰ النَّفْسِ وَاتِّبَاعِ شَهَوَاتِهَا.

(٢) الصَّحْوُ: تَرْكُ الصِّبَا وَالْبَاطِلِ، وَبَابُهُ قَالَ.

(٣) وَازِعٌ: كَافٌّ زَاجِرٌ نَاهٍ، وَبَابُهُ وَضَعَ.

(٤) سَاوَرَتْنِي: وَاثَبَتْنِي وَأَصَابَتْنِي.

(٥) الضَّئِيلَةُ: الْحَيَّةُ الدَّقِيقَةُ النَّحِيفَةُ، وَالأُنْثَىٰ كُلَّمَا كَبُرَتْ صَغُرَ جِسْمُهَا.

(٦) الرُّقْشُ: جَمْعُ رَقْشَاءَ، وَهِيَ الْحَيَّةُ الْمُنَقَّطَةُ بِسَوَادٍ وَبَيَاضٍ.

(٧) السُّمُّ النَّاقِعُ: الْمَنْقُوعُ، وَإِذَا نُقِعَ السُّمُّ كَانَ بَالِغًا شَدِيدَ التَّأْثِيرِ.

(٨) يُسَهَّد: لا يُتْرَكُ أَنْ يَنَامَ.

(٩) لَيْلُ التِّمَامِ – بِكَسْرِ التَّاءِ لا غَيْرُ – : أَطْوَلُ مَا يَكُونُ مِنْ لَيَالِي الشِّتَاءِ. وَيُرْوَىٰ: «نَوْمِ الْعِشَاءِ».

(١٠) السَّلِيمُ: اللَّدِيغُ، وَالْجَمْعُ سَلْمَىٰ، مِنْ سَلَمَتْهُ الْحَيَّةُ: إِذَا لَدَغَتْهُ. وَقِيلَ: هُوَ مِنَ السَّلامَةِ عَلَىٰ التَّفَاؤُلِ لَهُ بِهَا خِلافًا لِمَا يُحْذَرُ عَلَيْهِ مِنْهُ، قَلَبُوا الْمَعْنَىٰ لَمَّا تَطَيَّرُوا مِنَ اللَّدِيغِ، كَمَا قَالُوا لِلْفَلاةِ: مَفَازَةً تَفَاؤُلاً بِالْفَوْزِ، وَهِيَ مَهْلَكَةٌ. وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَ اللَّدِيغُ سَلِيمًا؛ لأَنَّهُ أُسْلِمَ لِمَا بِهِ.

(١١) الْحَلْي – بِالْفَتْحِ – : مَا يُزَيَّنُ بِهِ مِنْ مَصُوغِ الْمَعْدِنِيَّاتِ أَوِ الْحِجَارَةِ، وَالْجَمْعُ حُلِيٌّ – بِزِنَةِ فُعُولٍ – وَقَدْ تُكْسَرُ الْحَاءُ لِلإِتْبَاعِ، وَقِيلَ: الْحُلِيُّ جَمْعُ حَلْيَةٍ.

(١٢) قَعَاقِعُ: جَمْعُ قَعْقَعَةٍ، وَهِيَ حِكَايَةُ صَوْتِ الْحُلِيِّ وَنَحْوِهِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلْدُوغَ يُوضَعُ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْحَلْيِ؛ لِئَلاَّ يَنَامَ، فَيَدِبَّ السُّمُّ فِي جَسَدِهِ فَيَقْتُلَهُ.

تَنَاذَرَهَا (١) الرَّاقُونَ(٢) مِنْ سُوءِ سَمِّهَا تُطَلِّقُهُ(٣) طَوْرًا(٤)، وَطَوْرًا تُرَاجِعُ

فَوَصَفَ الْحَيَّةَ وَالسَّلِيمَ الَّذِي يُشَبِّهُ بِهِ نَفْسَهُ مَا شَاءَ، ثُمَّ تَخَلَّصَ إِلَىٰ الاعْتِذَارِ، فَقَالَ:

أَتَانِي -أَبَيْتَ اللَّعْنَ(٥)- أَنَّكَ لُمْتَنِي وَتِلْكَ الَّتِي تَسْتَكُّ(٦) مِنْهَا الْمَسَامِعُ

ثُمَّ اطَّرَدَ مَا شَاءَ مِنْ تَخَلُّصٍ إِلَىٰ تَخَلُّصٍ، حَتَّىٰ انْقَضَتِ الْقَصِيدَةُ(٧).

## ثَالِثًا - حُسْنُ الْخِتَامِ:

وَيُسَمَّىٰ «حُسْنُ الانْتِهَاءِ»، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ آخِرُ الْكَلامِ مُسْتَعْذَبًا حَسَنًا؛ لِتَبْقَىٰ لَذَّتُهُ فِي الاسْتِمَاعِ مُؤْذِنًا بِالانْتِهَاءِ، بِحَيْثُ يَبْقَىٰ الْمُسْتَمِعُونَ يَحُسُّونَ بِبَلاغَةِ الْمُتَكَلِّمِ، وَيَتَمَنَّوْنَ الاسْتِزَادَةَ مِنْ حَدِيثِهِ.

وَالْخِتَامُ إِنْ جَاءَ حَسَنًا، جَبَرَ مَا يَكُونُ قَدْ وَقَعَ قَبْلَهُ مِنْ تَقْصِيرٍ، وَعَدَمِ وَفَاءٍ، وَإِنْ جَاءَ سَيِّئًا، فَقَدْ يُنْسِي مَحَاسِنَ مَا قَبْلَهُ؛ لأَنَّهُ آخِرُ مَا يَعِيهِ السَّامِعِ، وَيَرْتَسِمُ فِي ذِهْنِهِ.

---

(١) تَنَاذَرَهَا الرَّاقُونَ: أَنْذَرَ وخَوَّفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

(٢) رَقَىٰ الرَّاقِي رُقْيَةً وَرُقًى: إِذَا عَوَّذَ وَنَفَثَ فِي عُوذَتِهِ، وَهُمُ الرَّاقُونَ.

(٣) طُلِّقَ السَّلِيمُ: رَجَعَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، وَسَكَنَ وَجَعُهُ بَعْدَ الْعِدَادِ (أَيْ: وَقْتَ اهْتِيَاجِ الْوَجَعِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّدِيغَ إِذَا تَمَّتْ لَهُ سَنَةٌ مُذْ يَومِ لُدِغَ، هَاجَ بِهِ الأَلَمُ مَرَّةً أُخْرَىٰ).

(٤) الطَّوْرُ - بِالْفَتْحِ -: التَّارَةُ، وَالْجَمْعُ أَطْوَارٌ.

(٥) أَبَيْتَ اللَّعْنَ: جُمْلَةٌ اعْتِرَاضِيَّةٌ دُعَائِيَّةٌ، كَانَتِ الْعَرَبُ تُحَيِّي بِهَا مُلُوكَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَعْنَاهَا: أَبَيْتَ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - أَنْ تَأْتِيَ مَا تُلْعَنُ عَلَيْهِ. وَيُرْوَىٰ: «وَخُبِّرْتُ - خَيْرَ النَّاسِ - أَنَّكَ لُمْتَنِي».

(٦) اسْتَلَّتْ مَسَامِعُهُ: صَمَّتْ وَضَاقَتْ.

(٧) انْظُرِ «الْعُمْدَةَ» لابْنِ رَشِيقٍ (١/ ١٥٩).

كَقَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ فِي خِتَامِ قَصِيدَتِهِ فِي مَدْحِ الْخَطِيبِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْمُرَادِيِّ:

وَإِنِّي جَدِيرٌ[١] - إِذْ بَلَغْتُكَ - بِالْمُنَىٰ ... وَأَنْتَ بِمَا أَمَّلْتُ مِنْكَ جَدِيرُ
فَإِنْ تُولِنِي مِنْكَ الْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ ... وَإِلَّا فَإِنِّي عَاذِرٌ وَشَكُورُ

وَقَوْلِ الْمَعَرِّيِّ:

بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ، يَا كَهْفَ أَهْلِهِ ... وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلُ

وَأَخِيرًا: هَا هُوَ الْبَحْثُ قَدْ وَصَلَ إِلَىٰ مُنْتَهَاهُ، فَإِنْ كُنْتَ - أَخِي - مِمَّنْ خَصَّهُمُ اللَّهُ بِحِفْظِ الْجَمِيلِ، فَأَقَلُّ الْجَمِيلِ فِي كَاتِبِ هَذِهِ السُّطُورِ: «حَفِظَهُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ»، أَوْ: «رَحِمَهُ اللَّهُ، وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ».

وَأَسْتَوْدِعُكَ - أَخِي - بِهَذَا الدُّعَاءِ:

بَقِيتَ مَدَىٰ الدَّهْرِ، وَعِلْمُكَ رَاسِخٌ ... وَخَيْرُكَ مَمْدُودٌ، وَلَيْلُكَ عَامِرُ
يَوَدُّ سَنَاكَ[٢] الْبَدْرُ[٣]، وَالْبَدْرُ زَاهِرٌ[٤] ... وَيَقْفُو[٥] نَدَاكَ[٦] الْبَحْرُ، وَالْبَحْرُ غَامِرُ[٧]
وَهُنِّئْتَ أَيَّامًا تَوَالَىٰ نَشَاطُهَا ... كَمَا تَتَوَالَىٰ فِي الْعُقُودِ الْجَوَاهِرُ

---

(١) جَدِيرٌ: كَخَلِيقٍ وَحَقِيقٍ زِنَةً وَمَعْنًى.
(٢) السَّنَا - بِالتَّحْرِيكِ وَالْقَصْرِ -: الضَّوْءُ.
(٣) الْبَدْرُ - بِالْفَتْحِ -: الْقَمَرُ لَيْلَةَ تَمَامِ اسْتِدَارَتِهِ، وَالْجَمْعُ بُدُورٌ.
(٤) زَاهِرٌ: نَيِّرٌ مُتَلَأْلِئٌ، وَبَابُهُ خَضَعَ.
(٥) يَقْفُو - مِنْ بَابِ عَدَا وَسَمَا -: يَتَّبِعُ.
(٦) النَّدَىٰ - بِالتَّحْرِيكِ -: الْجُودُ وَالسَّخَاءُ.
(٧) غَامِر: كَثِيرُ الْمَاءِ يَغْمُرُ مَنْ دَخَلَهُ وَيُغَطِّيهِ، وَقَدْ غَمَرَ الْبَحْرُ - بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ - يَغْمُرُ - بِالضَّمِّ - غَمَارَةً وَغُمُورَةً.

# تَنْبِيهٌ عَلَى بَعْضِ الْمُخَالَفَاتِ الْعَقْدِيَّةِ عِنْدَ الْبَلَاغِيِّينَ

## تَنْبِيهٌ عَلَى بَعْضِ الْمُخَالَفَاتِ الْعَقَدِيَّةِ عِنْدَ الْبَلَاغِيِّينَ

اعْلَمْ – أَخِي – عَلَّمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ – أَنَّ كُتُبَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَالأَشَاعِرَةِ، وَالْمَاتُرِيدِيَّةِ قَدْ حَظِيَتْ بِانْتِشَارٍ بَيْنَ طَلَبَةِ الْعِلْمِ؛ لأَنَّهَا وَجَدَتْ مَنْ يَهْتَمُّ بِهَا تَحْقِيقًا وَطَبْعًا وَنَشْرًا، وَلِهَذَا صَارَتْ هِيَ الْمَصَادِرُ الأُولَىٰ لِدِرَاسَةِ الْبَلَاغَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُؤَسَّسَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِيَّةِ، وَيُمْكِنُكَ التَّحَقُّقُ مِنْ ذَلِكَ حِينَ تُتَابِعُ طَبَعَاتِ التَّلْخِيصِ وَالإِيضَاحِ لِلْخَطِيبِ، وَأَسْرَارَ الْبَلَاغَةِ وَدَلَائِلَ الإِعْجَازِ لِعَبْدِ الْقَاهِرِ، وَالْكَشَّافَ لِلزَّمَخْشَرِيِّ، وَلَمْ تَحْظَ الْكُتُبُ الَّتِي تَتَّفِقُ مَعَ مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ، مِثْلُ: تَأْوِيلُ مُشْكَلِ الْقُرْآنِ لابْنِ قُتَيْبَةَ، وَبَيَانُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ لِلْخَطَّابِيِّ، أَوِ الْكُتُبُ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَىٰ مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ، مِثْلُ: بَدِيعُ الْقُرْآنِ، وَتَحْرِيرُ التَّحْبِيرِ لابْنِ أَبِي الإِصْبَعِ، وَالْمَثَلُ السَّائِرُ لابْنِ الأَثِيرِ، وَالْمِصْبَاحُ لِبَدْرِ الدِّينِ بْنِ مَالِكٍ، وَالتِّبْيَانُ لِلطِّيبِيِّ، لَمْ تَحْظَ هَذِهِ الْكُتُبُ بِمِثْلِ مَا حَظِيَتْ بِهِ كُتُبُ تِلْكَ الْفِرَقِ الْمُنْحَرِفَةِ[١]، إِنَّ ذَلِكَ لَيُذَكِّرُنِي بِقَوْلِ الشَّافِعِيِّ – رَحِمَهُ اللهُ –: «اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ أَفْقَهُ مِنْ مَالِكٍ، لَكِنْ أَصْحَابُهُ لَمْ يَقُومُوا بِهِ»[٢].

وَاعْلَمْ – أَخِي – أَنَّهُ لا يَخْتَلِفُ اثْنَانِ فِي أَنَّ مُؤَلَّفَاتِ تِلْكَ الْفِرَقِ الْمُنْحَرِفَةِ إِنَّمَا هِيَ خِدْمَةٌ لِمَذْهَبِهِمْ فِي الْغَالِبِ.

وَسَوْفَ أَذْكُرُ بَعْضَ الْبَلَاغِيِّينَ الَّذِينَ وَظَّفُوا الْبَلَاغَةَ لِخِدْمَةِ مَذْهَبِهِمْ، وَتَقْرِيرِ عَقِيدَتِهِمْ[٣]:

---

(١) انظُرْ «بَلَاغَة أَهْلِ السُّنَّة» (ص١١) لمحمَّد الصَّامِل.

(٢) «السِّيَر» (٨/ ١٥٦)، وأَوْرَدَهُ الحافظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الرَّسَائِلِ المُنِيرِيَّة» (٢/ ٢٤٣).

(٣) انظر «بَلَاغَة أَهْلِ السُّنَّة» لمحمَّد الصَّامِل (ص٢٠)، وما بَعْدَهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

## الجاحظ:

هُوَ – مَعَ تَمَكُّنِه فِي هَذَا الشَّأْنِ – إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْبِدَعِ[١]، بَلْ إِنَّهُ إِمَامُ الْفِرْقَةِ الْجَاحِظِيَّةِ[٢].

كَانَ حُلْوَ الْمَنْطِقِ، فِي أُسْلُوبِهِ رَشَاقَةٌ كَالشَّهْدِ، يَمْتَازُ بِحُسْنِ السَّبْكِ، وَبَرَاعَةِ التَّصْوِيرِ، فَقَدِ اسْتَطَاعَ بِسِحْرِ بَيَانِهِ تَطْوِيعَ النُّصُوصِ لِخِدْمَةِ مُعْتَقَدِهِ الاعْتِزَالِيِّ، وَمَعَ انْحِرَافِهِ فِي الْعَقِيدَةِ فَقَدْ كَانَ مَجَّانًا[٣]، تَارِكًا لِلصَّلَاةِ[٤]، فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ نَفْثَةِ سِحْرِهِ، وَكُنْ مِنْهُ عَلَىٰ حَذَرٍ؛ فَرُبَّمَا دَسَّ شُبُهَاتِهِ فِي لَحْظَةِ السُّكْرِ؛ فَتَقْضِي لَهُ بِنَحْوِ مَا تَسْمَعُ.

## عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ:

وَاحْذَرْ – أَيْضًا – ابْنَ الْمُقَفَّعِ؛ فَإِنَّهُ – مَعَ فَرْطِ ذَكَائِهِ، وَقُوَّةِ بَيَانِهِ – مُتَّهَمٌ بِالزَّنْدَقَةِ[٥].

نَعَتَهُ الذَّهَبِيُّ، فَقَالَ: «عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ أَحَدُ الْبُلَغَاءِ، وَرَأْسُ الْكُتَّابِ وَأُولِي

---

(١) قَالَ الذَّهَبِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ – فِي «الميزان» (٣/ ٢٤٧) عَنِ الجَاحِظِ: «كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ. وقَالَ عَنْهُ ثَعْلَبٌ: لَيْسَ بِثِقَةٍ وَلَا مَأْمُونٍ».
وَقَالَ – أَيْضًا –: «كَانَ كَذَّابًا عَلَىٰ اللهِ، وعَلَىٰ رَسُولِهِ، وَعَلَىٰ النَّاسِ».

(٢) الْفِرْقَةُ الجَاحِظِيَّةُ: فِرْقَةٌ تُنْسَبُ لِلْجَاحِظِ، قَالَ الإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْبَغْدَادِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ – فِي سِيَاقِ كَلَامِهِ عَلَىٰ الْفِرْقَةِ الجَاحِظِيَّةِ – كَمَا فِي كِتَابِهِ «الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ» (ص١٦٠) –: «وَلَوْ عَرَفُوا جَهَالَتَهُ – أَيِ: الجَاحِظَ – فِي ضَلَالَتِهِ، لَاسْتَغْفَرُوا اللهَ – تَعَالَىٰ – مِنْ تَسْمِيَتِهِ إِنْسَانًا، فَضْلاً عَنْ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ إِحْسَانًا».

(٣) مَجَّانًا: أَيْ كَثِيرَ الْمُجُونِ – كَمَا وَصَفَهُ بِذَلِكَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنِ حَزْمٍ فِي «لِسَانِ الميزان» (٤/ ٣٥٧) –. وَالْمُجُونُ: أَلَّا يُبَالِيَ الإِنْسَانُ مَا صَنَعَ، وَمَا قِيلَ لَهُ لِصَلَابَةِ وَجْهِهِ وَقِلَّةِ اسْتِحْيَائِهِ، وَبَابُهُ دَخَلَ.

(٤) انْظُرْ «تَارِيخ بَغْدَاد» (٢٢/ ٢١٧).

(٥) «السِّيَر» لِلذَّهَبِيِّ (٦/ ٢٠٨).

الإنْشَاءِ مِنْ نُظَرَاءِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْكَاتِبِ، وَكَانَ مِنْ مَجُوسِ فَارِسَ، فَأَسْلَمَ عَلَىٰ يَدِ الأَمِيرِ عِيسَىٰ عَمِّ السَّفَّاحِ، وَكَتَبَ لَهُ، وَاخْتَصَّ بِهِ».

قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ: «قَالَ لَهُ: أُرِيدُ أَنْ أُسْلِمَ عَلَىٰ يَدَيْكَ بِمَحْضَرِ الأَعْيَانِ، ثُمَّ قَعَدَ يَأْكُلُ وَيُزَمْزِمُ[١] بِالْمَجُوسِيَّةِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟!.

قَالَ: أَكْرَهُ أَنْ أَبِيتَ عَلَىٰ غَيْرِ دِينٍ»[٢].

وَرُوِيَ عَنِ الْمَهْدِيِّ قَالَ: «مَا وَجَدْتُ كِتَابَ زَنْدَقَةٍ إِلاَّ وَأَصْلُهُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ»[٣].

## أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلانِيُّ:

وَاحْذَرِ الْبَاقِلانِيَّ صَاحِبَ كِتَابِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ وَالانْتِصَارِ لِلْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ أَشْعَرِيٌّ جَلْدٌ[٤]، بَلْ إِنَّهُ الْمُؤَسِّسُ الثَّانِي لِلْمَذْهَبِ الأَشْعَرِيِّ[٥].

نَعَتَهُ الذَّهَبِيُّ فَقَالَ: «صَنَّفَ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الرَّافِضَةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالْخَوَارِجِ، وَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْكَرَّامِيَّةِ، وَانْتَصَرَ لِطَرِيقَةِ أَبِي الْحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ، وَقَدْ يُخَالِفُهُ فِي مَضَائِقَ، فَإِنَّهُ مِنْ نُظَرَائِهِ»[٦].

---

(١) الزَّمْزَمَةُ: كَلامٌ يَقُولُهُ الْمَجُوسُ عِنْدَ أَكْلِهِمْ بِصَوْتٍ خَفِيٍّ، لا يَسْتَعْمِلونَ فِيهِ اللِّسَانَ وَلا الشَّفَةَ، لَكِنَّهُ صَوْتٌ يُدِيرُونَهُ فِي خَيَاشِيمِهِمْ وَحُلُوقِهِمْ، فَيَفْهَمُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ.

(٢) «السِّيَرُ» لِلذَّهَبِيِّ (٦/٢٠٨).

(٣) الْمَرْجَعُ السَّابِقُ (٦/٢٠٨).

(٤) جَلْد - بِالْفَتْحِ -: أَيْ شَدِيدٌ صُلْبٌ.

(٥) انْظُرْ «مَوْقِفُ ابْنِ تَيْمِيَّةَ مِنَ الأَشَاعِرَةِ» لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَحْمُودِ (ص٥٤٩).

(٦) «سِيَرُ أَعْلامِ النُّبَلاءِ» (١٧/١٩٠).

### الشَّريفُ الرَّضيُّ:

هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الشَّريفُ الرَّضيُّ، صَاحِبُ كِتَابَ تَلْخِيصِ الْبَيَانِ فِي مَجَازَاتِ الْقُرْآنِ، وَكِتَابَ الْمَجَازَاتِ النَّبَوِيَّةِ.

وَصَفَهُ الذَّهَبِيُّ بِأَنَّهُ: نَقِيبُ الطَّالِبِيِّينَ (١).

وَقَدِ اسْتَخْدَمَ الْبَلاغَةَ لِتَأْوِيلِ الصِّفَاتِ.

### الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ:

هُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَبْدُ الْجَبَّارِ الأَسدآبَاذِيُّ، صَاحِبُ كِتَابَ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، وَظَّفَهُ لِخِدْمَةِ مُعْتَقَدِهِ الاعْتِزَالِيِّ، بَلْ إِنَّهُ مِنْ أَبْرَعِ الْمُعْتَزِلَةِ تَأْوِيلاً.

### عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُرْجَانِيُّ:

هُوَ إِمَامُ الْبَلاغَةِ، وَالْمُقَدَّمُ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِهَا، صَاحِبُ الْكُتُبِ السَّائِرَةِ فِي الْبَلاغَةِ: كَأَسْرَارِ الْبَلاغَةِ، وَدَلائِلِ الإِعْجَازِ، وَالرِّسَالَةِ الشَّافِيَةِ. قَالَ عَنْهُ الذَّهَبِيُّ: «شَيْخُ الْعَرَبِيَّةِ، كَانَ شَافِعِيًّا، عَالِمًا أَشْعَرِيًّا، ذَا نُسُكٍ وَدِينٍ»(٢).

وَقَدْ وَظَّفَ مُؤَلَّفَاتِهِ لِخِدْمَةِ مُعْتَقَدِهِ الأَشْعَرِيِّ، وَالرَّدِّ عَلَىٰ خُصُومِهِمْ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَوَقَعَ فِي تَأْوِيلِ بَعْضِ الصِّفَاتِ.

### فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ:

الرَّازِيُّ مِنْ كِبَارِ الأَشَاعِرَةِ، وَكِتَابُهُ التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ عَلَىٰ طَرِيقَتِهِمْ، وَكَذَلِكَ كِتَابُهُ الإِيجَازُ فِي دِرَايَةِ الإِعْجَازِ.

---

(١) «سِيَرُ أَعْلامِ النُّبَلاءِ» (١٧/ ٢٣٥).

(٢) «سِيَرُ أَعْلامِ النُّبَلاءِ» (١٨/ ٤٣٣).

**نعته الذهبيُّ فقال:** «بَدَتْ فِي تَوَالِيفه بَلايَا وَعَظَائِمُ، وَسِحْرٌ وَانْحِرَافَاتٌ عَنِ السُّنَّة، وَتُوُفِّيَ عَلَىٰ طَرِيقَةٍ حَمِيدَةٍ، وَاللهُ يَتَوَلَّىٰ السَّرَائِرَ»(١).

ثُمَّ نَقَلَ عَنْهُ قَوْلَهُ فِي آخرِ حَيَاته: «تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الْكَلامِيَّةَ، وَالْمَنَاهِجَ الْفَلْسَفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَليلاً، وَلا تَرْوِي غَليلاً، وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُق طَرِيقَةَ الْقُرْآن، أَقْرَأُ فِي الإِثْبَات: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾ [طه: ٥]، و﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ [فَاطِرُ: ١٠]، وَأَقْرَأُ فِي النَّفْيِ: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشُّورَىٰ: ١١].

وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي، عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي»(٢).

## السَّكَّاكِيُّ:

هُوَ أَبُو يَعْقُوبَ يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّكَّاكِيُّ، صَاحِبُ كِتَابَ «مِفْتَاحُ الْعُلُومِ»، الَّذِي أَصْبَحَ قُطْبَ الرَّحَىٰ لِلْبَلاغَةِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَبِخَاصَّةٍ أَصْحَابَ الاتِّجَاهِ الْعَقْلِيِّ(٣)، وَهُوَ مُعْتَزِلِيٌّ جَلْدٌ.

نَعَتَهُ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ بِقَوْلِهِ: «مُتَكَلِّمٌ فَقِيهٌ، مُتَفَنِّنٌ فِي عُلُومٍ شَتَّىٰ»(٤).

## الزَّمَخْشَرِيُّ:

الزَّمَخْشَرِيُّ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الزَّمَخْشَرِيُّ؟!، الزَّمَخْشَرِيُّ إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْبِدَعِ(٥)، إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْبَلاغَةِ.

لَهُ كِتَابُ الْكَشَّاف، يُعَدُّ مَرْجِعًا عِنْدَ جُمْهُورِ الْبَلاغِيِّينَ، كَشَفَ فِيهِ عَنْ أَسْرَارِ الإِعْجَازِ الْبَيَانِيهِ وَالْغَوْصِ فِي الْمَعَانِي.

---

(١) «سِيَرُ أَعْلامِ النُّبَلاءِ» (٢١/٥٠٠).

(٢) «سِيَرُ أَعْلامِ النُّبَلاءِ» (٢١/٥٠١).

(٣) انْظُرْ «بَلاغَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ» (ص٥٥).

(٤) «مُعْجَمُ الأُدَبَاءِ» (٢٠/٥٨ – ٥٩).

(٥) وَصَفَهُ الذَّهَبِيُّ فِي «السِّيَرِ» (٢/١٥١): «أَنَّهُ كَبِيرُ الْمُعْتَزِلَةِ».

لَكِنَّهُ وَظَّفَهُ لِخِدْمَةِ مُعْتَقَدِهِ، فَهُوَ كَمَا قِيلَ عَنْهُ: «يَنْظُرُ إِلَىٰ الْقُرْآنِ نَظْرَةً عَامَّةً، فَيَجْعَلُ الآيَ الْمُنَاصِرَةَ ظَوَاهِرَهُ لِلْمَذْهَبِ الاعْتِزَالِيِّ مُحْكَمَةً، وَتِلْكَ الَّتِي تُخَالِفُهُ مُتَشَابِهَةً، ثُمَّ يَرُدُّ الْمُتَشَابِهَ إِلَىٰ الْمُحْكَمِ؛ لِيُخْضِعَ تَفْسِيرَهَا لِلرَّأْيِ الاعْتِزَالِيِّ»(١).

وَقَدْ كَانَ ذَكِيًّا فِي الدَّسِّ، جَعَلَتْ أَحَدَ كِبَارِ الأَئِمَّةِ يَسْتَخْرِجُ بَعْضَ ضَلالَتِهِ بِالْمَنَاقِيشِ(٢)، فَقَدْ كَانَ يَسْرِقُ الإِنْسَانَ حَالَ السُّكْرِ(٣) بِمَا أُوتِيَ مِنْ سُطُوعِ بَيَانٍ، وَبَرَاعَةٍ فِي الْكَلامِ.

**قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ -** أَثْنَاءَ الْكَلامِ عَنْ تَفَاسِيرِ الْمُعْتَزِلَةِ مَا نَصُّهُ: «وَمِنْ هَؤُلاءِ مَنْ يَكُونُ حَسَنَ الْعِبَارَةِ، يَدُسُّ الْبِدَعَ فِي كَلامِهِ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ: كَصَاحِبِ «الْكَشَّافِ» وَنَحْوِهِ، حَتَّىٰ إِنَّهُ يُرَوِّجُ عَلَىٰ خَلْقٍ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ تَفَاسِيرِهِمُ الْبَاطِلَةِ»(٤).

**وَقَالَ عَنْهُ الذَّهَبِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -:** «صَالِحٌ، لَكِنَّهُ دَاعِيَةٌ إِلَىٰ الاعْتِزَالِ - أَجَارَنَا اللهُ - فَكُنْ حَذِراً مِنْ كَشَّافِهِ»(٥).

**وَأَلَّفَ الْعَلاَّمَةُ السُّبْكِيُّ كِتَابًا سَمَّاهُ:** «الانْكِفَافُ عَنْ قِرَاءَةِ الْكَشَّافِ»، ذَكَرَ

---

(١) «مَنْهَجُ الزَّمَخْشَرِيِّ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَبَيَانِ إِعْجَازِهِ» (ص١٠٦).

(٢) قَالَ الإِمَامُ الْبُلْقِينِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - كَمَا فِي «الإِتْقَانِ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ» (٢ / ١٩٠): «اسْتَخْرَجْتُ مِنَ الْكَشَّافِ اعْتِزَالاً بِالْمَنَاقِيشِ». وَالْمَنَاقِيشُ: جَمْعُ مِنْقَاشٍ - بِالْكَسْرِ -، آلَةٌ يُنْقَشُ (أَيْ: يُنْتَفُ) بِهَا الشَّوْكُ مِنَ الْجِسْمِ.

(٣) قَالَ الإِمَامُ السُّيُوطِيُّ - كَمَا فِي «التَّحْبِيرِ» (٣٣٠ - ٣٣١) -: «وَمِمَّنْ لا يُقْبَلُ تَفْسِيرُهُ الْمُبْتَدِعُ، خُصُوصًا الزَّمَخْشَرِيَّ فِي «كَشَّافِهِ»؛ فَقَدْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنْ إِخْرَاجِ الآيَاتِ عَنْ وَجْهِهَا إِلَىٰ مُعْتَقَدِهِ الْفَاسِدِ، بِحَيْثُ يَسْرِقُ الإِنْسَانَ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُ، وَأَسَاءَ فِيهِ الأَدَبَ عَلَىٰ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ - ﷺ - فِي مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ، فَضْلاً عَنِ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ».

(٤) «مُقَدِّمَةُ أُصُولِ التَّفْسِيرِ» لِشَيْخِ الإِسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ (ص٣٨).

(٥) «لِسَانُ الْمِيزَانِ» (٤ / ٧٨).

فيه: أنَّهُ عَقَدَ التَّوْبَةَ مِنْ إِقْرَائِه، وَتَابَ إِلَىٰ اللهِ، فَلا يَقْرَؤُهُ، وَلا يَنْظُرُ فيه أَبَدًا؛ لِمَا حَوَاهُ مِنَ الإِسَاءَةِ الْمَذْكُورَةِ.

**وَقَالَ:** «وَقَد اسْتَشَارَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ أَنْ يَشْتَرِيَ مِنْهُ نُسْخَةً، وَيَحْمِلَهَا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَأَشَرْتُ عَلَيْهِ بِأَلاَّ يَفْعَلَ حَيَاءً مِنَ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنْ يُنْقَلَ إِلَىٰ بَلَدٍ هُوَ فِيهِ كِتَابٌ فِيهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِجَنَابِهِ - ﷺ -، عَلَىٰ أَنَّهُ آيَةٌ فِي أَنْوَاعِ الْبَلاغَةِ وَالإِعْجَازِ[١]، لَوْلا مَا شَانَهُ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ»[٢].

**وَقَالَ ابْنُ خَلْدُون - رَحِمَهُ اللهُ - مُبَيِّنًا مَزِيَّةَ تَفْسِيرِهِ:** «... فَانْفَرَدَ بِهَذَا الْفَضْلِ عَلَىٰ جَمِيعِ التَّفَاسِيرِ، لَوْلا أَنَّهُ يُؤَيِّدُ عَقَائِدَ أَهْلِ الْبِدَعِ عِنْدَ اقْتِبَاسِهَا مِنَ الْقُرْآنِ بِوُجُوهٍ بَلاغِيَّةٍ»[٣].

أَيْ أَخِي، هَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ، وَقَطْرَةٌ مِنْ مَطْرَةٍ مِمَّا عِنْدَ الزَّمَخْشَرِيِّ مِنَ الطَّوَامِّ، فَإِذَا كَانَ أَحَدُ كِبَارِ أَئِمَّةِ الْبَلاغَةِ يَتَتَرَّسُ بِعِلْمِهِ، وَيَسْتَخْرِجُ مِنَ الْكَشَّافِ اعْتِزَالاً بِالْمَنَاقِيشِ، فَمَا أَحْوَجَنَا نَحْنُ إِلَىٰ الْفِرَارِ مِنْهُ؛ فَإِنَّ الْقُلُوبَ ضَعِيفَةٌ، وَالشُّبَهَ خَطَّافَةٌ!!.

## الْمُتَنَبِّي:

الْمُتَنَبِّي شَاعِرَ الدُّنْيَا، وَشَاغِلَ النَّاسِ، أَبْيَاتُهُ كَالنُّجُومِ ضِيَاءً، وَالْحَدَائِقِ بَهْجَةً.

---

(١) انْظُرْ - أَخِي - كَيْفَ اتَّفَقَتْ عِبَارَةُ الْعُلَمَاءِ عَلَىٰ الإِشَادَةِ بِبَيَانِ الزَّمَخْشَرِيِّ، لَكِنْ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ التَّحْذِيرِ مِنْهُ وَمِنْ كَشَّافِهِ.

وَقَدْ قِيلَ:

فِي زُخْرُفِ الْقَوْلِ تَزْيِينٌ لِبَاطِلِهِ ... وَالْحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرِ

تَقُولُ: هَذَا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ ... وَإِنْ تَعِبْ قُلْتَ: ذَا تَفِيءُ الزَّنَابِيرِ

مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا جَاوَزْتَ وَصْفَهُمَا ... سِحْرُ الْبَيَانِ يُرِي الظَّلْمَاءَ كَالنُّورِ

(٢) «التَّحْبِيرُ» (٣٣٠/ ٣٣١).

(٣) «مُقَدِّمَةُ ابْنُ خَلْدُون» (ص٥٥٣).

وَهُوَ كَغَيْرِهِ مِنْ أَئِمَّةِ الْبلاغَةِ وَالْبَيَانِ، الَّذِينَ يَتَمَيَّزُونَ عَنْ غَيْرِهِمْ بِرِقَّةِ الدِّينِ، وَضَعْفِ الْيَقِينِ.

### فَهَا هُوَ يَقُولُ فِي رَائِعَتِهِ:

يَتَرَشَّفْنَ[١] مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أَحْلَىٰ مِنَ التَّوْحِيدِ[٢]

قَالَ الْعَلاَّمَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ – رَحِمَهُ اللهُ –: «فَتَأَمَّلْ حَالَ أَكْثَرِ عُشَّاقِ الصُّوَرِ، تَجِدْهَا مُطَابِقَةً لِذَلِكَ، ثُمَّ ضَعْ حَالَهُمْ فِي كَفَّةٍ، وَتَوْحِيدَهُمْ وَإِيمَانَهُمْ فِي كَفَّةٍ، ثُمَّ زِنْ وَزْنًا يَرْضَىٰ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وَيُطَابِقُ الْعَدْلَ، وَرُبَّمَا صَرَّحَ الْعَاشِقُ مِنْهُمْ بِأَنَّ وَصْلَ مَعْشُوقِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ رَبِّهِ، كَمَا قَالَ الْعَاشِقُ الْخَبِيثُ:

يَتَرَشَّفْنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أَحْلَىٰ مِنَ التَّوْحِيدِ»[٣]

## السُّبْكِيُّ:

هُوَ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْكَافِي بَهَاءُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ، مِنْ عَائِلَةِ عِلْمٍ أَشْعَرِيَّةٍ، أَسْهَمَتْ فِي كُلِّ فَنٍّ، لَهُ فِي الْبَلاغَةِ التَّصَانِيفُ الْكَثِيرَةُ:

كَالإِغْرِيضِ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ وَالتَّعْرِيضِ، وَالاقْتِنَاصِ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَصْرِ وَالْقَصْرِ، وَالاخْتِصَاصِ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ، وَأَحْكَامِ كُلِّ مَا تَدُورُ عَلَيْهِ، وَوَشْيِ الْحُلَلِ فِي تَأْكِيدِ النَّفْيِ بِلا، وَسَبَبِ الانْكِفَافِ عَنْ إِقْرَاءِ الْكَشَّافِ.

وَهَذَا الأَخِيرُ أَمْلاهُ حِينَ وَقَفَ عَلَىٰ طَوَامِّ الزَّمَخْشَرِيِّ فِي كَشَّافِهِ، وَمُخَالَفَتِهِ الْعَقَدِيَّةِ، وَنَيْلِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ – ﷺ –.

---

(١) يَتَرَشَّفْنَ: يُقَبِّلْنَ وَيَمْصَمْنَ.

(٢) دِيوَانُهُ (١/٦٢).

(٣) «الجَوَابُ الْكَافِي» (ص٣٥٤).

**وَممَّا يُحْمَدُ لَهُ:** رُدُودُهُ عَلَىٰ الْمُعْتَزِلَةِ فِي كُلِّ مُنَاسَبَةٍ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ غُبَارِهِمْ، فَهَا هُوَ يَتَّفِقُ مَعَ الزَّمَخْشَرِيِّ فِي اللُّجُوءِ لِبَابِ التَّخْيِيلِ حِينَ يَكُونُ النَّصُّ مُخَالِفًا لِمَا يَرَاهُ الْمُعْتَزِلَةُ وَالأَشَاعِرَةُ.

فَهَا هُوَ يَشْرَحُ قَوْلَهُ – تَعَالَىٰ –: ﴿ **وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [الزُّمَر: ٦٧].

نَقَلَ عَنِ الزَّمَخْشَرِيِّ: «وَفِيهِ تَفْوِيضٌ مُطْلَقٌ لِمَعْنَىٰ الْقَبْضَةِ وَالْيَمِينِ؛ لأَنَّهُ يَقُولُ: مِنْ غَيْرِ ذِهَابٍ بِالْقَبْضَةِ وَلا بِالْيَمِينِ إِلَىٰ جِهَةِ حَقِيقَةٍ أَوْ مَجَازٍ»(١).

ثُمَّ أَثْنَىٰ عَلَىٰ بَابِ التَّخْيِيلِ بِقَوْلِهِ: «وَلا نَرَىٰ بَابًا فِي عِلْمِ الْبَيَانِ أَدَقَّ وَأَلْطَفَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، وَلا أَنْفَعَ وَلا أَعْوَنَ عَلَىٰ تَعَاطِي تَأْوِيلِ الْمُشْتَبِهَاتِ»(٢).

فَانْظُرْ – أَخِي – كَيْفَ رَجَعَ هَذَا الإِمَامُ مِنَ الْمِيدَانِ وَبِهِ كَلَمٌ!(٣).

فَكُنْ حَذِرًا؛ فَأَنْتَ تَرَىٰ أَنَّ هَذَا الْبَحْرَ خَاضَ فِيهِ عُلَمَاءُ أَعْلامٌ، وَمَنْ مِنْهُمْ قَدْ سَلِمَ، وَمَنْ مِنْهُمْ لَمْ يَرْجِعْ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالْمَلامِ!.

## التَّفْتَازَانِيُّ:

هُوَ سَعْدُ الدِّينِ مَسْعُودُ بْنُ عُمَرَ التَّفْتَازَانِيُّ، صَاحِبُ شَرْحِ التَّلْخِيصِ، وَغَيْرِهِ مِنْ فُنُونِ الْبَلاغَةِ. وَيُحْمَدُ لَهُ رَدُّهُ عَلَىٰ الْمُعْتَزِلَةِ، لَكِنَّهُ وَقَعَ فِي التَّأْوِيلِ.

وَقَدْ وَصَفَهُ أَحَدُهُمْ بِأَنَّهُ: «مَاتُرِيدِيٌّ صُلْبٌ»(٤).

---

(١) «عَرُوسُ الأَفْرَاحِ شَرْحِ التَّلْخِيصِ» (٤/٣٥).

(٢) المَرْجِعُ السَّابِقُ (٤/٣٦).

(٣) الْكَلْمُ – بِالْفَتْحِ –: الجَرْحُ، وَالجَمْعُ كُلُوم، وكِلام.

(٤) «المَاتُرِيدِيَّة وَمَوْقِفُهُمْ مِنْ تَوْحِيدِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» لِلشَّمْسِ الأَفْغَانِيِّ (١/٢٩٣).

## السُّيُوطِيُّ:

هُوَ جَلالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ، صَاحِبُ عُقُودِ الْجُمَانِ فِي الْبَلاغَةِ، وَفَتْحِ الْجَلِيلِ لِلْعَبْدِ الذَّلِيلِ، وَمَجَازِ الْفُرْسَانِ إِلَىٰ مَجَازِ الْقُرْآنِ، وَجَنْيِ الْجِنَاسِ، وَتَلْخِيصِ الْمِفْتَاحِ، وَأَسْرَارِ الْقُرْآنِ الْبَلاغِيَّةِ، وَهُوَ صَاحِبُ الإِتْقَانِ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ، وَمُعْتَرَكِ الأَقْرَانِ.

وَالسُّيُوطِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ – لَمْ يَسْلَمْ مِنْ غُبَارِ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ، فَقَدْ وَقَعَ فِي التَّأْوِيلِ كَمَا فِي كِتَابِهِ عُقُودُ الْجُمَانِ، فَتَأَوَّلَ صِفَةَ الْمَجِيءِ فِي بَابِ الْحَذْفِ، وَجَعَلَ الْمُرَادَ مَجِيءَ الأَمْرِ أَوِ الْعَذَابِ(١).

تَأْوِيلُهُ لِلْقَبْضَةِ وَالْيَمِينِ فِي بَابِ التَّخْيِيلِ(٢).

تَأْوِيلُهُ لِصِفَتَيِ النَّفْسِ وَالْمَكْرِ فِي بَابِ الْمُشَاكَلَةِ، إِذْ يَقُولُ: «فَإِنَّ إِطْلاقَ النَّفْسِ وَالْمَكْرِ فِي جَانِبِ الْبَارِي – تَعَالَىٰ – إِنَّمَا هُوَ مُشَاكَلَةٌ»(٣).

تَأْوِيلُهُ لِصِفَتَيِ الاسْتِوَاءِ وَالْيَدِ فِي بَابِ التَّوْرِيَةِ(٤).

## ابْنُ كَمَالِ بَاشَا:

لَهُ مُشَارَكَةٌ فِي عُلُومِ الْبَلاغَةِ، وَهُوَ صَاحِبُ كِتَابِ الْمَزَايَا وَالْخَوَاصِّ فِي الأُسْلُوبِ الْبَلاغِيِّ، وَرِسَالَةٌ فِي الْفَصَاحَةِ، وَرِسَالَةٌ فِي صِيَاغَةِ الْكَلامِ، وَرِسَالَةٌ فِي تَقْسِيمِ الْمَجَازِ، وَرِسَالَةٌ فِي بَيَانِ الأُسْلُوبِ، وَهُوَ مَاتُرِيدِيٌّ كَمَا ذَكَرَ عَنْهُ الشَّمْسُ الأَفْغَانِيُّ(٥).

---

(١) «عُقُودُ الجمان» (ص٧١).

(٢) المَرْجِعُ السَّابِقُ (ص١٠٠).

(٣) المَرْجِعُ السَّابِقُ (ص١١٠).

(٤) المَرْجِعُ السَّابِقُ (ص١١٣).

(٥) انظُرْ «المَاتُرِيدِيَّة وَمَوْقِفُهُمْ مِنْ تَوْحِيدِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» (١/ ٣١٥).

وَقَدْ وَقَعَ فِي التَّأْوِيلِ كَحَالِ غَيْرِهِ.

## يُوسُفُ بْنُ مَرْعِي الْحَنْبَلِيُّ:

هُوَ صَاحِبُ الْقَوْلِ الْبَدِيعِ فِي عِلْمِ الْبَدِيعِ.

خَاضَ فِي التَّأْوِيلِ كَمَا فَعَلَ غَيْرُهُ، فَهُوَ يَجْعَلُ قَوْلَهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ﴾ [طه: ٥]، مِثَالاً لِلتَّوْرِيَةِ!، وَهَذَا تَأْوِيلٌ لِصِفَةِ الاسْتِوَاءِ.

## مَفَاسِدُ الْمَجَازِ

أَيْ أَخِي، هَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ، وَقَطْرَةٌ مِنْ مَطْرَةٍ، فَلَوْ وَقَفْتَ عَلَىٰ الْخِلافِ الدَّائِرِ بَيْنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالأَشَاعِرَةِ، لَطَالَ تَعَجُّبُكَ، وَتَتَوَالَىٰ الرُّدُودُ عَلَىٰ تَعَاقُبِ الْقُرُونِ، وَعَلَىٰ هَذَا سَارَ الْمَاتُرِيدِيَّةُ، وَالشِّيعَةُ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْفِرَقِ الْمُنْحَرِفَةِ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ أَنَّ مَبَاحِثَهُمُ الْبَلاغِيَّةَ إِنَّمَا هِيَ خِدْمَةٌ لِمَذْهَبِهِمْ، وَالتُّكَأَةُ الَّتِي اتَّكَئُوا عَلَيْهَا هِيَ الْمَجَازُ(١).

(١) الحَدِيثُ عَنِ المَجَازِ ذُو شُجُونٍ، وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ عُلَمَاءُ أَعْلامٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، ذَكَرَ الشَّيْخُ مُصْطَفَىٰ بْنُ عِيدٍ الصَّيَاحِفَةُ خُلاصَةَ ذَلِكَ فِي بَحْثٍ لَهُ، نُشِرَ فِي مَجَلَّةِ الْبُحُوثِ الإِسْلامِيَّةِ (عَدَد ٤٧) بِعُنْوَانِ «مَفَاسِدُ المَجَازِ»، هَذَا نَصُّهُ: «المَجَازُ صَنْعَةٌ اعْتِزَالِيَّةٌ كَلامِيَّةٌ مَحْضَةٌ، تَقُومُ عَلَىٰ أَسَاسِ صَرْفِ الأَلْفَاظِ الْعَرَبِيَّةِ عَنْ مَنْطُوقِهَا، وَتَحْوِيلِ هَذَا المَنْطُوقِ عَنْ دَلالاتِهِ المَأْلُوفَةِ المَعْهُودَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَلَدَىٰ رِجَالاتِ الصَّدْرِ الأَوَّلِ فِي الإِسْلامِ، هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَىٰ كَوْنِهِ التُّكَأَةَ الَّتِي اعْتُمِدَ عَلَيْهَا لِتَعْطِيلِ صِفَاتِ الخَالِقِ، وَإِنْكَارِ حَقَائِقِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ - سُبْحَانَهُ -، وَلَيِّ عُنُقِ مَفْهُومِ الإِيمَانِ عَنْ دَلالَتِهِ وَمَعْنَاهُ، وَتَشْوِيشِ دَلالاتِ آيَاتِ الْكِتَابِ الحَكِيمِ فِي أَذْهَانِ عَامَّةِ المُسْلِمِينَ. وَسَوْفَ نُحَاوِلُ هُنَا الْوُقُوفَ عَلَىٰ أَهَمِّ هَذِهِ المَفَاسِدِ النَّاجِمَةِ عَنِ الْقَوْلِ بِهِ، وَإِقْرَارِ وُجُودِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلُغَةِ الْعَرَبِ، مُنَبِّهِينَ عَلَىٰ مَا لَهُ مِنْ أَخْطَارٍ، تَرَكَتْ بَصَمَاتِهَا وَاضِحَةً فِي مَجَالِ النَّيْلِ مِنْ أُصُولِ هَذَا الدِّينِ الحَنِيفِ، وَزَعْزَعَةً - بَلْ وَتَحْطِيمِ - مُرْتَكَزَاتِهِ المُثْلَىٰ بِاعْتِبَارِهِ الطَّاغُوتَ الرَّدِيفَ لِطَاغُوتَيِ: التَّأْوِيلِ، وَتَقْدِيمِ الْعَقْلِ عَلَىٰ النَّقْلِ وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهِ فِي مَجَالاتِ الْعَقِيدَةِ، وَالتَّشْرِيعِ، وَالتَّفْسِيرِ، وَالاجْتِهَادِ.

الْقَوْلُ بِالمَجَازِ بِدْعَةُ ضَلالَةٍ:

فَالْقَوْلُ بِالمَجَازِ بِدْعَةٌ مُحْدَثَةٌ، وَاصْطِلاحٌ حَادِثٌ، مَا عُرِفَ إِلاَّ بَعْدَ الْقُرُونِ الثَّلاثَةِ الأُولَىٰ المَشْهُودِ لَهَا بِالخَيْرِيَّةِ.

فَمَا نُقِيلَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ - وَلا مِنَ التَّابِعِينَ، وَلا مِنْ تَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ - أَنَّهُ قَالَ بِهِ، أَوْ أَشَارَ إِلَيْهِ.

كَمَا لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الأَئِمَّةِ المَشْهُورِينَ فِي الْعِلْمِ: كَأَبِي حَنِيفَةَ، وَمَالِكٍ، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ، أَوِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ.

وَقَدْ أُنْكِرَ الْمَجَازُ فِي الْقُرْآنِ، وَلُغَةِ الْعَرَبِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَمِمَّنْ أَنْكَرَهُ أَبُو إِسْحَاقَ

= بَلْ وَلا تَكَلَّمَ بِهِ – أَوِ الْتَفَتَ إِلَيْهِ – أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ: كَالْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ، وَسِيبَوَيْهِ، وَأَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلاءِ، وَالْكِسَائِيِّ، وَالْفَرَّاءِ، وَأَبِي زَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ، وَالأَصْمَعِيِّ، وأَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ.

وَأَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِلَفْظِ (الْمَجَازِ): أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ (١) بْنُ الْمُثَنَّىٰ الْمُتَوَفَّىٰ سَنَةَ (٢١٠ هـ)، صَنَّفَ بِعُنْوَانِ (مَجَازِ الْقُرْآنِ)، إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يَعْنِ بِهِ قَسِيمَ الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا عَنَىٰ بِمَجَازِ الآيَةِ: مَعْنَاهَا وَتَفْسِيرَهَا عَلَىٰ عَادَةِ غَيْرِهِ مِمَّنْ سَمَّىٰ كِتَابَهُ فِي فَهْمِ دِلالاتِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ (مَعَانِي الْقُرْآنِ)، لَيْسَ غَيْرُ. =

(١) أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ الْخَارِجِيُّ الْمَجَازِيُّ: وُلِدَ سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَةٍ، قَالَ عَنْهُ الذَّهَبِيُّ فِي «السِّيَرِ» (٩/ ٤٤٥): «لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ حَدِيثٍ، وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُهُ لِتَوَسُّعِهِ فِي عِلْمِ اللِّسَانِ، وَأَيَّامِ النَّاسِ».

وَقَالَ عَنْهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ – كَمَا فِي «الْمَعَارِفِ» (٥٤٣)، و«السِّيَرِ» (٩/ ٤٤٦) –: «كَانَ الْغَرِيبُ وَأَيَّامُ الْعَرَبِ أَغْلَبَ عَلَيْهِ، وَكَانَ لا يُقِيمُ الْبَيْتَ إِذَا أَنْشَدَهُ، وَيُخْطِئُ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ نَظَرًا، وَكَانَ يُبْغِضُ الْعَرَبَ، وَأَلَّفَ فِي مَثَالِبِهَا كُتُبًا، وَكَانَ يَرَىٰ رَأْيَ الْخَوَارِجِ».

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ – أَيْضًا – فِي «السِّيَرِ» (٩/ ٤٤٧): «قَالَ أَبُو حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيُّ: كَانَ يُكْرِمُنِي بُنَاءً عَلَىٰ أَنَّنِي مِنْ خَوَارِجِ سِجِسْتَانَ.

وَقِيلَ: كَانَ يَمِيلُ إِلَىٰ الْمُرْدِ؛ أَلا تَرَىٰ أَبَا نُوَاسٍ حَيْثُ يَقُولُ:

صَلَّىٰ الإِلَهُ عَلَىٰ لُوطٍ وَشِيعَتِهِ ... أَبَا عُبَيْدَةَ، قُلْ بِاللهِ آمِينَا

فَأَنْتَ عِنْدِي – بِلا شَكٍّ – بَقِيَّتُهُمْ ... مُنْذُ احْتَلَمْتَ، وَقَدْ جَاوَزْتَ سَبْعِينَا

قُلْتُ (أَيْ: الذَّهَبِيُّ): قَدْ كَانَ هَذَا الْمَرْءُ مِنْ بُحُورِ الْعِلْمِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ بِالْمَاهِرِ بِكِتَابِ اللهِ، وَلا الْعَارِفَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ – ﷺ –، وَلا الْبَصِيرِ بِالْفِقْهِ وَاخْتِلافِ أَئِمَّةِ الْمَذَاهِبِ، بَلْ كَانَ مُعَافًى فِي مَعْرِفَةِ حِكْمَةِ الأَوَائِلِ، وَالْمَنْطِقِ، وَأَقْسَامِ الْفَلْسَفَةِ، وَلَهُ نَظَرٌ فِي الْمَعْقُولِ، وَلَمْ يَقَعْ لَنَا شَيْءٌ مِنْ عَوَالِي رُوَايَتِهِ» اهـ.

قُلْتُ (أَيْ: فَيْصَلٌ): قَدْ عَرَفْتَ – أَخِي – حَالَ الرَّجُلِ وَانْحِرَافَهُ، وَعَرَفْتَ مِنْ أَيْنَ جَاءَ بِهَذِهِ الْبَلايَا، إِنَّمَا هِيَ مِنْ عِلْمِ الْكَلامِ، مِنْ حِكْمَةِ الأَوَائِلِ (كَسُقْرَاطَ وَبُقْرَاطَ)، وَالْمَنْطِقِ، وَأَقْسَامِ الْفَلْسَفَةِ، فَنَتَجَ عَنْ ذَلِكَ أَشْأَمُ مَوْلُودٍ عَلَىٰ أَهْلِهِ، اسْمُهُ الْمَجَازُ، وَهَذَا الْمَوْلُودُ نَشَأَ وَتَرَعْرَعَ فِي أَحْضَانِ الْفِرَقِ الْمُنْحَرِفَةِ: كَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالأَشَاعِرَةِ، وَالْمَاتُرِيدِيَّةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ، فَهُوَ الْكَهْفُ الثَّانِي الَّذِي يَفْزَعُونَ إِلَيْهِ – بَعْدَ عِلْمِ الْكَلامِ – عِنْدَمَا تُوَاجِهُهُمْ صَوَاعِقُ أَهْلِ السُّنَّةِ مَعَهُمْ، كَمَا قِيلَ:

وَإِنَّ عَنَاءً أَنْ تُفْهِمَ جَاهِلاً ... فَيَحْسَبُ – جَهْلاً – أَنَّهُ مِنْكَ أَعْلَمُ

مَتَىٰ يَبْلُغُ الْبُنْيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ ... إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرُكَ يَهْدِمُ؟!

الإِسْفِرَائِينِيُّ، وَالإِمَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي فَتَاوِيهِ، وَتَبِعَهُ تِلْمِيذُهُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي الصَّوَاعِقِ

---

= كَمَا وَرَدَ اسْتِعْمَالُ لَفْظِ (المَجَاز) عَلَىٰ لِسَانِ الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ الْمُتَوَفَّىٰ سَنَةَ (٢٤١هـ) فِي كِتَابِهِ «الرَّدُّ عَلَىٰ الجَهْمِيَّةِ وَالزَّنَادِقَةِ» (ص١٠١)، حَيْثُ قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «أَمَّا قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - لِمُوسَىٰ: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ١٥]، فَهَذَا مِنْ مَجَازِ اللُّغَةِ، يَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: إِنَّا سَنُجْرِي عَلَيْكَ رِزْقَكَ، إِنَّا سَنَفْعَلُ بِكَ كَذَا.

وأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، فَهُوَ جَائِزٌ فِي اللُّغَةِ، يَقُولُ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ لِلرَّجُلِ: سَأُجْرِي عَلَيْكَ رِزْقَكَ، أَوْ سَأَفْعَلُ بِكَ خَيْرًا».

وَوَاضِحٌ أَنَّ مُرَادَ أَحْمَدَ مِنِ اسْتِعْمَالِ لَفْظِ (المَجَاز): أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَجُوزُ فِي اللُّغَةِ: كَأَنْ يَقُولَ الْعَظِيمُ الَّذِي لَهُ أَعْوَانٌ: إِنَّا فَعَلْنَا كَذَا، وَسَوْفَ نَفْعَلُ كَيْتَ، لا أَنَّهُ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ، وأَنَّهُ خِلافُ الحَقِيقَةِ...، وَمِمَّا يُؤَكِّدُ مُرَادَهُ هَذَا قَوْلُهُ فِي التَّعْلِيقِ عَلَىٰ الآيَةِ الثَّانِيَةِ: «فَهُوَ جَائِزٌ فِي اللُّغَةِ»، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّهُ أَرَادَ بِـ(المجاز) الجَائِزَ لُغَةً، لا المَجَازَ بِمَدْلُولِهِ الاصْطِلاحِيِّ الَّذِي وَضَعَهُ الْمُتَأَخِّرُونَ، وَتَعَارَفُوا عَلَيْهِ.

وَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِالمَجَازِ - بِمَعْنَاهُ الاصْطِلاحِيِّ، الَّذِي هُوَ نَقِيضُ الحَقِيقَةِ - الْمُعْتَزِلَةُ، وَالجَهْمِيَّةُ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكَلامِ، اشْتَهَرَ الْقَوْلُ بِهِ عَنْهُمْ بَعْدَ المِائَةِ الرَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَلَيْسَ مِنْ بَيْنِ مَنْ قَالَ بِهِ مِنْهُمْ عَلَمٌ مِنْ أَعْلامِ الإِسْلامِ الَّذِينَ يُوثَقُ بِهِمْ فِي فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الإِسْلامِ الْمُخْتَلِفَةِ: كَالتَّفْسِيرِ، أَوِ الحَدِيثِ، أَوِ الْفِقْهِ، أَوْ عِلْمِ أُصُولِ الْفِقْهِ، أَوِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

فَدَلَّ هَذَا كُلُّهُ: عَلَىٰ أَنَّ الْقَوْلَ بِالمَجَازِ إِنَّمَا هُوَ بِدْعَةٌ اعْتِزَالِيَّةٌ مَحْضَةٌ، وَصَنْعَةٌ كَلامِيَّةٌ صِرْفَةٌ، اجْتُهِدَ فِي نَشْرِهَا، وَالتَّبْشِيرِ بِهَا، وَتَدْعِيمِ أُصُولِهَا، وَوَضْعِ قَوَاعِدِهَا بَعْدَ المِائَةِ الرَّابِعَةِ؛ لِتَحْقِيقِ أَغْرَاضٍ مَسْتُورَةٍ، تَلْتَقِي فِي نِهَايَتِهَا لِلْعَمَلِ عَلَىٰ زَعْزَعَةِ أُصُولِ هَذَا الدِّينِ، وَالنَّيْلِ مِنْ ثَوَابِتِهِ، وَصَرْفِ النَّاسِ عَنْ فَهْمِ هَذِهِ الأُصُولِ وَتِلْكُمُ الثَّوَابِتِ الْفَهْمَ السَّدِيدَ، مُوَاكِبَةً فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لِبِدْعَةٍ أُخْرَىٰ، ظَهَرَتْ هِيَ الأُخْرَىٰ مُتَزَامِنَةً مَعَهَا، مُوَافِقَةً لَهَا فِي المَصْدَرِ وَالنَّشْأَةِ، وَالمَنْهَجِ وَالْغَرَضِ، أَلا وَهِيَ: بِدْعَةُ التَّأْوِيلِ.

هَذَا... عِلْمًا بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي الْقَوْلِ بِالمَجَازِ وَالتَّأْوِيلِ، أَدْنَىٰ ذَرَّةِ خَيْرٍ - أَوْ أَدَقُّ شَعْرَةِ فَضْلٍ - لَكَانَ صُحْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرُونِ المُفَضَّلَةِ أَسْبَقَ النَّاسِ إِلَيْهِ بِاعْتِبَارِهِمُ السَّابِقِينَ - أَبَدًا - إِلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ وَفَضْلٍ، لا أَنْ يَكُونَ سَبَّاقًا إِلَيْهِ أَعْلاجُ عِلْمِ الْكَلامِ، وَصَيَارِفَةُ الْبِدَعِ، وَمُتَنَطِّعُو مَذْهَبِ الاعْتِزَالِ.

### تَعْطِيلُ الصِّفَاتِ:

ثُمَّ إِنَّ الْقَوْلَ بِالمَجَازِ قَادَ إِلَىٰ الْقَوْلِ بِتَعْطِيلِ صِفَاتِ الخَالِقِ - سُبْحَانَهُ -، وَقَدْ رَكِبَهُ المُعَطِّلُونَ لِلْوُصُولِ إِلَىٰ نَفْيِ صِفَاتِهِ - جَلَّ وَعَلا - الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَقَدْ جَعَلُوا يَدَ اللَّهِ، وَوَجْهَهُ، وَسَاقَهُ، =

الْمُرْسَلَةِ، حَيْثُ عَقَدَ فِيهِ فَصْلاً مُطَوَّلاً بِعُنْوَانِ ( فَصْلٌ فِي كَسْرِ الطَّاغُوتِ الثَّالِثِ

= واسْتِوَاءَهُ، وَنُزُولَهُ، وَعُلُوَّهُ، وَكَلامَهُ، وَنُورَهُ، وَمَجِيئَهُ... مَجَازَاتٍ، لا تُرَادُ بِهَا حَقَائِقُهَا، ثُمَّ انْطَلَقُوا إِلَىٰ نَفْيِهَا، قَائِلِينَ:

إِنَّهُ لا يَدَ لَهُ - سُبْحَانَهُ - وَلا سَاقَ، وَلا وَجْهَ، وَلا اسْتِوَاءَ، وَلا نُزُولَ، وَلا عُلُوَّ، قَالُوا: وَيَدُ اللهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿بَل يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المَائِدَةُ: ٦٤] - مَجَازٌ، هِيَ بِمَعْنَىٰ: النِّعْمَةِ أَوِ الْقُدْرَةِ. وَوَجْهُهُ - جَلَّ جَلالُهُ - حَيْثُ وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَجَازٌ: إِمَّا عَلَىٰ تَقْدِيرِ أَنَّهُ لَفْظٌ زَائِدٌ، أَوْ أَنَّهُ بِمَعْنَىٰ الذَّاتِ، فَفِي قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَن: ٢٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [اللَّيْلُ: ٢٠ - ٢١] - يَكُونُ التَّقْدِيرُ: وَيَبْقَىٰ رَبُّكَ. وَإِلاَّ ابْتِغَاءَ رَبِّهِ، أَوْ: وَيَبْقَىٰ ذَاتُ رَبِّكَ، وَابْتِغَاءَ ذَاتِهِ.

وَالرَّحْمَنُ... الَّذِي هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ - سُبْحَانَهُ - قَالُوا عَنْهُ: إِنَّهُ مَجَازٌ؛ لأَنَّ الرَّأْفَةَ وَالشَّفَقَةَ وَالرَّحْمَةَ إِنَّمَا هِيَ رِقَّةٌ تَعْتَرِي الْقَلْبَ، وَهِيَ الْكَيْفِيَّاتُ النَّفْسِيَّةُ، وَاللهُ مُنَزَّهٌ عَنْهُ ذَلِكَ.

يَقُولُونَ هَذَا، وَاللهُ - تَعَالَىٰ - يَقُولُ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأَعْرَافُ: ١٨٠]، وَهَلْ هُنَا إِلْحَادٌ فِي أَسْمَاءِ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ إِنْكَارِ حَقَائِقِهَا، وَالتَّصْرِيحِ بِأَنَّهَا مَجَازَاتٌ؟!.

قَالُوا: وَالْمَجِيءُ الْوَارِدُ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الْفَجْرُ: ٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢١٠] - إِنَّمَا هُوَ مِنْ مَجَازِ الْحَذْفِ، وَتَقْدِيرُهُ: وَجَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ. وَالاسْتِوَاءُ الْوَارِدُ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. - مَجَازٌ، بِمَعْنَىٰ اسْتَوْلَىٰ، أَوْ بِمَعْنَىٰ: قَصَدَ وَأَقْبَلَ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَلَيْسَ هُوَ الاسْتِوَاءُ الَّذِي بِمَعْنَىٰ: اسْتَقَرَّ؛ لأَنَّ الاسْتِوَاءَ - بِهَذَا الْمَعْنَىٰ - لا يَكُونُ إِلاَّ لِلْمَخْلُوقِينَ. وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ اللهُ نُوراً فِي قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النُّورُ: ٣٥]، وَقَالُوا: هَذَا مَجَازٌ مَعْنَاهُ: مُنَوِّرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بِالنُّورِ الْمَخْلُوقِ، أَوْ بِمَعْنَىٰ: هَادِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ (النُّورَ) اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ، فَهُوَ نُورٌ وَحِجَابُهُ النُّورُ، وَهَذَا مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الآيَاتُ الْكَرِيمَةُ، وَالأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيحَةُ الثَّابِتَةُ.

كَمَا أَنْكَرُوا صِفَةَ الْفَوْقِيَّةِ وَالْعُلُوِّ لِلْخَالِقِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - فِي قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأَنْعَامُ: ١٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النَّحْلُ: ٥٠] قَائِلِينَ: هِيَ مَجَازٌ بِمَعْنَىٰ: فَوْقِيَّةِ الرُّتْبَةِ وَالْقَهْرِ، لا بِمَعْنَىٰ: الْفَوْقِيَّةِ الَّتِي هِيَ عُلُوُّ ذَاتِ الشَّيْءِ.

وَفِي قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً﴾ [النِّسَاءُ: ١٦٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] - أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ (كَلامَ اللهِ) بِصَوْتٍ وَحَرْفٍ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ، وَقَالُوا: =

الَّذي وَضَعَتْهُ الْجَهْمِيَّةُ لِتَعْطِيلِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهُوَ طَاغُوتُ الْمَجَازِ )، وَقَدْ ذَكَرَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ وَجْهًا فِي إِبْطَالِ حُجَجِ الْقَائِلِينَ بِالْمَجَازِ، وكَشَفَ

= بَلْ هُوَ مَجَازٌ، إذْ أَنَّ اللهَ لا يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ وَحَرْفٍ، وَإِلاَّ أَشْبَهَ المَخْلُوقِينَ، بَلْ هُوَ خَلَقَ كَلامًا أَسْمَعَهُ مُوسَىٰ.

أَمَّا فِي قَوْلِه – ﷺ –: «يَنْزِلُ رَبُّنَا – تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ – كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١١٤٥)، وَمُسْلِمٌ (٧٥٨)] – فَقَدْ قَالُوا: إِنَّ النُّزُولَ المُرَادَ هُنَا: إِنَّمَا هُوَ نُزُولُ أَمْرِهِ – سُبْحَانَهُ – لا نُزُولُهُ هُوَ؛ لأَنَّ لَفْظَ (يَنْزِلُ) هُنَا مَجَازٌ، لا حَقِيقَة.

وَهَكَذَا مَضَوْا فِي نَفْيِ الصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ لِلْخَالِقِ – سُبْحَانَهُ – بِالْوَحْيِ عَنْ طَرِيقِ الْقَوْلِ بِالمَجَازِ، وَحُجَّتُهُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّه: أَنَّ الأَلْفَاظَ الَّتِي تُطْلَقُ عَلَىٰ الخَالِقِ وَالمخْلُوقِ، إِنَّمَا تَكُونُ هِيَ، وَأَفْعَالُهَا، وَمَصَادِرُهَا، وَأَسْمَاءُ الْفَاعِلِينَ، وَالصِّفَاتُ المُشْتَقَّةُ مِنْهَا – حَقِيقَةً فِي حَقِّ المَخْلُوقِ، مَجَازًا فِي حَقِّ الخَالِقِ، وَلَوْ اطَّرَدَ هَذَا الْقِيَاسُ، فَإِنَّ رَبَّ الْعَالمِينَ لا يَكُونُ مَوْجُودًا حَقِيقَةً، وَلا حَيًّا حَقِيقَةً، وَلا مُرِيدًا حَقِيقَةً، أَوْ قَادِرًا، أَوْ مَالِكًا عَلَىٰ الحَقِيقَةِ؛ لأَنَّ الوُجُودَ، وَالحَيَاةَ، وَالإِرَادَةَ، وَالْقُدْرَةَ، وَالمُلْكَ – هِيَ حَقَائِقُ فِي حَقِّ المَخْلُوقِينَ، فَلا تَكُونُ إِلاَّ مَجَازَاتٍ فِي حَقِّ خَالِقِ هَؤُلاءِ المَخْلُوقِينَ.

وَهَذَا هُوَ عَيْنُهُ المَذْهَبُ الَّذِي صَارَ إِلَيْهِ جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ، وَدَرَجَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

وَفِي الحَقِّ إِنَّ كُلَّ مَنْ يُمْعِنُ النَّظَرَ فِي حَقِيقَةِ المَجَازِ وَمَآلِه يَجِدُ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لازِمٌ لِكُلِّ مَنِ ادَّعَىٰ المَجَازَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ وَأَفْعَالِه لُزُومًا لا مَحِيصَ لَهُ عَنْهُ بِحَالٍ. قَالَ الإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ – رَحِمَهُ اللهُ – تَعْلِيقًا عَلَىٰ هَذَا الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ – «مُخْتَصَرُ الصَّوَاعِق» (٢ / ٢٨٦) –: «فَإِذَا كَانَ كَلامُ اللهِ، وَتَكْلِيمُهُ، وَخِطَابُهُ، وَنِدَاؤُهُ، وَقَوْلُهُ، وَأَمْرُهُ، وَنَهْيُهُ، وَوَصِيَّتُهُ، وَعَهْدُهُ، وَحُكْمُهُ، وَإِنْبَاؤُهُ، وَإِخْبَارُهُ، وَشَهَادَتُهُ كُلُّ أُولَئِكَ مَجَازًا، لا حَقِيقَةَ لَهُ – بَطَلَتِ الحَقَائِقُ كُلُّهَا –؛ فَإِنَّ الحَقَائِقَ إِنَّمَا حَقَّتْ بِكَلِمَاتِ تَكْوِينِه: ﴿وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يُونُس: ٨٢]؛ فَمَا حَقَّتِ الحَقَائِقُ إِلاَّ بِقَوْلِه وَفِعْلِه – سُبْحَانَهُ –» اهـ.

### تَحْطِيمُ مَدْلُولِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ:

كَمَا وَإِنَّ الْقَوْلَ بِالمَجَازِ يُؤَدِّي إِلَىٰ: المَسَاسِ بِمَفْهُومِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَالتَّشْكِيكِ فِي دِلالَتِهَا، وَزَعْزَعَةِ مَا تَرْمِي إِلَيْهِ مِنْ حَقَائِقَ، وَدِلالاتٍ، وَمَعَانٍ.

قَالُوا: إِنَّ كُلَّ عَامٍّ إِذَا خُصَّ صَارَ مَجَازًا، وَلَوْ كَانَ التَّخْصِيصُ بِطَرِيقَةِ الاسْتِثْنَاءِ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ (لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) مَجَازٌ، بِاعْتِبَارِهَا عُمُومًا قَدْ خُصَّ بِطَرِيقِ الاسْتِثْنَاءِ، فَهِيَ لَيْسَتْ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَنْطُوقِهَا، وَدِلالَةِ لَفْظِهَا.

=

عَوَارَهُ، وَمَا لَهُ مِنْ سَيِّئِ الأَثَرِ عَلَىٰ عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِ، وَتَوْجِيهِ آيَاتِ اللهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ.

---

= وَهُمْ بِذَلِكَ فَاقُوا - فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ أُولَئِكَ قَدِ اعْتَرَفُوا بِاللهِ رَبًّا وَخَالِقًا، إِلاَّ أَنَّهُمْ رَفَضُوا الإِذْعَانَ لِمَدْلُولِ «لا إِلَهَ»، فَأَقَرُّوا بِوُجُودِ آلِهَةٍ أُخْرَىٰ مَعَ اللهِ، فِي حِينِ أَنَّ هَؤُلاءِ جَعَلُوا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ بِرُمَّتِهَا مَحْمُولَةً عَلَىٰ الْمَجَازِ.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مِنْ عَلامَاتِ الْمَجَازِ: صِحَّةَ نَفْيِهِ، وَنَقْصَ دَرَجَةِ دِلالَتِهِ عَنْ دَرَجَةِ دِلالَةِ الْحَقِيقَةِ.

ثُمَّ إِنَّ بَعْضَهُمْ ذَهَبَ إِلَىٰ: أَنَّ (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ) مَجَازٌ - أَيْضًا -، كَيْفَ؟!.

ذَلِكَ أَنَّ لَفْظَ (رَسُول) قُيِّدَ بِطَرِيقِ الإِضَافَةِ، وَكُلُّ مُقَيَّدٍ - عِنْدَهُمْ - مَجَازٌ؛ لأَنَّ اللَّفْظَ إِنَّمَا وُضِعَ أَصْلاً مُطْلَقًا لا مُقَيَّدًا، وَاسْتِعْمَالُهُ مُقَيَّدًا اسْتِعْمَالٌ لَهُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ، كَاللَّفْظِ الْعَامِّ إِذَا خُصَّ سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ، فَهَذَا صَارَ - بِتَخْصِيصِهِ - مَجَازًا، كَمَا صَارَ هَذَا - بِتَقْيِيدِهِ - مَجَازًا - أَيْضًا -، وَبِذَا تَوَصَّلُوا إِلَىٰ تَحْطِيمِ مَدْلُولِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَالاتِّبَاعِ بِشِقَّيْهَا: (لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ)، و(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ)!.

وَكَفَىٰ بِالْمَجَازِ فَسَادًا إِيصَالُهُ أَصْحَابَهُ وَالْقَائِلِينَ بِهِ إِلَىٰ هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ التَّنَطُّعِ وَالْغُلُوِّ وَالانْحِرَافِ.

### قَصْرُ (الإِيمَانِ) عَلَىٰ التَّصْدِيقِ:

ثُمَّ إِنَّهُمْ - عَنْ طَرِيقِ قَوْلِهِمْ بِالْمَجَازِ - قَصَرُوا مَفْهُومَ (الإِيمَانِ) عَلَىٰ التَّصْدِيقِ، وَأَخْرَجُوا مِنْ مُسَمَّاهُ الْعَمَلَ.

قَالُوا: فَلَفْظُ «الإِيمَانِ» يَدُلُّ عَلَىٰ التَّصْدِيقِ حَقِيقَةً، وَمَا دِلالَتُهُ عَلَىٰ الأَعْمَالِ إِلاَّ بِطَرِيقِ الْمَجَازِ، وَبِذَلِكَ فَرَّغُوا «الإِيمَانَ» مِنْ مُحْتَوَاهُ، وَخَالَفُوا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ الصَّرِيحَةُ الصَّحِيحَةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَحُجَّتُهُمْ فِي ذَلِكَ: أَنَّ لَفْظَ «الإِيمَانِ» لُغَةً: التَّصْدِيقُ، وَهُوَ الْعِلْمُ، وَمَحَلُّهُ الْقَلْبُ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يُوسُف: ١٧]، أَيْ: بِمُصَدِّقٍ لَنَا، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الإِيمَانُ فِي الشَّرْعِ هُوَ الإِيمَانَ الْمَعْرُوفَ فِي اللُّغَةِ، وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ الْجَهْمِيَّةِ، وَسَائِرِ الْمُعْتَزِلَةِ.

وَالْجَوَابُ عَلَىٰ هَذَا: إِنَّنَا لَمْ نَسْمَعْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ السَّابِقِينَ أَنَّهُ نَقَلَ عَنِ الْعَرَبِ إِجْمَاعَهُمْ عَلَىٰ أَنَّ الإِيمَانَ إِنَّمَا هُوَ بِمَعْنَىٰ التَّصْدِيقِ، بَلْ إِنَّ هَؤُلاءِ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ، إِنَّمَا يَنْقُلُونَ الْكَلامَ الْمَسْمُوعَ مِنَ الْعَرَبِ فِي زَمَانِهِمْ، وَمَا سَمِعُوهُ مِنْ دَوَاوِينِ أَشْعَارِهِمْ، لا أَنَّهُمْ يَنْقُلُونَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: هَذَا اللَّفْظُ لَيْسَ مَعْنَاهُ إِلاَّ كَذَا وَكَذَا، وَلَوْ قُدِّرَ - جَدَلاً - أَنَّهُمْ نَقَلُوا عَنْهُمْ مَا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الإِيمَانَ مَعْنَاهُ: التَّصْدِيقُ، فَإِنْ نَقَلَ الْمُسْلِمِينَ كَافَّةً - وَبِالْخَبَرِ الْمُتَوَاتِرِ - لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَكَلامِ الْمُصْطَفَىٰ - ﷺ - لا شَكَّ أَبْلَغُ مِنْ جَمِيعِ نُقُولِهِمْ، وَقَدْ دَلَّتْ آيَاتُ الْقُرْآنِ، وَالأَحَادِيثُ الشَّرِيفَةُ عَلَىٰ أَنَّ مَدْلُولَ الإِيمَانِ مُتَضَمِّنٌ لِلْعَمَلِ: =

١ - قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١ - ١١]، فَقَدْ سَاقَ - سُبْحَانَهُ - مَجْمُوعَةً مِنَ الأَعْمَالِ، وَجَعَلَهَا عُمْدَةً إِيمَانِ الْمُؤْمِنِ، وَدَلِيلَ فَلَاحِهِ فِي الدَّارَيْنِ.

٢ - وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السَّجْدَة: ١٥]، فَنَفَىٰ الإِيمَانَ عَنْ غَيْرِ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ كَانَ إِذَا ذُكِّرَ بِالْقُرْآنِ لَا يَفْعَلُ مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ السُّجُودِ وَالتَّسْبِيحِ، وَاتِّصَافِهِمْ بِعَدَمِ الاسْتِكْبَارِ، وَهَذِهِ كُلُّهَا أَعْمَالٌ دَاخِلَةٌ فِي صَمِيمِ مُسَمَّىٰ: «الإِيمَان».

٣ - وَقَالَ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الْمُجَادَلَة: ٢٢]، فَجَعَلَ مِنَ «الإِيمَان» عَدَمَ مُوَادَّةِ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَالرُّكُونِ إِلَيْهِمْ.

٤ - وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: «إِنَّ مَاتَ عَلَىٰ الْقِبْلَةِ - قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ - رِجَالٌ وَقُتِلُوا، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [الْبَقَرَة: ١٤٣]» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠)].

فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - الصَّلَاةَ مِنَ الإِيمَانِ؛ لأَنَّ مَعْنَىٰ الآيَةِ: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ صَلَاتَكُمُ، الَّتِي كُنْتُمْ تَتَوَجَّهُونَ فِيهَا إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَبْلَ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ إِلَىٰ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ.

كَمَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ تُفِيدُ أَنَّ «الْعَمَلَ» مِنَ «الإِيمَان»:

١ - فَقَدْ قَالَ - ﷺ -: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**» [مُسْلِمٌ (١/ ٤٦)].

٢ - وَقَالَ - ﷺ -: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِجَارِهِ - أَوْ لأَخِيهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٣)، وَمُسْلِمٌ (١/ ٤٩)].

٣ - وَقَالَ - ﷺ -: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ - يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ - حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٤٧٥)، وَمُسْلِمٌ (١/ ٥٤)].

فَجَعَلَ - ﷺ - قَوْلَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِمَاطَةَ الأَذَىٰ، وَالْحَيَاءَ، وَمَحَبَّةَ الْمُسْلِمِ وَالْجَارِ، وَتَجَنُّبَ الْكَبَائِرِ: مِنَ الزِّنَا، وَالسَّرِقَةِ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَالنُّهْبَىٰ - كُلَّ أُولَئِكَ مِنَ الإِيمَانِ، وَهِيَ جُمْلَةُ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ.

= وَمِنْ هُنَا كَفَّرَ الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَوَكِيعُ بْنُ الجَرَّاحِ - شَيْخُ الشَّافِعِيِّ - مَنْ قَالَ: إِنَّ الإِيمَانَ هُوَ التَّصْدِيقُ فَقَطْ. [مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ (٧ / ١٢٠)].

وَقَدْ ضَرَبَ الْقَائِلُونَ بِالمَجَازِ بِكُلِّ هَذِهِ الأَدِلَّةِ عُرْضَ الحَائِطِ، وَذَهَبُوا يَعْتَمِدُونَ عَلَىٰ مُغَالَطَاتٍ ذِهْنِيَّةٍ بَارِدَةٍ لِلتَّدْلِيلِ عَلَىٰ أَنَّ الإِيمَانَ إِنَّمَا هُوَ التَّصْدِيقُ فَقَطْ، وَأَنَّ الْعَمَلَ لا يَدْخُلُ فِي مُسَمَّاهُ إِلاَّ بِطَرِيقِ المَجَازِ. وَهِيَ مَهْزَلَةٌ مُذْهِلَةٌ وَبَارِدَةٌ، جَنَتْ عَلَىٰ الإِسْلامِ، وَحَطَّمَتْ أَصْلَ أُصُولِهِ، وَأَرْسَىٰ دَعَائِمِهِ.

## صَرْفُ أَلْفَاظِ الْوَحْيِ عَنْ دِلالاتِهَا الحَقِيقِيَّةِ:

وَالْقَوْلُ بِالمَجَازِ يُؤَدِّي إِلَىٰ صَرْفِ أَلْفَاظِ الْوَحْيِ بِشِقَّيْهِ: الإِلَهِيِّ، وَالنَّبَوِيِّ، عَنْ دِلالاتِهَا الحَقِيقِيَّةِ الَّتِي مَا جِيءَ بِهَا إِلاَّ لِتَأْدِيَةِ مَعَانِيهَا عَنْ طَرِيقِهَا.

فَقَوْلُهُمْ: إِنَّ أَكْثَرَ أَلْفَاظِ اللُّغَةِ مَجَازٌ، وَكَذَلِكَ عَامَّةُ أَفْعَالِهَا: كَقَامَ، وَقَعَدَ، وَانْطَلَقَ، وَجَاءَ؛ لأَنَّ الْفِعْلَ يُسْتَفَادُ مِنْهُ الدِّلالَةُ عَلَىٰ اسْتِغْرَاقِ الجِنْسِ، فِي حِينِ أَنَّ الْفَاعِلَ لا يَكُونُ مِنْهُ تَأْدِيَةَ مَا يَسْتَغْرِقُ الْفِعْلَ.

فَمَثَلاً فِعْلُ «قَامَ» يَدُلُّ عَلَىٰ: اسْتِغْرَاقِ جِنْسِ الْقِيَامِ، وَالجِنْسُ يُطْلَقُ عَلَىٰ جَمِيعِ المَاضِي، وَجَمِيعِ الحَاضِرِ، وَجَمِيعِ الأُمُورِ الْكَائِنَاتِ، وَمِنْ كُلِّ مَنْ وُجِدَ مِنْهُ الْقِيَامَ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لا يَجْتَمِعُ لإِنْسَانٍ وَاحِدٍ - فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَلا فِي مِئَةِ أَلْفِ سَنَةٍ - جَمِيعُ الْقِيَامِ الدَّاخِلُ تَحْتَ مَضْمُونِ دِلالَةِ الْفِعْلِ «قَامَ».

وَإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ، عَلِمْتَ أَنَّ «قَامَ زَيْدٌ» مَجَازٌ؛ لأَنَّ زَيْدًا هَذَا - عِنْدَمَا قَامَ - لَمْ يَسْتَطِعْ أَدَاءَ الْقِيَامِ بِصُورَتِهِ الاسْتِغْرَاقِيَّةِ المُثْلَىٰ، وَلَنْ يَسْتَطِيعَ مَهْمَا حَاوَلَ وَأَجْلَبَ، فَكَانَ قَوْلُنَا عَنْهُ: بِأَنَّهُ «قَامَ» مَجَازًا.

وَعَلَيْهِ يَكُونُ قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ**﴾ [التَّوْبَة: ٣٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿**فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ**﴾ [الْبَقَرَة: ٢١٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿**خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: ٤٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ [آلَ عِمْرَان: ٦]، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ فِعْلِهِ - سُبْحَانَهُ -، إِنَّمَا تَكُونُ كُلُّهَا - بِحَسَبِ مَفْهُومِهِمْ - مَجَازًا.

قَالُوا: وَكَذَلِكَ أَفْعَالُ اللهِ - سُبْحَانَهُ - نَحْوَ: ﴿**خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾، وَمَا كَانَ مِثْلُهُ، أَلا تَرَىٰ أَنَّهُ - عَزَّ اسْمُهُ - لَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ خَلَقَ أَفْعَالَنَا، وَلَوْ كَانَ خَالِقًا حَقِيقَةً لا مَحَالَةَ، لَكَانَ خَالِقُ الْكُفْرِ، وَالْعُدْوَانِ، وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَفْعَالِنَا، أَلا تَرَىٰ أَنَّ قَوْلَكَ: «ضَرَبْتُ عَمْرًا» مَجَازٌ؛ لأَنَّكَ إِنَّمَا فَعَلْتَ بَعْضَ الضَّرْبِ لا جَمِيعَهُ، أَلا تَرَاكَ تَقُولُ ذَلِكَ، وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا ضَرَبْتَ يَدَهُ، أَوْ أُصْبُعَهُ، أَوْ نَاحِيَةً مِنْ نَوَاحِي =

= جَسَدِهِ؛ وَلِهَذَا إِذَا احْتَاطَ الإِنْسَانُ جَاءَ بِبَدَلِ الْبَعْضِ، وَقَالَ: ضَرَبْتُ زَيْدًا رَأْسَهُ» [هَذَا الْكَلامُ قَالَهُ ابْنُ جِنِّيٍّ، وَنَقَلَهُ عَنْهُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «مُخْتَصَرِ الصَّوَاعِقِ» (٢/ ٧٦ – ٧٧)].

قُلْتُ: وَبِذَلِكَ تُصْبِحُ أَلْفَاظُ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَكَلامُ الْمُصْطَفَى – ﷺ – مَجَازَاتٍ، لا تَدُلُّ عَلَى حَقَائِقِهَا بِحَالٍ، فَتَصِيرُ كَلِمَاتُ اللهِ، وَكَلامُ نَبِيِّهِ لَيْسَ أَكْثَرَ مِنْ تَمْتَمَاتٍ لا مُرَادَاتَ لَهَا، فَنَتَخَلَّصُ بِالتَّالِي مِنْ تَكَالِيفِهَا، وَنُطْلِقُ الْعِنَانَ لأَنْفُسِنَا نَفْعَلُ مَا نَشَاءُ، وَنَقُولُ مَا نَشَاءُ، مَا دَامَ أَنَّهُ لَيْسَ أَمَامَنَا مَا يُلْزِمُنَا بِفِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ مُعَيَّنَيْنِ، أَوْ يَصْرِفُنَا عَنْ شَيْءٍ مِنَ الأَفْعَالِ وَالأَقْوَالِ، فَكُلُّ الأَلْفَاظِ مَجَازَاتٌ لا دَلالَةَ لَهَا، وَلا مَضْمُونَ وَلا مُحْتَوَى، وَبِذَا نَصِلُ إِلَى تَفْرِيغِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مِنْ مُحْتَوَاهُمَا، وَنُصَيِّرُ مِنْهُمَا مُجَرَّدَ تَرَاتِيلَ وَتِلاوَاتٍ تُتْلَى لِمُجَرَّدِ التَّبَرُّكِ، لَيْسَ غَيْرُ.

قَالُوا: «وَالتَّوْكِيدُ عَلامَةٌ مِنْ عَلامَاتِ الْمَجَازِ؛ وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قَوْلَهُ – تَعَالَى – : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٦٤] مَجَازٌ بِدَلِيلِ تَوْكِيدِهِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ – تَعَالَى – عَنْ بِلْقِيسَ مَلِكَةِ سَبَأ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النَّمْلُ: ٢٣] فَهُوَ مَجَازٌ بِدَلِيلِ اسْتِخْدَامِ التَّوْكِيدِ بـ(كُلٍّ)، وَهِيَ لَمْ تُؤْتَ لِحْيَةَ رَجُلٍ وَلا ذَكَرَهُ.

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ – أَيْضًا – : ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزُّمَرُ: ٦٢] فَمَجَازٌ، فَهُوَ – سُبْحَانَهُ – شَيْءٌ، وَهُوَ مِمَّا يَسْتَثْنِيهِ الْعَقْلُ بِبَدِيهَتِهِ، وَلا يَحُوجُ إِلَى التَّشَاغُلِ بِاسْتِثْنَائِهِ، فَإِنَّ الشَّيْءَ – كَائِنًا مَا كَانَ – لا يَخْلُقُ نَفْسَهُ». [انْظُرْ أَقْوَالَهُمْ هَذِهِ – وَغَيْرَهَا – فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُمُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي كِتَابِهِ «الصَّوَاعِقُ الْمُرْسَلَةُ» (٢/ ٨٢)].

وَقَدْ بَلَغَ بِهِمُ الْحَدُّ فِي التَّمَحُّلِ أَنْ قَالُوا: قَوْلُكَ: «قَطَعَ الأَمِيرُ اللِّصَّ» مَجَازٌ؛ لأَنَّ الْقَطْعَ قَدْ يَكُونُ بِأَمْرِهِ لا بِيَدِهِ، فَإِذَا قُلْتَ: «قَطَعَ الأَمِيرُ نَفْسُهُ اللِّصَّ» رَفَعْتَ الْمَجَازَ مِنْ جِهَةِ الْفَاعِلِ، وَصِرْتَ إِلَى الْحَقِيقَةِ، وَلَكِنْ بَقِيَ عَلَيْكَ التَّجْوِيزُ فِي مَكَانٍ آخَرَ، وَهُوَ جِهَةُ اللِّصِّ، فَإِنَّمَا قَطَعَ مِنْهُ يَدَهُ، أَوْ رِجْلَهُ، لا كُلَّهُ، فَإِذَا احْتَطْتَ قُلْتَ: «قَطَعَ الأَمِيرُ نَفْسُهُ يَدَ اللِّصِّ»، وَهَذَا – أَيْضًا – مَجَازٌ، وَلَكِنْ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَهِيَ أَنَّ الْيَدَ اسْمٌ لِلْعُضْوِ إِلَى الْمَنْكِبِ، وَالأَمِيرُ لَمْ يَقْطَعْهَا كُلَّهَا، وَإِنَّمَا قَطَعَ بَعْضَهَا، فَإِذَا احْتَطْتَ قُلْتَ: «قَطَعَ الأَمِيرُ نَفْسُهُ يَدَ اللِّصِّ مَا بَيْنَ الْكُوعِ وَالأَصَابِعِ»، وَهَذَا – أَيْضًا – مَجَازٌ مِنْ جِهَةِ أَنَّكَ سَمَّيْتَهُ: لِصًّا، وَذَلِكَ يَقْتَضِي اسْتِغْرَاقَ جَمِيعِ أَفْرَادِ اللُّصُوصِيَّةِ، وَهُوَ مُحَالٌ بِاعْتِبَارِكَ أَوْقَعْتَ الْبَعْضَ عَلَى الْكُلِّ، فَإِنِ احْتَطْتَ قُلْتَ: «قَطَعَ الأَمِيرُ نَفْسُهُ يَدَ مَنْ وَجَدَ مِنْهُ بَعْضَ اللُّصُوصِيَّةِ مَا بَيْنَ الْكُوعِ إِلَى الأَصَابِعِ»!، وَهَذَا مَجَازٌ – أَيْضًا – مِنْ جِهَةِ أَنَّ الْفِعْلَ «قَطَعَ» دَالٌّ عَلَى جَمِيعِ أَفْرَادِ الْجِنْسِ قَاطِبَةً، مِنْ لَدُنْ آدَمَ – عَلَيْهِ السَّلام – إِلَى آخِرِ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْبَشَرِيَّةِ، إِذْ هُوَ – فِي الْحَقِيقَةِ – وَاقِعٌ عَلَى =

= فَرْدٍ وَاحِدٍ مِنْ أَفْرَادِه، لا عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ، فَإِذَا أَرَدْتَ الاحْتِيَاطَ لِهَذِه المَسْأَلَة، فَعَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ تَحْدِيداً: «أَوْقَعَ الأَمِيرُ نَفْسُهُ فَرْداً مِنْ أَفْرَادِ الْقَطْعِ عَلَىٰ يَدِ وَاحِدٍ مِمَّنْ وَجَدَ مِنْهُ بَعْضَ اللُّصُوصِيَّةِ، مَا بَيْنَ الْكُوعِ إِلَىٰ الأَصَابِعِ».. وَبِذَا - فَقَطْ - تَتَحَوَّلُ الْعِبَارَةُ مِنْ حَيِّزِ المَجَازِ إِلَىٰ حَيِّزِ الحَقِيقَةِ!!.

فَهَلْ بَقِيَ سُخْفٌ أَبْعَدُ شَأْواً مِنْ هَذَا السُّخْفِ؟!!، وَهَلْ هُنَاكَ تَمَحُّلٌ أَبْلَغُ سَمَاجَةً مِنْ مِثْلِ هَذَا التَّمَحُّلِ؟!.

**المَجَازُ سُلَّمُ الْبَاطِنِيَّة:**

ثُمَّ إِنَّ المَجَازَ - وَرَدِينَهُ التَّأْوِيلَ - هُوَ السُّلَّمُ الَّذِي اعْتَلَتْهُ الْفِرَقُ الْبَاطِنِيَّةُ مِنْ أَجْلِ بُلُوغِ أَغْرَاضِهَا، وَالتُّكَأَةُ الَّتِي اعْتَمَدَتْ عَلَيْهَا لِزَخْرَفَةِ أَفْكَارِهَا، وَعَرْضِهَا عَلَىٰ النَّاسِ بِصُورَةٍ جَمِيلَةٍ مُسْتَحْسَنَةٍ بُغْيَةَ التَّدْلِيسِ عَلَيْهِمْ، وَبِالتَّالِي إِيقَاعِهِمْ فِي شِرْكِ حَبَائِلِهَا الجَهَنَّمِيَّةِ الضَّالَّة.

قَالُوا: «لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» مَجَازٌ، لا يَدُلُّ عَلَىٰ ظَاهِرِ لَفْظِه، وَإِنَّمَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَىٰ الأَئِمَّةِ السَّبْعَة، و«لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» اثْنَا عَشَرَ حَرْفًا، دَلِيلٌ عَلَىٰ الحُجَجِ الاثْنَتَيْ عَشْرَة.

وَكَذَا (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) تِسْعَةَ عَشَرَ حَرْفًا، هِيَ دَلِيلٌ عَلَىٰ سَبْعَةِ الأَئِمَّة، وَالاثْنَتَيْ عَشْرَةَ حُجَّةً (١).

قَالُوا: وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هُوَ تَعْبِيرُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - عَنِ المَعَارِفِ الَّتِي فَاضَتْ عَلَيْه، وَمُرَكَّبٌ مِنْ جِهَتِه، وَقَدْ سُمِّيَ «كَلامَ اللهِ» مَجَازًا!!.

وَقَالُوا بِإِبْطَالِ الْقَوْلِ بِالمَعَادِ وَالْعِقَابِ، وَأَنْكَرُوا الجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَمَا الجَنَّةُ إِلاَّ نَعِيمُ الدُّنْيَا، وَمَا الْعَذَابُ إِلاَّ اشْتِغَالُ أَصْحَابِ الشَّرَائِعِ بِالصَّلاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ، وَالجِهَاد(٢).

ثُمَّ انْتَقَلُوا إِلَىٰ التَّكَالِيفِ وَالْمُصْطَلَحَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْيَقِينِيَّةِ، فَأَعْمَلُوا فِيهَا مَعَاوِلَ المَجَازِ وَالتَّأْوِيلِ، فَغَدَتْ رُمُوزاً إِلَىٰ بَوَاطِنَ لا أَكْثَرَ.

فَالجَنَابَةُ - مَثَلاً - هِيَ: مُبَادَرَةُ الْمُسْتَجِيبِ بِإِفْشَاءِ مَا أُلْقِيَ إِلَيْهِ مِنْ أَسْرَارٍ.

وَالْغُسْلُ: تَجْدِيدُ الْعَهْدِ عَلَىٰ فِعْلِ ذَلِكَ.

وَالصِّيَامُ: الإِمْسَاكُ عَنْ كَشْفِ الأَسْرَارِ.

وَالجِهَادُ: صَبُّ اللَّعَنَاتِ عَلَىٰ الْخُصُومِ.

وَالْبَعْثُ: الاهْتِدَاءُ إِلَىٰ مَذْهَبِهِمُ الْبَاطِنِ. =

(١) انْظُرْ «بَيَان مَذْهَب الْبَاطِنِيَّة وَبُطْلانه» محمد الحسن الدَّيْلَميّ (ص٤١، ٤٣).

(٢) انْظُرْ «المَوْسُوعَةُ الْمُيَسَّرَةُ فِي الأَدْيَانِ وَالمَذَاهِبِ المُعَاصِرَة» (ص ٣٩٦ - ٣٩٧). الطبعة الأولىٰ (١٤٠٩هـ).

= وَالزَّكَاةُ: بَثُّ الْعُلُومِ لأَهْلِ مَذْهَبِهِمْ وَدِينِهِمْ، يَتَزَكَّونَ بِهَا (١).

أَمَّا أَلْفَاظُ الْقُرْآنِ فَجَمِيعُهَا مَجَازَاتٌ، تَخْضَعُ لِتَأْوِيلاتِ عُقُولِهِمْ، وَتَوَجُّهَاتِ أَهْوَائِهِمْ.

قَالُوا: «اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا وَرَدَ فِي كِتَابِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ -: مِنْ ذِكْرِ الْجَنَّاتِ، وَالأَنْهَارِ، وَالنَّخِيلِ، وَالأَعْنَابِ، وَجَمِيعِ الشَّهَوَاتِ - هُوَ دَالٌّ عَلَىٰ الأَئِمَّةِ - عَلَيْهِمُ السَّلامُ -، ثُمَّ عَلَىٰ الْحُجَجِ، ثُمَّ عَلَىٰ اللَّوَاحِقِ، ثُمَّ عَلَىٰ الدُّعَاةِ، ثُمَّ عَلَىٰ الْمُسْتَجِيبِينَ الْبُلَّغِ، ثُمَّ عَلَىٰ الأَدْنَىٰ فَالأَدْنَىٰ. وَمَا وَرَدَ فِي كِتَابِ اللهِ: مِنَ الْجِبْتِ، وَالطَّاغُوتِ، وَإِبْلِيسَ، وَهَارُوتَ، وَمَارُوتَ، وَيَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْرٍ، وَوَدٍّ، وَسُوَاعٍ - فَمِثْلُهُمْ وَشَكْلُهُمْ عَلَىٰ أَهْلِ الظَّاهِرِ - أَيْ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ -، وَرُؤَسَائِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ بَعْدَ أَئِمَّتِهِمُ الْجَائِرِينَ الْمُعَانِدِينَ لأَهْلِ الْحَقِّ، الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْبَاطِنِ».

وَقَالُوا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٥]، الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ.

وَفِي قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأَعْرَافُ: ٥٣]، أَيْ: ظُهُورُ الإِمَامِ الْغَائِبِ. وَفِي قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٣].

﴿الْمَيْتَةُ﴾ هِيَ: الاعْتِمَادُ عَلَىٰ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ دُونَ الالْتِفَاتِ إِلَىٰ بَاطِنِهِ.

أَمَّا ﴿الْمُنْخَنِقَةُ﴾: فَالَّذِي نَقَضَ الْعَهْدَ هُوَ الْمُنْخَنِقُ تَحْتَ السِّكِّينِ.

وَ﴿الْمَوْقُوذَةُ﴾: مَا ضُرِبَ بِعَصَا الدَّاعِي. وَ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾: مَا اسْتَزَلَّهُ مُنَافِقٌ، أَوْ وَقَعَ عَلَيْهِ عَذَابٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَكَشَفَ أَمْرَ اللهِ.

وَفِي قَوْلِهِ - ﷺ -: «**إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ، فَلا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ، وَلا تَسْتَدْبِرُوهَا، وَلَكِنْ شَرِّقُوا وَغَرِّبُوا**» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٤)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٤)]. فَقَالُوا: الْقِبْلَةُ مَجَازٌ!، لا كَمَا تُفْهَمُ عَلَىٰ ظَاهِرِ لَفْظِهَا، إِنَّهَا رَمْزٌ لِلإِمَامِ، وَمَعْنَىٰ الْحَدِيثِ: أَيْ لا تُظْهِرُوا وِلايَةَ الإِمَامِ، وَلا تُظْهِرُوا الْبَرَاءَةَ مِنْهُ.

وَقَدْ سَلَكَتْ غُلاةُ الصُّوفِيَّةِ الْمَسْلَكَ نَفْسَهُ، فَأَوْغَلُوا فِي النَّظْرَةِ الْمَجَازِيَّةِ إِلَىٰ عِبَارَاتِ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ، وَمَضَوْا يَتَعَسَّفُونَ فِي تَأْوِيلِهَا حَسَبَ أَهْوَائِهِمْ، وَبِمَا يَتَّفِقُ وَشَطَحَاتِهِمُ الْمَعْهُودَةَ؛ فَفِي قَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طَهَ: ٥]. قَالَ ابْنُ عَرَبِيٍّ: «هِيَ الْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ الْمَوْصُوفَةُ بِالاسْتِوَاءِ عَلَىٰ الْعَرْشِ الرَّحْمَانِيِّ الإِلَهِيِّ»(٢).

وَفِي قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرَّعْدُ: ١٧]. قَالُوا: «أَنْزَلَ مِنَ =

(١) انْظُرْ «الشِّيعَةُ، الْمَهْدِيّ، الدُّرُوز: تَارِيخٌ وَوَثَائِقُ» لِعَبْدِ الْمُنْعِمِ النَّمِرِ (ص١٢٢ - ١٢٣)، و«الْمَوْسُوعَةُ الْمُيَسَّرَةُ فِي الأَدْيَانِ وَالْمَذَاهِبِ الْمُعَاصِرَةِ» (ص٣٩٦ - ٣٩٧)، وَ«بَيَانُ مَذْهَبِ الْبَاطِنِيَّةِ» (ص٩٦).

(٢) «الْفُتُوحَاتُ الْمَكِّيَّةُ» لابن عَرَبِيٍّ (١/ ١٥٢).

وَاعْلَمْ – أَخِي – أَنَّ عُلَمَاءَ الْبَيَانِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ كَثِيرٌ: كَالْخَطَّابِيِّ، وَابْنِ الأَثِيرِ، وَعَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُرْجَانِيِّ، وَابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ الْقَيِّمِ، وَأَبِي إِسْحَاقَ الإِسْفِرَائِينِيِّ، وَحَسْبُكَ بِابْنِ قُتَيْبَةَ خَطِيبِ أَهْلِ السُّنَّةِ[1]؛ فَإِنَّهُ يَفُوقُ الْجَاحِظَ مِنْ

= السَّمَاءِ أَنْوَاعَ الْمَكْرُمَاتِ، فَأَخَذَ كُلُّ قَلْبٍ بِحَظِّهِ وَنَصِيبِهِ، فَسَالَتْ أَوْدِيَةُ قُلُوبِ الْعُلَمَاءِ، وَأَوْدِيَةُ قُلُوبِ الصُّوفِيَّةِ»[1].

وَغَنِيٌّ عَنِ الْقَوْلِ أَنَّ كُلَّ هَذِهِ الانْحِرَافَاتِ وَالتَّجَاوُزَاتِ مَا كَانَتْ لِتَكُونَ، لَوْلا انْفِتَاحُ مَجَالِ الْقَوْلِ بِالْمَجَازِ، وَالتَّأْوِيلِ، وَالتَّحَاكُمِ إِلَى الْهَوَى مُشْرَعَةً أَبْوَابُهُ عَلَى مِصْرَاعَيْهَا أَمَامَ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ السَّاقِطَةِ... فَوَلَجُوهَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَصَوْبٍ، تَمْلَكُهُمْ فَرْحَةُ الاقْتِدَارِ بِذَلِكَ عَلَى لَيِّ أَعْنَاقِ النُّصُوصِ، وَتَحْوِيلِهَا عَنْ مُرَادَاتِهَا الْفِعْلِيَّةِ، وَتَغْمُرُهُمْ نَشْوَةُ الْوُصُولِ إِلَى التَّفَلُّتِ مِنْ طَوْقِ الأَحْكَامِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَهُوَ الْهَدَفُ الَّذِي مَا بَرِحُوا يَسْعَوْنَ إِلَيْهِ بِمُخْتَلَفِ الْوَسَائِلِ، وَشَتَّى طُرُقِ الأَسَالِيبِ.

نَقْصُ دَرَجَةِ الْمَجَازِ:

وَأَخِيرًا: فَإِنَّ الْقَوْلَ بِالْمَجَازِ يُوهِمُ دَرَجَتَهُ عَنْ دَرَجَةِ الْحَقِيقَةِ، لاسِيَّمَا وَإِنَّ مِنْ عَلامَاتِ الْمَجَازِ صِحَّةَ نَفْيِهِ، وَهَذَا يُؤَدِّي إِلَى تَوْلِيدِ شُعُورٍ جَادٍّ، وَإِحْسَاسٍ صَادِقٍ وَحَقِيقِيٍّ لَدَى الْمُتَلَقِّي بِأَنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ – وَالَّتِي قِيلَ بِمَجَازِيَّتِهَا – هِيَ أَقَلُّ دِلالَةً، وَأَضْعَفُ أَدَاءً مِنَ الْعِبَارَةِ الأُخْرَى، الْمَحْمُولَةُ كُلُّ أَلْفَاظِهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ. وَإِذَا اطُّرِدَ مِثْلُ هَذَا الاعْتِبَارِ عَلَى كَلامِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى –، وَكَلامِ نَبِيِّهِ – ﷺ –، وَقَعْنَا فِي شَرَكِ امْتِهَانِ الْوَحْيِ، وَالْحَطِّ مِنْ قَدْرِهِ، وَالْمَسَاسِ بِعَظَمَتِهِ وَقُدْسِيَّةِ شَأْنِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ لا يَرْضَاهُ مُسْلِمٌ، يَحْرِصُ عَلَى بَرَاءَةِ ذِمَّتِهِ، وَيُظْهِرُ أَدْنَى دَرَجَاتِ الأَدَبِ وَالسُّلُوكِ الإِسْلامِيَّيْنِ حِيَالَ كِتَابِ رَبِّهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ – ﷺ – وَهَكَذَا، فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْلِ بِالْمَجَازِ سِوَى مَفْسَدَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ جُمْلَةِ هَذِهِ الْمَفَاسِدِ الَّتِي ذَكَرْنَا – لَكَفَانَا ذَلِكَ عُذْرًا لِرَفْضِهِ وَإِنْكَارِهِ، وَرَفْعِ لِوَاءِ مُحَارَبَتِهِ، خَاصَّةً وَإِنَّ قَاعِدَةَ: «دَرْءُ الْمَفَاسِدِ مُقَدَّمٌ عَلَى جَلْبِ الْمَصَالِحِ» قَاعِدَةٌ مُعْتَبَرَةٌ فِي شَرْعِنَا، فَكَيْفَ وَلَيْسَ فِي الْمَجَازِ مَنْفَعَةٌ وَاحِدَةٌ مُرَجَّحَةٌ لِلْقَوْلِ بِهِ!.

(١) قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي «الْفَتَاوَى» (١٧ / ٣٩١): «كَانَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ يُعَظِّمُونَهُ، وَيَقُولُونَ: مَنِ اسْتَجَازَ الْوَقِيعَةَ فِي ابْنِ قُتَيْبَةَ يُتَّهَمُ بِالزَّنْدَقَةِ، وَيَقُولُونَ: كُلُّ بَيْتٍ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ تَصْنِيفِهِ فَلا خَيْرَ فِيهِ».

وَقَالَ فِي (ص٣٩٢): «هُوَ لأَهْلِ السُّنَّةِ مِثْلَ الْجَاحِظِ لِلْمُعْتَزِلَةِ، فَإِنَّهُ خَطِيبُ السُّنَّةِ، كَمَا أَنَّ الْجَاحِظَ خَطِيبُ الْمُعْتَزِلَةِ».

(١) «عَوَارِفُ الْمَعَارِفِ عَلَى هَامِشِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ» لِعُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ السُّهْرَوَرْدِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٣٢هـ (١ / ٢٠٠).

حَيْثُ النَّسَقَ، وَحُسْنُ التَّبْوِيبِ، مَعَ سِعَةِ الْعِلْمِ، حَتَّىٰ قِيلَ عَنْهُ: «دَائِرَةُ مَعَارِفَ».

وَلَا شَكَّ أَنَّ هُنَاكَ نَوْعًا مِنَ الْجَوَاهِرِ لَا تُوجَدُ إِلَّا عِنْدَ غَيْرِهِمْ، فَمَتَىٰ أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ الْمُعَلَّمَ فِي أَثَرِهَا فَمَا كَانَ عَلَيْكَ مِنْ جُنَاحٍ، لَكِنْ مَتَىٰ أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ غَيْرَ الْمُعَلَّمِ فَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

# فهرس

رقم الصفحة


* تَصْدِيرٌ ..... ٣
* نَصُّ الرِّسَالَةِ ..... ٥
* تَعْرِيفُ الْبَلاغَةِ ..... ٧
* الفَصَاحَةُ ..... ١٠
* فَصَاحَةُ الكَلِمَةِ ..... ١٠
* فَصَاحَةُ الْكَلامِ : ..... ١٥
* الأُسْلُوبُ ..... ٢٠
١ – الأُسْلُوبُ الْعِلْمِيُّ ..... ٢١
٢ – الأُسْلُوبُ الأَدَبِيُّ ..... ٢١
٣ – الأُسْلُوبُ الْعِلْمِيُّ الْمُتَأَدِّبُ ..... ٢٢
٤ – الأُسْلُوبُ الخَطَابِيُّ ..... ٢٣
* أَهَمِّيَّةُ عِلْمِ الْبَلاغَةِ ..... ٣٢
* طُرُقُ تَحْصِيلِ الْبَلاغَةِ ..... ٣٥

* عُلُومُ الْبَلاغَةِ ..... ٣٧
* علمُ المعانِي ..... ٣٩
* أَقْسَامُ الْكَلامِ ..... ٤١
* رُكْنَا الجُمْلَةِ ..... ٤٢
* أَقْسَامُ الخَبَرِ ..... ٤٤
* أَلْفَاظُ التَّوْكِيدِ ..... ٤٦
* أَغْرَاضُ الْخَبَرِ ..... ٥٠
* الإِنْشَاءُ ..... ٥٢
١ – الأَمْرُ ..... ٥٥
٢ – النَّهْيُ ..... ٥٩
٣ – الاسْتِفْهَامُ ..... ٦١
* أَدَوَاتُ الاسْتِفْهَامِ: ..... ٦٢
* الأَغْرَاضُ الَّتِي تَخْرُجُ إِلَيْهَا أَدَوَاتُ الاسْتِفْهَامِ: ..... ٦٥
٤ – التَّمَنِّي ..... ٦٨
٥ – النِّدَاءُ ..... ٧٠
* الْقَصْرُ ..... ٧٤
* الْوَصْلُ وَالْفَصْلُ ..... ٧٦

* مَوَاضِعُ الْوَصْلِ ..... ٧٦
* مَوَاضِعُ الْفَصْلِ ..... ٧٧
* الإِيجَازُ ..... ٧٩
* الإِطْنَابُ ..... ٨٢
* الْمُسَاوَاةُ ..... ٨٥
* عِلْمُ الْبَيَانِ ..... ٨٧
* التَّشْبِيهُ ..... ٨٩
* التَّشْبِيهُ التَّمْثِيلِي ..... ٩١
* التَّشْبِيهُ الضِّمْنِيُّ ..... ٩٢
* التَّشْبِيهُ الْمَقْلُوبُ ..... ٩٤
* بَلاغَةُ التَّشْبِيهِ ..... ٩٥
* الْكِنَايَةُ ..... ٩٧
* مِنْ فَوَائِدِ الْكِنَايَةِ ..... ٩٩
* عِلْمُ الْبَدِيعِ ..... ١٠٢
* الْمُحَسِّنَاتُ اللَّفْظِيَّةُ ..... ١٠٦
* الْجِنَاسُ ..... ١٠٦
* السَّجْعُ ..... ١٠٩

* الْـمُوَازَنَةُ ..... ١١٢
* التَّوْرِيَةُ ..... ١١٣
* الالتِفَاتُ ..... ١١٥
* الْـمُشَاكَلَةُ ..... ١١٨
* الطِّبَاقُ ..... ١٢٢
* الْـمُقَابَلَةُ ..... ١٢٣
* حُسْنُ التَّعْلِيلِ ..... ١٢٦
* تَأْكِيدُ الْـمَدْحِ بِمَا يُشْبِهُ الذَّمَّ ..... ١٢٨
* تَأْكِيدُ الذَّمِّ بِمَا يُشْبِهُ الْـمَدْحَ ..... ١٢٩
* الأُسْلُوبُ الْحَكِيمُ ..... ١٣٠
* الْـمُبَالَغَةُ ..... ١٣٣
* التَّذْيِيلُ ..... ١٣٥
* مِنْ فَوَائِدِ التَّذْيِيلِ ..... ١٣٦
* افْتِتَاحُ الْكَلَامِ ..... ١٣٧
* أَوَّلاً – حُسْنُ الابْتِدَاءِ ..... ١٣٧
* ثَانِيًا – حُسْنُ التَّخَلُّصِ ..... ١٤٠
* ثَالِثًا – حُسْنُ الْـخِتَامِ ..... ١٤٢

* ملحق تَنْبِيهٌ عَلَىٰ بَعْضِ الْمُخَالَفَاتِ الْعَقْدِيَّةِ عِنْدَ الْبَلاغِيِّينَ: ..... ١٤٥
* الْجَاحِظُ ..... ١٤٨
* عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ ..... ١٤٨
* أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلانِيُّ ..... ١٤٩
* الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ ..... ١٥٠
* الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ ..... ١٥٠
* عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُرْجَانِيُّ ..... ١٥٠
* فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ ..... ١٥٠
* السَّكَاكِيُّ ..... ١٥١
* الزَّمَخْشَرِيُّ ..... ١٥١
* الْمُتَنَبِّي ..... ١٥٣
* السُّبْكِيُّ ..... ١٥٤
* التَّفْتَازَانِيُّ ..... ١٥٥
* السُّيُوطِيُّ ..... ١٥٦
* ابْنُ كَمَال بَاشَا ..... ١٥٦
* مَفَاسِدُ الْمَجَازِ ..... ١٥٨
* الفَهْرَس ..... ١٧١

من أحدث مطبوعات دار الإيمان

# المنتقى من أمثال النبلاء

كتبه

أبو عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه

دار القمة
لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي
فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٢٢٠٠٢

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
اسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

تُطلب إصداراتنا في اليمن من

مكتبة الإمام الألباني

صنعاء - شارع الرباط - أمام الجامعة الوطنية

جوال: ٧٧٧٢٣٧٤٣٨ - ٧١١١٣٧٤٣٨

**داركم المتميزة**


دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية

تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٠٥٤١١٩١٠-٠٢-٥٢٢٢

E-mail: dar_aleman@hotmail.com

دار القمة لتوزيع الكتاب والشريط الشرعي

0 001986 501529